الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

افتتاحية

مجتمعات الخوف لن تنبت الحرية

بقلم : مسعود الرمضاني

العدد 427 - من الثلاثاء 22 إلى الاثنين 28 أكتوبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

وتواترت بطاقات الجلب الدولية منذ 25 جويلية

بقلم : عبد السلام الككلي

لماذا احتفظت بصوتي في انتخابات السادس من أكتوبر؟

بقلم : أنس الشابي

وجيه ذكار رئيس منظمة الاطباء الشبان :

الصحة قطاع منكوب والوزارة تتعامل معها كثكنة عسكرية

قيس سعيّد يؤدّي اليمين ويكرّر القول...

مجتمعات الخوف لن تُنبت الحرية

بقلم : مسعود الرمضاني

«نحن نتاج هذا الواقع وهذا الزمن الذي تختلط فيه الانهيارات الواضحة بالولادات الغامضة ، ولا نتوب عن احلامنا مهما تكررت انكساراتها.» (محمود درويش ، ذاكرة النسيان)

من طرائف الشاعر العباسي ابي نواس، انه لما القى الخليفة المأمون قصيدة في مجلسه، وسأله عن رأيه، قال بصراحة وبلا مواربة: «انا لا اشم بها أية رائحة للبلاغة» فغضب المأمون، الذي تعوّد على سماع التملق ورياء الشعراء والحاشية والمقربين ، وأمر بحبس أبي نواس شهرا في حظيرة حمير... وبعد خروجه ناداه المأمون وبدأ في إلقاء قصيدة ثانية، وفي منتصفها قام أبو نواس من المجلس فاستوقفه المأمون قائلا: الى اين؟ فقال «الى الحظيرة ، يا مولاي...»

كُلفة الحرية

ولئن تبدو الحادثة طريفة وتكرر ذكرها كثيرا في باب النوادر التي نسبت الى الشاعر الكبير ، فإن رمزيتها وبعدها الانساني والاخلاقي ، بما فيهما من صدق وجرأة وشجاعة أدبية في زمن كان التملق والمديح والتقرب من السلطان هي الغالبة ، يجب ان يستوقفانا ، نحن الشعوب التي فُرضت عليها ، خيارات منغصة، تراوح بين مذلة الصمت و ثقافة التملّق المخجل والشجاعة الفردية المؤذية ، تماما مثل أبي نواس الذي فضّل الذهاب إلى حظيرة البهائم على ان يجامل وينافق ويتملّق...

وظل هذا الحق الإنساني في التعبير غائبا اليوم، رغم التقدم الانساني والحضاري الكبير، ويستوجب احيانا جرأة فريدة ، مع يترتب عليها من تكلفة باهظة ، يقول الكاتب النرويجي ، كارل كناوسغارد ،ان الشجاعة هي احد جوانب حرية التعبير وهي التكلفة التي يتحملها المرء عندما يطالب باستخدام هذا الحق ، أي ملاحقته قانونيا او اعتقاله او نفيه او تعذيبه أو حتى قتله...خاصة في مجتمعات تعتبر الحرية ردافا للفوضى والقوانين والدساتير التي انجبتها عقود من الفكر الإنساني والنضال الميداني ظواهر «غريبة عن حضارتنا وقيمنا «، حضارة حبسها التقليد السائد في جانبها المظلم والقاتم .

بين الحرية والتحرر

في الحقيقة ، صعب جدا ان تحافظ السلطات الحاكمة ، في كل بلدان العالم ،على ذلك التوازن بين إرادة التسلط والاستمرار في الزعامة التي تستهوي الحاكم من ناحية وبين الإرادة الطبيعية للشعوب ،التواقة للتحرر من تضييق المراقبة والمنع ، لذلك أوجدت الدساتير الوطنية والقوانين الدولية ، مواد وكوابح، تضبط قواعد الحرية وتمنع الطغيان ، وتحافظ على كرامة الانسان و تحرس رغبته في التخلص من القيود والاذلال ...

وفي المنطقة العربية ، أثبتت الشعوب ، من خلال انتفاضاتها قبل أكثر من عقد ، ان مفهوم التحرر من الاستعمار لا يقتصر على بعده الجغرافي ، وذلك عبر استقلال جل دول المنطقة في أواخر خمسينات أوائل ستينات القرن الماضي ، بل كان يجب ازاحة انظمة قاهرة ، ظلت تمثل استعمارا داخليا قاتلا ، تحكم عبر ثنائية مقيتة بين القمع وتبديد ثروات بلدانها... بل ودفع الغرور بتلك الأنظمة واستلذاذها بالسلطة الى السعي لتوريث أبنائها... وربما أحفادها لو ظلّت مدة أطول في السلطة.

لكن كانت هناك عقبات عديدة اجهضت تلك الثورات ، منها التصحر الفكري والسياسي الذي ساد خلال عقود حكم «الدولة الوطنية» ، مما حال دون تحولات فكرية وسياسية تستوعب جيّدا قيم الحرية والديمقراطية وكذلك اخفاقات النخب الحاكمة بعد الانتفاضات في تحقيق تغييرات مهمة تقنع الشعوب بأن تضحياتها لم تذهب سدى ، مما مكّن الدولة العميقة، التي ظلت تتحيّن الفرصة للثأر، من العودة، باكثر عنفا واستهتارا، فاستفاقت الصراعات الاثنية والعرقية في بعض البلدان واستعادت الجيوش المتوثبة سطوتها ونفوذها في اماكن اخرى ونشطت كذلك الايديولوجيات المحنّطة ...لتقف ، كلها ،حجر عثرة امام طموحات الشعوب وتعيد السياسة الى مربع الاستبداد والقهر .

ولم تسلم تونس من الانتكاسات التي عرفتها الانتفاضات العربية الأخرى ، رغم ان عديد الظروف كانت تهيئ لانتقال ديمقراطي سلس وناجح، ابتداء من التجانس الفكري والثقافي الذي ميّز تاريخها الحديث وصولا الى ثقافة نخبها المستنيرة التي واجهت الاستعمار والتغريب الثقافي . الا ان النخب السياسية الحالية وهشاشتها وانجرارها الى منعكسات ورثتها عن حكم الاستبداد ، منعكسات قائمة على المغالبة والتعالي ونفي الآخر ، اهدرت فرص الانتقال الديمقراطي ، وها نحن نجتر خيبات الماضي البعيد والقريب ، ونتباكى على حرية نحن من فرّط فيها...

لا مكان لليأس والقنوط

في اعتقادي انه، رغم ان السنوات القادمة ستشهد مزيدا من ضرب الحريات والتضييق على الأحزاب والمنظمات المدنية والصحافة وحرية التعبير عموما، فان الامل لازال قائما ، لكنه امل مشروط بمدى استيعاب النخب التونسية دروس الماضي والتخلص من نزق العقل السياسي الذي حكم تفكيرها، وكذلك التحلّي بالتواضع لادراك مسؤوليتها التاريخية في الهزائم المتكررة وادراك كنه ذلك الحاجز المقيت القائم بينها وبين عموم الشعب ،وفي حين تحاول السلطة القائمة الاستمتاع بفوزها في الانتخابات ، غير عابئة بالظروف والملابسات التي حافت بالعملية الانتخابية ، ولا بالتحديات الاقتصادية والاجتماعية والمالية القادمة ، نتطلع كلنا الى ظهور نخب جديدة ، هي ايضا، قرأت الواقع جيدا وشخصت عيوبه واستفادت من أخطاء «الاباء». صحيح أننا ساهمنا ، او هكذا فعل جلّنا، في تبديد الحرية خلال عقد من الزمن ولكن بذور تلك الحرية لازالت موجودة وستنبت من جديد ، وشجاعة أولئك الذين تمسكوا بحقهم في الحياة الحرة ولازالوا يدفعون ضريبتها غاليا، من سياسيين وصحفيين وحتى مواطنين عاديين ، تحدوا كل حواجز الرقابة الذاتية والموضوعية وضحوا بحريتهم الفردية ، تبعث فينا ، كلنا ،العزم والاصرار ، وتحثنا على فهم الحياة على حقيقتها ، اي ان نقاوم اليأس ونتفاعل بجدية مع كل الاستحقاقات وندجن الخوف الذي يُراد له ان ينغّص عيشنا ويسلبنا ارادتنا. يقول نيتشة : « تسأل ما هو الخير؟ الخير أن تكون شجاعًا، والخير ألا تهتم بالحياة الطويلة، ولا بالنجاة من المخاطر، وألا تحب العيش حُبًّا يجعلك تتعلق به مهما نفى الإرادة والحياة فيك».

ذاك ، ربما، ما فكر فيه الشاعر ابو نواس، حين واجه المأمون، وكان ذلك قبل قرون من ظهور الفلسفة الالمانية الحديثة.

قيس سعيّد يؤدّي اليمين ويكرّر القول...

صالح مصباح

لا نعرف سياسيا واحدا يمتنع عن التّغيّر والتطور ومراجعة الذات وتصويب الأخطاء التي تحفّ بالعمل السياسي مثلما يمتنع سعيد. فإذا كان مطمئنا إلى مقدمات ما تقدّم من مفاهيمه السياسية، فإن النتائج قد خابت. وإذا كان يطمح إلى نتائج مغايرة، فلن يستقيم هذا الطموح بالحفاظ على المقدمات نفسها.

ففي خطاب أداء اليمين يوم أمس، الموافق للحادي والعشرين من أكتوبر 2024، لم يظهر خيطٌ تمييزيّ واحد لنقول إننا في أكتوبر 2024 ولسنا في سنة 2019 أو سنة 2021 أو ما بينهما أو بُعَيد نتائج انتخابات 6 أكتوبر الجاري. إن هذا الخطاب هو على الجملة خطاب القول الغائب وخطاب القول المُكرّر.

1/خطاب القول الغائب

المناسبة هي أداء اليمين لافتتاح عهدة رئاسية جديدة. ولخطاب الرئيس بالمناسبة مهّد رئيس البرلمان بخطاب مدائحَ وأذكارٍ مَمجوج، تافه، "تطبيليّ". وفي شأن خطاب الرئيس، تقتضي مناسبته أن يُجمل فيه القولَ في العهدة السابقة من زاوية عملية مُحددة، وذلك وفق الأعراف السائدة. وهذه الزاوية هي الأهداف التي لم تتحقق، على فرض أنْ ثمة أهداف تشغل المواطن قد تحققت، والأهداف المحددة المرسومة للعهدة الجديدة، والخطة الإجرائية لإنجازها، والتدابير العملية لتحقيقها، ويكون ذلك بخطاب هادئ، واعد، متّزن، جَمّاع، عقلاني، تتخلله الأرقام الدقيقة، والمعطيات الواضحة، والمصاعب المتوقعة المضبوطة.

وكان على هذا الخطاب أن تحضر فيه أسسُ الاحتياجات التي تُؤرّق المواطن اليوم، وهي غلاء الاسعار، ونُدرةُ السلع، وانحدار القدرة الشرائية، واتساع دائرة الفقر، واستفحال البطالة، وعطالة الإنتاج، وارتفاع التداين، واختلال الأمن، والغزو الإفريقي، والاحتقان السياسي الخ.. فهذه الهواجس والاوجاع هي ما يؤرق المواطن على الجملة ويرتقب لها خطة لتَجاوزِها، فتتراءى له واضحة، باعثة على الأمل في هذه العهدة الجديدة.

ولو سأل أحدنا نفسَه عما حصّل من هذا الخطاب المطول لقال إنه خطاب الاعتياد، ولقال إن الغالب عليه هو الخطاب الغائب، وخطاب تَكرير القول أو رسكلته.

2/خطاب تكرير القول

عوض أن يكون المستقبل أغلب على الخطاب، كان الماضي. فقد عاد سعيد نحو عقد ونصف إلى الوراء، منتقيا من الزمن مفاصله التي يريد، لِيكُونَ هو فيها استئنافُ الثورة التي لا نعلم

أنّ له فيها سابقَ حجَر واحد. ووصف المرحلة التي قبله بأبشع النعوت، وهذا لا يجادله فيه أحد. لكن ما الذي حقّق لِيُفَوِّقَ عليها مرحلتَه؟. فالبؤس الإجتماعي زاد، والاحتقان السياسي استفحل، والمنوال التنموي على ما هو عليه من فوضى وغموض وتداخل بين الحقب والمفاهيم، وفوق ذلك انضافت أوجاعٌ التداين المستزاد، وأثقال الضرائب على مَن لا قبل لهم بتحمّلها حسب مشروع الميزانية لسنة 2025، وإهمال المهن والأنشطة التي أصحابُها في خانة المتهرّبين من الواجب الضريبي.

كما هاجم سعيد البرلمان السابق هجوما مختصرا. ولا شك أن ذلك البرلمان قد ساءت إدارتُه وعمّ فيه العبثُ الصادر خاصة عن استقواء الكتلة المسيطرة بسيطرتها. لكن ما هي مزايا البرلمان الحالي؟! اللهم إلا إذا كان الصمت شبه الغالب، وسيطرة "الحاج موافق" هما فَضلُه المطلوب على سابقه.

وإنّ من مفاصل الخطاب سيطرة المعجم المألوف نحو : فحيح الأفاعي، اللصوص، الخونة، المُستقوون بالخارج، المرتمون في أحضان الماسونية، تحرير فلسطين، كامل فلسطين، الصهيونية الخ....

فإذا كان اللصوص والخونة هم من المساجين فكيف لهم أن يقوموا بما يقومون به؟! وإذا كانوا خارج السجن، فَلِمَ لا يُحالون على العدالة دفعة واحدة ينقطع بها هذا السّجلُّ اللغوي الثابت.؟ وإذا كان سعيد يخشى ألا يَبقَى له زادٌ كلاميّ يكرّرُه، فإنّ سبل ملء الفراغ عديدة، وله في "كليلة ودمنة" ما يُشفي الغليل.

ولعل أهم مفصل قار في خطاب سعيد، والذي ظهر جليا في خطاب الأمس، هو "تيمة الارتماء في أحضان الخارج". وإننا نعجب مرة أخرى من سعة الأحضان الخارجية الذي تضم إلى صدرها هذا العدد المهول من التونسيين على نحو ما يُوحي به الخطابُ الرئاسي، حتى لكأن هذا الخارج لا شأن له إلا تونس ونخبتها الموالية له، لا بل لا شأن له إلا قسما من شعبها. ذلك أنه عادة ما يرمي الخطابُ الرسمي بالعمالة للخارج الآلافَ الذين يتظاهرون احتجاجا على السلطة.

ولما كان معلوما أن حالات الاختراق الخارجي هي بالجمعيات التي يحقّ لها، قانونا، أن تتلقى الأموال من الخارج، فإنّ الحل الذي يُريح الجميعَ، ويذهب بهذا الهاجس، هو إلحاق الجمعيات بالأحزاب من حيث منع التمويل الخارجي. إننا ندعو الرئيس إلى ذلك، لا بل نضعه له تحدّيا، وهو الذي لا ينقطع عن ترديد مفاهيم السيادة الوطنية التي يخترقها، من جملة ما يخترقها، المالُ الوافد من الخارج على الجمعيات.

ولعل العبارتين الجديدتين في هذا الخطاب، والمشتقّتين من "الحملة الانتخابية" هما "العبور" و"البناء والتشييد". أما العبور فلا نعلم هل هو موافق لذك الذي ظهر في مصر مع سياسة الانفتاح في عشرية السبعينات، والمُنبثق من عبور خط "برليف" في حرب 6 أكتوبر 1973، والذي صار يفيد العبور إلى طبقة جديدة عليا، أم هل هو موافق لمفهومه عند المُمثل عادل إمام وهو يستعرض مع زوجته عبورَ ليلة الدُّخلة؟. ذلك أن المفهوم غامض، ولعل التلميح الوحيد المُحصَّل منه هو إلى :عبور قادم"، قد يكون عهدة رئاسية ثالثة.

وأما عبارة "البناء والتشييد" والتي صارت اصطلاحا رسميا ردّده رئيس البرلمان، فإنه يُعبّر عن فَقر اصطلاحي وعِيّ لغوي، وقصور في الخيال السياسي. فهو مصطلح بورقيبي محض، أظهر به سعيد أنه لا يملك ما به يطبّق قاعدةَ "لا رجوع إلى الوراء" فرجع إلى الوراء. وفي كل الأحوال العبارة محمودة، لأن بورقيبة الذي نَحَتَها، إنما نحتَها قولا وفعلا. لكن خطاب سعيد ترجم "البناء والتشييد" بصوَر بلاغية قد يتغذّى منها الشعر، ولكن، لا يتغذى منها الشعب. من ذلك عبارة الصعود إلى "قمم الجبال" التي شدتنا شدّا، ودفعَتنا إلى التساؤل أنْ هل سيكون البناءُ والتشييد على تلك القمم، أو سيكون تجسيدا لـ"البناء الشاهق" الذي غمر المنبسط من الأرض والمنخفض منها، فرام صعود الجبال؟.

ولعل المستخلص المجمل من هذا الخطاب هو أن هاجس صاحبه الأول لم يتغير ولن يتغير على ما يبدو، وهو التمسك بالحكم الفردي الخالص والإبقاء على آلياته ومفاهيمه ومراجعه. ذلك أن أغلب الخطاب قد دار على هذا المحور دون لفتة إلى أي تعديل يخص الحريات والمراسيم المقيدة لها، ومركزية الذات التي هي محور كل شيء، لا سيما ابتداءً من حدث الخامس والعشرين من جويلية الذي أراد به، كما قال، ثوابا لنفسه أمام الله، فأنجزه بقرار شخصي. وإنّ القول الرسمي محمول ها هنا على التصديق. لكن السؤال الذي يطرُق ذهننا طرقا، هو هل يصحّ أن تتحرك دبابة أمريكية الصنع من ثكنتها، فتحاصر البرلمان دون علم صانعها؟ إننا لا نملك الجواب. لكننا نسأل من منطلق المواطن اللجوج.

وتواترت بطاقات الجلب الدولية منذ 25 جويلية

بقلم عبد السلام الككلي

أفاد القطب القضائي لمكافحة الإرهاب مساء الجمعة 4 أكتوبر 2024، أن قضاة التحقيق بالقطب المتعهدين بملف يخص كلا من الوزيرين الأسبقين منذر الزنايدي ورفيق بوشلاكة والمدون أنيس بن ضو والناشط السياسي ثامر بديدة، أصدروا بطاقات جلب دولية في حق كل واحد من المظنون فيهم مشيرة إلى أن الأبحاث التحقيقية لا تزال جارية

وأوضح القطب، في بلاغه ، أنه بعد استيفاء الأبحاث الاولية أذنت النيابة العمومية لدى القطب بفتح تحقيق في شأن المظنون فيهم وطلبت اصدار البطاقات القضائية اللازمة في شأنهم .

وتأتي هذه التتبعات، وفق البلاغ، على اثر تعهيد النيابة العمومية لدى القطب القضائي لمكافحة الارهاب الوحدة الوطنية المختصة في جرائم الارهاب بالبحث فيما تم تنزيله من تدوينات ومقاطع فيديو على منصات التواصل الاجتماعي من قبل كل من المنذر الزنايدي ورفيق بوشلاكة وأنيس بن ضو و ثامر بديدة والتي كان الهدف منها بحسب النيابة العامة» بث الفوضى والرعب بين المواطنين وإثارة البلبلة وتعطيل سير العملية الانتخابية والمس من هيبة الدولة ومؤسساتها».

تواتر بطاقات الجلب الدولية منذ 25 جويلية 2021

تواترت منذ 25 جويلية 2021 بطاقات الجلب الدولية في حق معارضين تونسيين يقيمون في الخارج ففي وقت سابق ، كان مكتب الاتصال بالمحكمة الابتدائية بتونس، أعلن يوم 4 نوفمبر 2021 أن قاضي التحقيق المتعهد بملف رئيس الجمهورية الأسبق محمد المنصف المرزوقي، قد تولى إصدار بطاقة جلب دولية في شأنه.وكان المرزوقي، ، عبّر في تدخّل تلفزي يوم 12 أكتوبر 2021 على قناة «فرانس 24 « عن مشاعر فخره على إثر قرار المجلس الدائم للفرنكوفونية، المنعقد قبل ذلك، والذي أوصى بتأجيل عقد القمة الفرنكوفونية بعام، بعد أن كان من المزمع تنظيمها في تونس يومي 20 و21 نوفمبر 2021 بجزيرة جربة.وإثر هذه التصريحات، طلب رئيس الدولة، قيس سعيّد، لدى إشرافه يوم 14 أكتوبر 2021، على أول اجتماع لمجلس الوزراء، من وزيرة العدل، بأن «تفتح تحقيقا قضائيا في حق» من يتآمرون على تونس في الخارج»، مشددا على أنه «لن يقبل بأن توضع سيادة تونس على طاولة المفاوضات، فالسيادة للشعب وحده».وأضاف سعيد خلال ذلك الاجتماع: «إن من يتآمر على تونس في الخارج، يجب أن توجه له تهمة التآمر على أمن الدولة في الداخل والخارج» وهو الكلام الذي اعتبره البعض موجها ضد المرزوقي و تدخلا صريحا من قبل السلطة التنفيذية في عمل القضاء

وفي تاريخ قريب من تاريخ اصدار البطاقة الصادرة في حق المرزوقي أصدر قاضي التحقيق الأوّل بالقطب القضائي لمكافحة الإرهاب المتعهّد بالبحث في قضيتي «تكوين وفاق إرهابي» و»التآمر على أمن الدولة»، بطاقات جلب دولية في حقّ 12 شخصا، من المظنون فيهم والمحالين بحالة فرار، والذين ثبت تواجدهم خارج التراب التونسي، وبينهم مسؤولون سابقون رفيعو المستوى، وفق ما أفادت به الناطقة الرسمية بالقطب القضائي لمكافحة الإرهاب والمساعدة الأولى لوكيل الجمهورية لديه، حنان قداس في تصريح اعلامي، الثلاثاء 12 سبتمبر 2023. والأشخاص المشمولون بالقرار، هم يوسف الشاهد، رئيس حكومة أسبق، ونادية عكاشة، مديرة الديوان الرئاسي سابقا، ومعاذ الخريجي وكمال القيزاني ومصطفى خذر وماهر زيد ولطفي زيتون، وزير أسبق وقيادي بالنهضة، وعبد القادر فرحات وعادل الدعداع و شهرزاد عكاشة وعلي الحليوي ورفيق يحي .

فما هي بطاقة الجلب الدولية التي عاد الحديث عنها هذه الأيام بمناسبة الانتخابات الرئاسية والانتقادات التي وجهها البعض للأجواء التي جرت فيها وخاصة تلك الصادرة عن المرشح منذر الزنادي المقبول ترشحه نهائيا للانتخابات الرئاسية التي جرت يوم 6 أكتوبر الجاري في قرار المحكمة الإدارية الشهير وعلى اثر إصدار قاضي التحقيق الأوّل بالقطب القضائي لمكافحة الإرهاب بطاقة جلب دولية في حق الأشخاص المذكورين.؟ وهل هناك حظوظ لتنفيذها ؟

ما هي بطاقة الجلب ؟

ينص الفصل 68 من مجلة الإجراءات الجزائية على أنه إذا كان ذو الشبهة بحالة سراح يستدعى كتابة لاستنطاقه. والاستدعاء يتم بالطريقة الإدارية أو بواسطة العدل المنفذ وهو يحتوي على ما يلي:

أولا : اسم ذي الشبهة ولقبه وحرفته وعنوانه.

ثانيا : مكان الحضور وتاريخه وساعته.

ثالثا : نوع التهمة.

وينص الفصل 78 من المجلة على أنه إذا لم يحضر ذو الشبهة جاز لحاكم التحقيق أن يصدر ضده بطاقة جلب. وهذه البطاقة تكون مؤرخة وممضاة ومختومة ويذكر فيها ما يميز ذا الشبهة أتم تمييز، مع بيان موضوع التهمة والنصوص القانونية التي تنطبق عليها كما يضّمن بها الإذن لكل عون من أعوان القوة العامة بإلقاء القبض عليه وجلبه أمام حاكم التحقيق.

وإذا لم يتيسر العثور على ذي الشبهة تعرض بطاقة الجلب على محرك أو شيخ مكان إقامته ليضع عليها علامة اطلاعه.

أما اذا كانت بطاقة الجلب دولية فيصدر عن السلطة في الدولة المعنية ما يسمى بالنشرة الحمراء الى الانتربول (منظمة الشرطة الجنائية الدولية). وبواسطة هذه البطاقة يصبح الشخص المطلوب جلبه من بلده ملاحقا من قبل البوليس الدولي، وهو ما يعني وبموجب هذه البطاقة أنه صار محل «بحث ومطاردة وتحديد مكان إقامة وطلب إيقاف بموجب صدور بطاقة جلب وإيقاف من قبل السلطات في البلد المعني

وإذا ما أدرج شخص بقائمة المطلوبين دوليا فانه نظريا لا يستطيع السفر أو الظهور في الأماكن العامة، أو المشاركة في أنشطة علنية تحت طائلة القبض عليه، وترحيله فوراً، غير أن ذلك يتوقف بالضرورة على موقف السلطات في كل دولة .. فالشرطة الدولية لا تنفذ البطاقة بواسطة أعوان لها وبشكل مباشر.

غير انه من الجدير بالتذكير وبشكل خاص ان الشرطة الدولية لا تُصدر البطاقات الحمراء حسب قوانينها الداخلية بشكل إداري هكذا دون التثبت في تفاصيلها و دون قيود ، لأنها تشترط ، الالتزام التام بميثاق عمل المنظمة وخاصة المادة الثالثة منه التي تمنع منعاً باتاً على أعضائها طلب إصدار البطاقات الدولية للمطالبة بالقبض على شخص أو جلبه بسبب نشاطه السياسي أو رأيه ، وهو ما يعني أن المنظمة لا تتدخل أبدا في القضايا ذات الطابع السياسي أو العسكري أو الديني أو العرقي

بطاقة الجلب الدولية التي يهملها البوليس الدولي

ومن الواضح آن شبهتي» التآمر على أمن الدولة أو الإرهاب « شملت في تونس منذ 25 جويلية 2021 كثيرا من المعارضين السياسيين والوزراء القدامي واحيانا بتدخل وتحريض مباشر من السلطة التنفيذية. سواء منهم الموقوفون في السجون التونسية او المقيمون في الخارج ولوحق أيضا صحافيون وقضاة وغيرهم في سلسلة تطول كل يوم أكثر فأكثر يغذّيها خطاب سياسي يجعل من تهمة الخيانة طعاما يوميا يقتات عليه التونسيون ويستهلكه البعض منهم بنهم شديد كرها لحقبة وقعت شيطنتها حقا وباطلا واضحي أكثر فاعليها متهمين إلى أن تثبت براءتهم وقد لا تثبت أبدا . و ليست هذه القضايا في مجملها غير قضايا سياسية «ملفقة « بحسب ما تؤكده هيئات الدفاع عن المتهمين الموقوفين الآن في قضية « التآمر « و هو موقف المنظمات الإنسانية المحلية والدولية أيضا وتضفى الشكوك الجدية التي تحوم حول كل القضايا المرتبطة بتهمتي التآمر والإرهاب طابعا « انتقاميا « وهي قضايا تثير كثيرا من الانتقادات داخليا وخارجيا حول صلتها بما يحدث في تونس منذ 25 جويلية 2021 ومع استتبعه الحدث من ملاحقة العشرات من الشخصيات العامة.

ونظرا إلى الارتباط الظاهر بين صدور بطاقات الجلب والظروف السياسية التي تعيشها البلاد مع تكييف التهمة باعتبارها من قبيل» التآمر» خاصة وهي تهمة في غاية الخطورة يمكن أن يحكم فيها بالإعدام ، فإن هذه البطاقات تضع محليا ودوليا محل تساؤل استقلالية القرار القضائي في تونس ونتيجة لذلك فانه من شبه المستحيل أن تستجيب الانتربول او الدول الأعضاء في المنظمة الى الطلب التونسي مما يجعل البطاقة مجرد حركة سياسية للاستهلاك المحلي أكثر من أي غرض أخر .غير انه استهلاك له تبعات مدمرة على سمعة القضاء التونسي دوليا..

فعلا وللتذكير فقد رفض القضاء اليوناني تسليم سليم الرياحي الى السلطات التونسية بعد ان صدر في حقه في ديسمبر 2019 ، حكم غيابي بالسجن لمدة 11 عاما مع النفاذ العاجل، في قضايا غسيل أموال (بعد خلاف معروف بينه وبين يوسف الشاهد رئيس الحكومة في ذلك الوقت والذي صار هو نفسه بعد ذلك ملاحقا من قبل القضاء التونسي في قضية تآمر على امن الدولة كما ذكرنا) وفق ما أكده الرياحي نفسه في تدوينة نشرها على صفحته الرسمية في 14 أكتوبر 2021، كما رفض القضاء الاماراتي هو أيضا تسليم الرياحي الى السلطات التونسية.

فقد كتب الطيب بالصادق محامي الرياحي على صفحته في موقع فيسبوك في 29 أوت 2022 تحت عنوان "انتصار مزدوج وساحق": "الإنتربول الدولي يشطب بطاقات الجلب الدولية من منظومته، والقضاء الإماراتي يقضي ببراءة المنوب(سليم الرياحي) وعدم تسليمه الى تونس «.

وتابع بالقول "سليم الرياحي برّأته اليونان واليوم الإمارات وأنصفه الإنتربول الدولي». كما يجدر التذكير أيضا بان الانتربول رفض تنفيذ بطاقة الجلب التي صدرت ضد الرئيس الاسبق محمد منصف المرزوقي. فقد أكد المرزوقي يوم 9 مارس 2022 في تدوينة على صفحته الرسمية في الفيسبوك ، أن الانتربول أعلمه (ربما بطلب منه) بأنه ليس موضوع أي إشعار أو نشر من قبل الانتربول..

وأضاف «إن هذا يعني أن بطاقة الجلب الدولية التي تم الإعلان عن إصدارها من طرف قاض بتعليمات من وزيرة العدل ..لم يتم أخذها بعين الاعتبار». حسب ما جاء على لسان المرزوقي».

إنه من الغريب حقا أن يصدر قاض تونسي مثل هذه البطاقات! .فمن المفروض أن يكون على علم بكل المعطيات القانونية المذكورة وهكذا سيكون ضرر هذه البطاقات اكثر من نفعها لما لها من مساس بسمعة قضائنا المتهم داخليا من قبل المعارضة وحتى من قبل القضاة أنفسهم من خلال كل البيانات الأخيرة الصادرة عن جمعية القضاة التونسيين ذات النفس الاستقلالي وخارجيا من قبل الدوائر الحقوقية والإعلامية ذات التأثير الواسع في صناع القرار سواء في الغرب او خارجه بعدم الاستقلالية والتبعية التامة للسلطة السياسية وتنفيذ أوامرها.

27 ٪: نسبة تجسّد كل معاناة تونس اليوم

بقلم مختار لعماري

يوم 6 أكتوبر الجاري، لم يتعدّ عدد الناخبين الذين تحوّلوا للادلاء بأصواتهم في الانتخابات الرئاسية 2،7 مليون ناخب من جملة أكثر من 9،7 ملايين ناخب مسجّل بما يمثل نسبة بـ 27 ٪. وفي الوقت نفسه لا تعدّ البلاد سوى 3،5 ملايين نشطين يعملون من بين 12،7 ملايين نسمة أي بما يناهز أيضا نسبة بـ 27 ٪ وهذا يعني أن تونس تعمل اليوم بربع إمكاناتها الاقتصادية والسياسية لا غير.

نحن اذن أمام وضعية مشابهة لمن يقود سيارة ذات محرّك مكون من 4 أسطوانات لكن واحدة منها فقط تعمل بشكل كامل. وفي هذه السيارة يتطلّع كل الركاب للتمتع بكل وسائل راحة ورفاهية الرحلة تماما مثل مسافرين في سيارات مشابهة تعمل محركاتها بكل إمكاناتها بشكل طبيعي (أي بالاسطوانات الاربع).

تدلّ نسبة 27 ٪ على واقع مأساوي اذ انها تكشف عن تونس التي تعاني ولا تريد مواجهة واقعها القاسي.

تظهر هذه النسبة واقعين مختلفين ظاهريا، لكنهما ليسا في الحقيقة مختلفين الى هذا الحدّ. ذلك أن هناك في الواقع علاقة ضمنية وكامنة بين نسبة مشاركة المواطنين في الانتخابات ونسبة توظيف اليد العاملة لخلق الثروة الاقتصادية بتونس.

فالتصويت والعمل واجبان للأوّل بُعد ديمقراطي وللثاني بُعد اقتصادي وهما يشكلان شرطا للنجاح في المجتمعات الحديثة.

ومن الواضح وجود علاقة إيجابية وذات دلالة إحصائية بين نسبة المقترعين ونسبة النشطين.

لامبالاة وخيبة أمل

إن تناول هذا النوع من العلاقات بالدرس ليس أمرا هيّنا اذ يمكن أن يساعد على فهم هذين الواقعين اللذين تعاني منهما تونس اليوم.

فمن جهة هناك الانتخابات التي لم تعد تستهوي الجمهور ولا مخاطبة وجدانه بما فيه الكفاية ليجد المرء نفسه أمام مواطنين كلهم خيبة ومللا من هؤلاء السياسيين الذين وعدوا بكلّ شيء دون أن يحققوا شيئا منذ ثورة الياسمين في عام 2011.

لقد فقد الجمهور الثقة في النخب السياسية التي تقول شيئا اليوم وتفعل عكسه في اليوم التالي. وتظهر نتائج استطلاعات الرأي التي انجزتها مؤسسة World Value Survey (جامعة شيكاغو) في السنوات الأخيرة هذه اللامبالاة وعدم الثقة ولم يعد بالامكان انعدام عدم الثقة في العديد من مؤسسات الدولة.

من ناحية أخرى، هناك هذه الحقيقة الاقتصادية المحزنة. فالاقتصاد في حالة انهيار كأنه مشلول وهو عاجز عن الحركة لخلق المزيد من الثروات وامتصاص قوة عمل أكثر تكوينا وطموحا ومنجذبة أكثر فأكثر نحو الهجرة.

لقد أوضحت نتائج الانتخابات الرئاسية الأخيرة مدى ملل المواطن الذي فضّل بدل التوجه الى صناديق الاقتراع لعب الورق في المقاهي أو متابعة مباريات كرة القدم على القنوات التلفزية القطرية طوال اليوم.

وتبدو اللامبالاة السياسية كقاسم مشترك بين الانتخابات التشريعية أو الرئاسية الأخيرة.

وقد كانت نسبة المشاركة في الانتخابات التشريعية قبل عامين فقط 11 ٪.

بلد يعمل بربع إمكاناته

من منظور خارجي وبلا تعقيد، يعطي المجتمع التونسي انطباعا بأنه يعمل بربع إمكاناته. فقط ربع السكان الذين هم في سنّ العمل يعملون رسميا وهذا يمثل 3،4 ملايين مواطن من مجموع 12،7 مليون نسمة.

طبعا هناك متقاعدون وأطفال ضمن هذا العدد، لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار على الأقلّ وجود 3 ملايين نشط (خصوصا من النساء) يمكنهم العمل. لكن بفعل سيادة عقلية القدرية تلازم هؤلاء النسوة منازلهن ويعشن عالة على الاخرين ويعانين من التعويل على الغير وغالبا من هشاشة وضعياتهن الاجتماعية.

ويمكن بالتطرّق الى هذه المسألة المساعدة على اجراء مقارنة للتساؤل عن سبب هذا القدر الكبير من خيبة الأمل السياسية وعن سبب الانهيار الاقتصادي وكذلك عن سبب هذه السلبية في كل المجالات على جميع الجبهات.

ففي المجتمعات الديمقراطية الحديثة، تتراوح هذه النسب بين 66 و75 ٪ سواء تعلق الأمر بنسبة المشاركة في الانتخابات (الرئاسية) أو بنسبة قياس عدد السكان النشطين مقارنة بالعدد الإجمالي للسكان.

انها نسب تضاهي نحو 3 أضعاف ما تخبرنا به الاحصائيات عن وضع تونس.

كسالى ومتذمرون

يحدث هذا الإرهاق الديمقراطي في بلد ثورة الياسمين على الأرجح نتيجة فشل اقتصادي لجميع الأحزاب والنخب التي حكمت بعد عام 2011.

وحسب احصائيات البنك الدولي كان متوسط دخل التونسي الثابت بالدولار عام 2009 أعلى من متوسط دخله عام 2023.

وقد جرّبت البلاد كل الأنظمة السياسية وتحمّلت جميع الائتلافات السياسية. وبلغ عدد الوزراء الذين تداولوا على السلطة منذ عام 2011 نحو 1000 وزير وعدد يضاهيه من النواب. وجُربت خلال العقد الماضي كل «الوصفات المحلية» وجميع الخطابات.

عبثا زادت الدولة في عدد موظفيها ينحو 200000 موظف ودارت عجلة البلاد بفضل الديون فيما فقد الدينار حوالي نصف قيمته.

أمّا عدد السكان الذين هم في سنّ العمل فيقدّر بـ 8،9 ملايين.

وهذا يدل على أن حجم القوة العاملة العاطلة عن العمل كبير جدا. ولا يبدو أن ذلك يزعج السياسيين ولا وسائل الاعلام ولا النخب.

ان الأمر يتعلق بحوالي 5،5 ملايين شخص يطمحون للعمل والحصول على راتب لكنهم لأسباب متنوعة (لا أحد يريد تغييرها) يظلون على هامش قطار التقدم التقني والازدهار الاقتصادي.

قدريّة وخضوع

يمكن ذكر أسباب ثقافية وايديولوجية أو حتى دينية تجعل الوضع على ما هو عليه اليوم. فحوالي 40 ٪ من الشباب يعانون من البطالة غير الطوعية ويتمنّون العثور على وظائف لائقة وعالية الجودة ولكن دون جدوى.

في هذا السياق يتفق العديد من المحللين على أنه أمام هذه البطالة المستفحلة والمتجذرة (طوعية وغير طوعية) فقدت مشاركة المواطنين سياسيّا معناها لدى شرائح واسعة من سكان تونس.

لقد بات همّ هذه الفئات من المحبطين التفكير في حلول بديلة سواء كانت هجرة غير شرعية أو أنشطة موازية بدل انتظار الحكومة طرح حلول لمشكلة طال أمدها.

لكن بشكل عام، يمثّل الـ 2،7 مليون الذين صوّتوا في الانتخابات الأخيرة في الغالب ناخبين يدعمون الوضع القائم ويخشون من «الأسوإ». وهم في جزء منهم موظفون لا يرغبون في سماع شيء عن التخفيض في عدد الموظفين وهم أيضا مستهلكون لا يريدون تطبيق سياسة «حقيقة الأسعار» بل ويرغبون في مزيد من الدعم المخصص لمواد الاستهلاك. وهم في جزء منهم أيضا باحثون عن فرص عديدة ومتنوعة.

هم مثقفون لا يرغبون بأي شكل من الأشكال في رؤية حزب الإسلاميين يعود الى السلطة. وهم أيضا جزء من الناخبين الذي لم يجدوا مترشحين يتوافقون مع ايديولوجياتهم وطموحاتهم الاجتماعية والاقتصادية.

وبقطع النظر عن كل ذلك يمكن القول دون خطإ إن التزام المواطن لا يمكن أن يكون أفضل عندما لا يكون عضوا نشطا ومؤثرا في دورة انتاج الثروة. واذا استمرت هذه الثنائية ستتحول الى صراع بين الكسالى والعمّال وبين المتذمرين والبناة.

ولتغيير هذا الواقع وتشغيل أسطوانات السيارة الأربع، نحتاج الى إرادة قوية ولاحساس بالمصلحة العامة. نحتاج الى قادة قادرين على تحويل حال تونس من وضع سيء الى وضع حسن (لا الى أناس عملهم إدارة الوضع السائد). نحتاج الى وسائل اعلام ملتزمة وذات مصداقية، والأهم من ذلك، نحتاج الى رجال اقتصاد حقيقيين يكشفون الحقيقة للمواطنين ولصنّاع القرار.

وجيه ذكار رئيس منظمة الاطباء الشبان لـ «الشارع المغاربي»:

الصحة قطاع منكوب والوزارة تتعامل معها كثكنة عسكرية

حاوره : محمد الجلالي

أفاد وجيه ذكار الرئيس الجديد للمنظمة التونسية للاطباء الشبان بأن المنظمة تتلقى يوميا تشكيات من أطباء ممنوعين من السفر أو ملاحقين من المحكمة العسكرية لتسوية وضعياتهم مشددا على ان ذلك يعود الى إجبارهم على الخدمة العسكرية لمدة سنة مقابل منح زهيدة وبلا تغطية اجتماعية.
واعتبر ذكار في حواره مع أسبوعية «الشارع المغاربي» ان الصحة قطاع منكوب وان المنظمة نبهت الى ذلك منذ سنوات مشيرا الى أن جل حكومات ما بعد الثورة اكتفت بتصريف الأعمال وإلى انها لم تملك نظرة استشرافية تجاه القطاع.
واتهم المتحدث وزارة الصحة بالتعامل مع الصحة العمومية كثكنة عسكرية ملاحظا وجود قطيعة كبيرة مع منظوريها معتبرا ان من شأن الاوضاع الصعبة داخل المستشفيات تهديد حياة المرضى.

ما أهم محاور برنامج عملكم بعد انتخابكم على رأس منظمة الأطباء الشبان؟

يوم 9 اكتوبر الجاري تم انتخابي على رأس مكتب وطني جديد للمنظمة التونسية للأطباء الشبان رفقة ثلّة من الرفاق الذين شاركونا العمل منذ شهر ديسمبر 2017 تاريخ تأسيس المنظمة. السياسة التي سنعتمدها خلال السنتين المقبلتين ترتكز أساسا على اعتبار قطاع الصحة العمومية هاجسا ذا اولوية اضافة الى الدفاع عن حقوق الاطباء الشبان والتمسك بتمكينهم من حقوقهم المادية والاجتماعية التي حرموا منها طيلة سنوات.. سنعمل على تكريس مفهوم الصحة الشعبية باعتبارها حقا انسانيا لكل مواطن وواجبا محمولا على عاتق الدولة لتمكينهم من النفاذ الى الخدمات الصحية مهما اختلفت انتماءاتهم الاجتماعية.
وقد نبهنا منذ سنوات إلى تردي القطاع خاصة بعد ان عرّت جائحة «كوفيد» الوضع وكشفت عن نقص لافت في الموارد البشرية تاطبية وشبه الطبية وفي كميات الادوية المتوفرة للمرضى اضافة الى النقص في عدد اقسام الانعاش. آنذاك نبّهت المنظمة بمعية هياكل نقابية أخرى الى هذا الاشكال المعقّد وحثت الدولة على اعتبار الصحة قطاعا ذي أولوية مع الاقرار قبل ذلك بأنه منكوب وذلك بالعمل على الترفيع في الميزانية المرصودة له لانتداب الاطباء والممرضين الذين بصدد الهجرة خارج البلاد.. يكفي ان نذكّر بما صرح به فوزي المهدي وزير الصحة الاسبق سنة 2020 حين قال ان قطاع الصحة العمومية يعاني من نقص بـ 20 ألفا بين اطارات طبية وشبه طبية.. ذلك النقص الفادح لم يتم تعويضه الى اليوم بل تمت المحافظة على سياسة تجميد الانتدابات التي انطلقت منذ سنة 2014 بالاقتصار على انتداب قرابة 100 طبيب وفي أقصى الحالات 200 طبيب سنويا من مجموع 1000 طبيب مختص يتخرجون

من الجامعات كل عام. هذا يؤدي حتما الى تزايد حاجات المستشفيات الى موارد بشرية مختصة في ظل كثافة سكانية متزايدة والى تدهور الخدمة الصحية مما يدفع المواطنين الى التوجه نحو القطاع الخاص وبالتالي اثقال كاهلهم بنفقات مرتفعة وحرمان طبقات واسعة منهم من الحق في العلاج. هل يعقل ان ينتظر المريض مدة تتراوح بين 6 أشهر وسنة كاملة للحصول على موعد مع طبيب او للخضوع لكشف بالاشعة في مستشفيات عمومية؟ الحق في خدمة صحية عمومية سيكون اولوية لدى المنظمة عبر التحاور مع سلطة الاشراف ممثلة في رئاسة الحكومة ووزارة الصحة. وقد سبق لنا في أكثر من مناسبة تقديم اقتراحات وحلول وطرحنا رؤية المنظمة فوقفنا على قناعة راسخة بأن جل الحكومات التي تعاقبت على تونس بعد الثورة كانت حكومات تصريف أعمال واكتفت بخلاص اجور الموظفين في غياب أية نظرة استشرافية للقطاع. ومع قدوم منظومة 25 جويلية التي صاحبها ركود سياسي لمسنا ان السلطة ترفض تشريك المنظمة في اتخاذ القرار في ما يتعلق بالمشاكل التي يعاني منها القطاع وفي سن القوانين المتصلة به.. لذلك نطالب الوزارة بتشريكنا في رسم السياسات العمومية الصحية والتعامل معنا باكثر جدية لتجنب اصدار قرارات واجراءات لا تخرج عن مجرد ردود فعل ارتجالية حين يجدّ طارئ صحي او تحدث كارثة صحية على غرار حادثة موت 14 رضيعا بمستشفى الرابطة او وفاة طبيب شاب في مصعد كهربائي بمستشفى جندوبة.

وماذا عن واقع الاطباء الشبان؟

علينا التسليم أولا بأن أزمة قطاع الصحة ترتبط أساسا بنقص أعداد الاطباء المباشرين وبارتفاع اعداد الاطارات الطبية وشبه الطبية الذين يهاجرون سنويا في ظل طلب متزايد من الخارج.. هي مفارقة عجيبة بين تهميش للأطباء على المستوى المحلي وطلب متزايد من الخارج.. والمنظمة لا ترى حرجا في التأكيد على أن اوضاع الاطباء المادية والاجتماعية هي السبب الرئيسي في هجرتهم الى بلدان أخرى بما إن أجرة طبيب درس 10 سنوات بعد الباكالوريا لا تتجاوز 1600 دينار وان قيمة حصة الاستمرار في المستشفيات تتراوح بين دينارين و3 دنانير اضافة الى ان الطبيب الشاب يعمل بين 80 و100 ساعة في الشهر. لذلك ننتظر من رئاسة الجمهورية ووزارة الصحة التفاعل ايجابيا مع مطالبنا وتحسين ظروف عمل الاطباء المقيمين حتى لا يضطر زملاؤنا الى التحرك والاحتجاج.
ملف آخر سيكون ضمن أولوياتنا هو العمل على الغاء الخدمة العسكرية الاجبارية التي تشترطها وزارة الصحة على اطباء الاختصاص المتخرجين من الكليات للحصول على شهادة نهاية التخصص. فهل يعقل ان يُحرم اطباء

اختصاص من تقاضي أية أجرة مقابل تمكينهم من منحة شهرية تتراوح بين 750 و1250 دينارا خلال الخدمة العسكرية الالزامية والا يتمتعوا بالتغطية الاجتماعية؟ وهذا التجنيد الاجباري يشمل الاطباء الرجال والنساء وهو شكل من أشكال التمييز بالنسبة لزميلاتنا باعتبار ان قانون التجنيد يستثني المرأة من الخدمة العسكرية الاجبارية. كما ان في الخدمة العسكرية الصحية تعسفا على الاطباء بما انها لا تمكّننا من جل شروط الاعفاء التي يتمتع بها بقية المواطنين وهذا بدوره شكل من أشكال التمييز. والخطير انه يتم ادراج كل طبيب لم يستجب لشرط الخدمة العسكرية في التفتيش العسكري باعتباره فارا. لو تم تطبيق الزامية مرور أطباء الاختصاص بالخدمة العسكرية لتلافي النقص الفادح في الاطارات الطبية بالمناطق الداخلية لكنا اول من بارك هذا الاجراء لكن ما نشهده اليوم انه يتم تشغيلهم في ولايات أخرى لا تُعتبر مهمشة صحيا وفي ذلك أيضا تكريس للتشغيل الهش للأطباء الشبان وتمييز في حقهم. وقد اقترحنا منذ 2017 الاستعاضة عن هذا الاجراء المجحف في حق الاطباء باجراء آخر يتيح لبعضهم التوقيع على التزام بالعمل لمدة 5 سنوات في المناطق الداخلية مقابل تمكينهم من الاختصاص الذي ينوون دراسته. وقد تمت الموافقة على اقتراحنا والعمل به منذ سنتين وهو حل عملي ومنصف للأطباء ومفيد للشأن العام.

هل من فكرة عن عدد الاطباء المفتش عنهم من أجل الخدمة العسكرية الاجبارية؟

نحن كمنظمة نتلقى بصفة يومية تشكيات من أطباء ممنوعين من السفر أو ملاحقين من المحكمة العسكرية ومطالبين بتسوية وضعياتهم. وحتى الاطباء الذين لم يستكملوا الاختصاص في تونس وجدوا انفسهم مدرجين بالتفتيش من قبل المؤسسة العسكرية.

الى أي مدى أثّر وضع القطاع الصعب على علاقة الاطباء بالمرضى؟

للأسف هذا هو لب الموضوع. وقد سعت منظمتنا منذ انبعاثها الى التشديد على ان عدم تمكين المستشفيات من التجهيزات والادوية ومن الموارد البشرية الضرورية ينعكس على علاقة الطبيب بطالب الخدمة الصحية. وعادة ما يجد الطبيب نفسه أمام اشكال كبير مع المواطن حين يحثه على ضرورة التوجه الى مركز خاص للخضوع الى كشف بالأشعة او لاجراء تحاليل بسبب عدم توفر تجهيزات بالمستشفى او تعطبها. فالمعطل الاساسي للمواطن للولوج الى الخدمة الصحية ليس الطبيب وانما الدولة بسياساتها العمومية التي لم تعتبر قطاع الصحة اولوية قصوى ولم تنتدب العدد الكافي من الاطباء ولم توفر التجهيزات ولم ترصد الميزانية اللازمة. في هذا السياق حاولنا منذ سنوات اقناع المواطن بأن الطبيب بدوره ضحية لتلك السياسة الصحية العمومية التي تحرمه من تقاضي اجرة محترمة او من الحصول على مستحقاته بخصوص حصص الاستمرار الطويلة التي يؤمنها وبأن الحل ليس بيد الطبيب وإنما بيد من يسطّر السياسات العمومية. ولا نعتبر تبجيل حكومات وبرلمانات متتالية ميزانيات الداخلية والدفاع لقمع التحركات الاجتماعية اولوية بل نرى أن الاولوية لقطاعات الصحة والتعليم والنقل وما على الدولة سوى تحمل مسؤوليتها تجاهها. واذا لم يستبطن المواطن اصل المشكل فإنه سيعتدي بالعنف على الطبيب المباشر. على سبيل المثال لا يوجد بقسم الاستعجالي بالمستشفى الجهوي ببنزرت الا طبيبة واحدة مختصة في الاشعة مما يعني

> اوضاع الاطباء المادية والاجتماعية هي السبب الرئيسي في هجرتهم
>
> جل الحكومات اكتفت بتصريف الأعمال ولم تملك نظرة استشرافية للقطاع
>
> الوزارة تعسفت على الاطباء بالتجنيد العسكري الاجباري
>
> نتلقى يوميا تشكيات من أطباء ممنوعين من السفر أو ملاحقين من المحكمة العسكرية
>
> بعض المرضى يموتون في المستشفيات نتيجة غياب التجهيزات أو الادوية او الاطباء

ان المرضى يكونون محرومين طيلة 20 يوما في الشهر من خدمة الاشعة.. ونتيجة لذلك يموت بعض المرضى في المستشفيات بسبب غياب التجهيزات أو الادوية او الاطباء. وهو وضع يندى له الجبين ويثير النقمة في نفوس اطباء شبان يشعرون بأنهم مكبّلو اليدين. أحيانا نحاول جاهدين مساعدة المرضى لكننا نضطر الى توجيههم الى مصحات ومراكز خاصة فيتم اتهامنا بالمتاجرة بهم وبتحويل وجهتهم الى القطاع الخاص.

الا يعتبر النقص في التجهيزات والموارد البشرية بابا للفساد وللتلاعب بحياة المرضى؟

منظمة الاطباء الشبان لم تنكر يوما وجود مافيات تستغل المرضى لتحويل وجهتهم الى القطاع الخاص ولم ننزه بعض الاطارات الطبية وشبه الطبية والادارية عن ذلك.. هذا الامر موجود في المستشفيات ومن ينكره يتعمد مغالطة الرأي العام او يدافع عن زملائه. حالات الفساد في هذا الشأن موجودة بكثرة وبعلم عديد المواطنين ولكن لم لا تفعّل الدولة دورها الرقابي للتصدي للعابثين بحياة المريض؟ منظمتنا لم ولن تدافع يوما عن أي طبيب يشتبه في فساده. الاشكال ان يتحول الفساد الى شمّاعة لدى الدولة لتبرير الوضع المتردي للقطاع وللتخلي عن دورها. لا ننفي ضلوع موظفين عموميين في تعطيل او تكسير جهاز سكانار باحد المستشفيات لفائدة جهة بعينها ولكن ذلك لا يخفي مشكلا آخر قد لا يقل اهمية عنه هو التعويل على الة سكانار واحدة في مستشفى جهوي يستقبل شهريا عشرات الالاف من المرضى ويتم تشغيله 24 ساعة على 24 دون اخضاعه لصيانة دورية. نفس الشيء بالنسبة لمشكل هجرة الاطباء لتحميل المسؤولية للأطباء الشبان ونعتهم بعدم التحلي بالوطنية وبالتكالب على المال وهو خطاب تحريضي اعتمدته السلطة في تعاطيها مع الملف فساهم في تأزيم الوضع. فليوفروا الامكانات والظروف الملائمة لعمل الاطباء قبل توجيه التهم اليهم. وليبحثوا أيضا عن اسباب عمليات الهجرة الجماعية التي يقوم بها المرضون الى المانيا.

ما مدى تجاوب الوزارة مع المنظمة بعد تشديدكم مؤخرا على معاناة عدد من الاطباء الشبان المباشرين بالمستشفيات من القلق والاكتئاب؟

نشرنا هذه الدراسة في جويلية 2024 ورغم ذلك لم نجد اذانا صاغية بالنظر لانقطاع التواصل مع السلط التي تعتمد منذ سنة 2021 طريقة احادية في اتخاذ القرارات. بل ان وزارة الصحة باتت تتعامل مع قطاع الصحة العمومية كثكنة عسكرية وتعمل على اصدار أوامر تهم الاطباء دون اعلام هياكل المهنة. للاسف هناك قطيعة كبيرة بين الوزارة ومنظوريها. اما في ما يخص حالة الاطباء الشبان النفسية فهم ليسوا بمعزل عما يجري داخل المجتمع الذي يعيش على وقع اوضاع اقتصادية واجتماعية مترديه. ولا يمكن لطبيب شاب يعيش في وضع مشابه ان يقدم الاضافة المرجوة.

الا يشكل ذلك تهديدا لصحة المريض؟

هذا مما لا شك فيه. وحتى قانون الواجبات الطبية يفرض على الطبيب الامتناع عن تقديم الخدمة في صورة العمل في ظروف غير جيدة والاطباء الشبان يشتغلون 36 ساعة بلا انقطاع ومطالبون بتقديم اداء جيد وبلا أية اخطاء.

لماذا احتفظت بصوتي في انتخابات السادس من أكتوبر؟

أنس الشابي

بصرف النظر عمّا قال وكتب رجال القانون وأساتذة كليات الحقوق وعمداؤها عن تصرّفات هيئة الانتخابات المسماة «إيزي»، وجدت نفسي يوم السادس من أكتوبر الماضي أمام ثلاثة أسماء مرشّحة لرئاسة الجمهوريّة قيس سعيد وزهير المغزاوي والعياشي زمّال.

فبالنسبة للعياشي زمّال وزهير المغزاوي هناك استحالة أن أصوّت لأيّ واحد منهما لأنّهما ساهما في عشريّة الخراب التي أدّت بالبلاد إلى ما هي عليه من هوان. فالمغزاوي وحزبه لم يكتفيا بالوزارة بل قاما بدور ستحاسبهما عليه الأجيال القادمة لمساهمتهما النشيطة في أكبر محاولة تزوير للتاريخ الوطني قامت بها المدعوّة سهام بن سدرين مسنودة بالثالوث الحاكم. ولم تتوقّف هذه الجريمة إلا بعد صدور بيانات من ثلّة من كبار المؤرّخين المشهود لهم بالعلم والوطنية أعادت الأمور إلى نصابها بكشف الأكاذيب والأساليب التي حاولت بها المذكورة استخدام التاريخ لتمرير مواقف سياسيّة لصالح حزب الانتقام الذي تسيّره حركة النهضة.

أمّا العياشي زمّال فلا أذكر له إلا تبعيّته وانتماءه لحزب الشاهد خائن الخائن الأكبر. إنّها سلالة من الخيانة لا خير في أوّلهم ولا في آخرهم. بطرح هذين الاسمين يبقى المرشّح الثالث قيس سعيد وهو الذي صوّتت له في انتخابات 2019 رغم أني لم أكن أعرفه قبل سنة 2011 إلا من خلال كتاب ألّفه صحبة المرحوم عبد الفتاح بن عمر أو مقال مطوّل نشره في جريدة «الصحافة» عنوانه «حرية ممارسة الشعائر الدينيّة في تونس» لم يخرج فيه عمّا هو رائج لدى المدرسة التقليدية الدينيّة في مسألة الردّة والقرآن والخلط بين الزمنين الإلهي والإنساني ممّا بيّنته بالتفصيل في مقال سابق بهذه الجريدة. الى جانب ذلك لم تُعرف عن قيس سعيد مساهمة سياسيّة لافتة للنظر فلا هو من معارضي النظام السابق ولا هو من المنتمين الناشطين للتجمع الدستوري وانما كان إلى السلامة أقرب.

بعد سنة 2011 ظهر قيس سعيد في وسائل الإعلام ومارس دور الأستاذ في مادّة القانون ملتزما من الناحية السياسيّة بحدود لم يتجاوزها فلم تعرف له أيامها خصومة علنيّة لا مع هذا الاتجاه ولا مع ذاك التنظيم. في الدور الثاني من انتخابات 2019 لم يكن أمامي سوى الاختيار بين قيس سعيد ونبيل القروي ولأنّ هذا الأخير من أتباع الخائن الأكبر ومن مروّجي التوافق الموبوء فقد فُرض عليّ التصويت لقيس سعيد حتى لا يصاب الوطن بكارثة أخرى. فاز قيس ولم أفرح لذلك ولكني قدّرت أنّه أفضل من منافسه وانّ البلاد لن تشهد على يديه المزيد من التعفّن فإن لم يكن قادرا على فعل الأفضل بحكم محدودية صلاحياته الدستوريّة فهو لا محالة سيساعد على الحدّ من التدهور الذي عليه أوضاع البلاد. مرّت الفترة الأولى من حكمه وهو مكبّل اليدين برئيس مجلس نواب لم يتوقّف عن إشعار خلق الله بأنّه الحاكم الفعلي للبلاد. من ذلك أنّه أنهى جلسة استدعى لها رئيس الجمهورية للنظر في اختيار رئيس حكومة وبعد الكلمة الافتتاحيّة للرئيس أنهى الغنوشي الجلسة بالقول إن الاختيار قد تمّ وهو ما دفع بالرئيس إلى إنهاء الاجتماع الذي لم يبدأ بعد، بجانب سطوه على البعض من اختصاصات قصر قرطاج. كلّ ذلك أدى إلى يوم 25 جويلية 2021 وما اتخذ فيه من قرارات فرح لها التونسيّون معتقدين أنّها بداية نهاية كابوس الإسلام السياسي الذي جثم على الصدور. غير أنّ الأيام الموالية أجهضت هذا الحلم وقلبت الفرح إلى تساؤل وتتالت الإجراءات التي لم تنزع إلى الإنهاء الجذري لمنظومة ما قبل 25 جويلية بل اكتفت بتحييد بعض الأسماء وبقيت الحال على ما هي عليه. ومن خلال متابعتي الدقيقة للشأن الديني ولتنظيمات وجمعيّات الإسلام السياسي وللتصريحات والتلميحات القليلة في هذا الشأن للسيّد رئيس الجمهورية لم أجد ما يمكن أن يشير إلى أنّنا بصدد الخروج بالبلاد من المخنق الذي وُضعنا فيه. ففي حين تمكّنت مصر من التخلّص من حكم المرشد في ظرف سنة واحدة ما زالت تونس الى حدّ الآن تعاني ويدلّ على ذلك:

1) الإبقاء على بؤرة القرضاوي رغم أنّها لم تتوقّف عن إصدار البيانات ضدّ الحكم الحالي خصوصا بعد إيقاف راشد الغنوشي.

2) تمكين حزب التحرير من حرية الحركة رغم أنّه لا يعترف بالنظام الجمهوري الذي ائتُمن الرئيس على حمايته وهو أمر على غاية قصوى من الغرابة. فنشاط حركة النهضة التي مكّنت هذا الحزب من رخصة العمل القانوني لتقويض أسس الدولة المدنيّة جُمّد . أمّا الحزب الذي هو أداة التخريب فيجد اليوم الرعاية من حكم 25 جويلية بحمايته المستمرة في ما يسمى مؤتمر سنة 2024 وفي الوقفات والمسيرات وإصدار جريدة وغيرها. والأغرب من كلّ ما ذكر أنّه نظم يوم 11 من الشهر الحالي تحت أنظار الأمن وقفة في شارع الزعيم دعا فيها إلى إقامة الخلافة ونظام دولي جديد. ربما كان ذلك منه احتفالا بفوز قيس سعيد بالرئاسة منذ الدور الأوّل.

3) إبّان حكم حركة النهضة صُرفت تعويضات كبرى لمنظوريها بعضها عن طريق هيئة بن سدرين وبعضها الآخر تمّ بصورة سرية وبمبالغ مهولة تحصّل عليها عدد ممّن تصدّروا المشهد السياسي

رأي

لسنوات. فقد نشر متفقد المالية رياض المعلاوي قائمة في أسماء المعوّض لهم والمبالغ التي صُرفت لهم ولأنّ المعلومة صحيحة لم يتجرّأ أي واحد ممّن ذُكرت أسماؤهم على تقديم قضيّة لتبرئة ذمّته. كلّ الردود لم تتجاوز حملة صحفية تتّهم الرجل بأنّه يعاني من اضطرابات نفسيّة. وقد سبق أن طالبتُ الرئاسة عبر هذه الصحيفة بكشف قائمة كاملة بمن تحصلوا على التعويضات التي أدّت إلى ما عليه البلاد من ضياع قيمة بين الأمم، ولكن الصمت كان سيّد الموقف.

4) استشهاد رئيس الدولة بغلاة السلفيّة من متحجّري الأمة من ذلك إشادته بالخضر حسين لمّا استقبل حفظة القرآن حيث ذكر أنّه أوّل من تحدّث عن الحرية في محاضرة له في الصادقيّة سنة 1926 والحال أنّ حديث الشيخ عن الحريّة لا يتجاوز المفهوم القديم الذي يقابل الرقّ والاستعباد ولا يحمل بأيّ حال من الأحوال الحريّة كما نفهمها اليوم، علما بأنّ هذا الشيخ كتب ردّا على كتاب طه حسين عن الأدب الجاهلي وكتب ردّا آخر على علي عبد الرازق في مسألة الخلافة مُهديا كتابه هذا إلى الملك فؤاد الأوّل ملك مصر الذي كان يطمح إلى تولي الخلافة بعد سقوطها على أيدي أتاتورك. أمّا الشخص الثاني الذي أشاد به فهو البشير النيفر جدّ احميدة النيفر الذي ظهر له مقال في شريط صامت أثناء مقابلة الرئيس رئيسة الحكومة نجلاء بودن وعنوانه «فصل الدين عن الحكومة» نُشر في المجلة الزيتونية ردّا على الدعوة إلى علمانيّة الحكومة. كما نُشر له كتاب في مصر كفّر فيه الطاهر الحداد عنوانه «شمول الأحكام الشرعيّة لأوّل الأمّة وآخرها» تستّر عليه احميدة في مؤلّفه عن جدّه بحيث لم يذكر إلا عنوانه فقط دون تعريف بمحتواه مثلما فعل مع الخطب والمقالات التي نقل بعضها كاملا وهو عنوان لا يشير إلى المضمون المتطرف الرافض لتحرير المرأة. وفي زيارة إلى الأسواق العتيقة المحاذية لجامع الزيتونة تحادث رئيس الدولة مع زائرتين جزائريتين مؤكّدا على عمق الروابط التاريخيّة بين البلدين مشيرا إلى دور جامع الزيتونة الذي درس فيه قسم من النخبة الجزائريّة غير أنّ ما لفت نظري قوله: «الهواري بومدين الله يرحمو كان في جامع الزيتونة مشاو نحاوه للأسف... قرا في جامع الزيتونة» وهو كلام يكشف عن الموقف المضمر لرئيس الدولة عن أهمّ منجز من منجزات دولة الاستقلال أي توحيد التعليم.

5) حال وصوله إلى الحكم عيّن الغنوشي في وزارة الشؤون الدينيّة المدعوّ نور الدين بن حسن الخادمي المعروف بشيخ التسفير الذي جعل من الوزارة هيكلا ضخما به 24 إدارة جهويّة ومئات الموظفين ممّن وقع اختيارهم من المتمتّعين بالعفو التشريعي الى جانب الترفيع من ميزانيتها سنويّا على حساب وزارة الثقافة مثلا. ومن المعلوم أنّ عضو مجلس شورى الحركة لطفي العمدوني الذي قضى 15 سنة في السجن محكوما في قضايا إرهابيّة هو صاحب الرأي النافذ فيها. كما أنّه تحصّل على الدكتورا من جامعة الزيتونة الكائن محلها في رحبة الغنم، ورغم أنّ هذه

الوزارة تديرها حركة النهضة الى حدّ الآن فإنّ الرئيس عيّن فيها في أوّل وزارة لها بعد قرارات 25 جويلية نهضويّا هو إبراهيم الشايبي الذي شارك في مناقشة رسالة عن الفكر التجديدي للغنوشي في رحبة الغنم. كما أنّ الذي عُيّن مكانه قبل مدّة قليلة لم يتخلّف عن إمضاء البيانات التي أعدّها عتاة التطرّف والتحجّر كهشام قريسة ونور الدين بن حسن الخادمي والمختار الجبالي خطيب «تنظيم أنصار الشريعة» وغيرهم. هكذا تُترك وزارة كاملة بموظفيها ومساجدها وجوامعها التي يبلغ عددها حوالي 5000 وتغطي أرجاء الوطن جميعها في أيدي الغنوشي.

6) لدينا في تونس نحلة على غاية قصوى من الخطورة تحمل تسميات متعدّدة كانت بدايتها اليسار الإسلامي ثم الإسلام المستقبلي وحاليا أصبحت «رابطة تونس للتعدّد والثقافة» كانت تصدر مجلة 15/21 ولديها منتدى الجاحظ. هذه النحلة نشأت منذ العهد البورقيبي وبقيت موجودة إلى اليوم وقد تمكّنت من الإفلات من المحاكمات والمصادرة إذ لم يتوقّف نشاطها حتى في أصعب الظروف التي مرّت بها الحركة الإسلامية لأنّها تملك قدرة عجيبة على التلوّن والزئبقيّة التي وصلت إلى حدود استغباء سلطة السابع من نوفمبر أثناء مواجهتها الإسلام الحركي بتعيينها احميدة النيفر مكلفا بمهمة في ديوان وزير التربية مسؤولا عن تحوير برامج التربية الإسلامية. هذه النحلة ينشط ضمنها شقيق الرئيس الذي كان عضوا في مجلس تحرير المجلة وكاتبا فيها وألقى في الفترات الأخيرة محاضرات على منبر الرابطة. وقد يتساءل المرء ما هو مبرّر التخوّف من هذه الرابطة ومن المنتسبين اليها ومن بينهم شقيق الرئيس؟ جوابا عن ذلك أقول إنّ احميدة النيفر مؤسس الجماعة وصاحب الرأي النافذ فيها شأنه شأن حركة النهضة لا يثبت على حال فتجده يقول الشيء ثم ينقضه بحيث لا يمكن لأيّ كان أن يطمئن لِما يقول أو يفعل لأنّه يخفي حقيقة ما هو عليه ولا يُظهر إلا ما يُرضي السامع. عُيّن احميدة النيفر مكلفا بمهمّة لدى محمد الشرفي بعد تسلّمه وزارة التربية سنة 1989 وعُزل في غرّة جويلية 1991 وفي 14 أوت 1991 أي بعد شهر ونصف فقط من تنحيته نشر صديقه الصحفي فهمي هويدي مقالا بمجلّة «المجلّة» العدد 601 بتاريخ 14 أوت 1991 جاء فيه: «كانت قضيّة ما سمّي بالخطر الأصولي مثارة في إحدى الدول المغاربيّة، وتولت وزارة التربية والتعليم شخصيّة ذات ميول ماركسيّة دعت إلى تطوير مناهج التعليم. وقالت الصحف آنذاك إنّ هدف التطوير هو تربية الأجيال الجديدة على روح المحبّة والتسامح وليس على قيم التعصّب والعنف. رحّب بعض الخبراء الإسلاميّين بالدعوة وقبلوا بالمشاركة في لجنة التطوير باعتبار أنّ الاسلاميين ايضا يتوقون الى مثل ذلك التطوير المنشود لأنّه الأكثر تعبيرا عن روح الإسلام ومقاصده. عندما بدأت اللّجنة أعمالها تبيّن أنّ التطوير المطلوب يستهدف (تجفيف منابع التديّن لدى الأجيال الجديدة للحيلولة دون انخراطها في جماعات التطرّف) . هكذا قال لي أحد الخبراء الإسلاميّين الذين لقيتهم مؤخّرا بعدما أبلغني بأنّه قدّم استقالته من اللّجنة بعدما انكشفت أمام عينيه حقيقة مهمّتها». بعد ذلك بحوالي 20 سنة نشر احميدة في جريدة «الصباح» بتاريخ 22 جوان 2008 مقالا عن محمد الشرفي ينقض فيه نفسه ويأتي برواية جديدة مخالفة للأولى تماما جاء فيها: «لكن ما أراه جديرا بالذكر في هذا الصدد أنني لم أتلقّ مرّة واحدة من الوزير ما يمكن أن يتضمّن تعليمات ذات خصوصيّة إيديولوجيّة معادية للإسلام عقيدة وسلوكا وحضارة». فأيّهما نصدّق وأيّهما يمكن أن يعوّل عليه المرء احميدة النيفر في مجلّة «المجلّة» أو احميدة النيفر في جريدة «الصباح»؟.

لكلّ ما ذكر أعلاه احتفظت بصوتي وبات إصبعي نظيفا من حبر هيئة الانتخابات المسماة «إيزي».

mahindra Rise
AUTOMOBILES ZOUARI
Célébrez l'Automne
Du 15 octobre au 30 novembre
PLEINS
D'AVANTAGES CLIENTS
5 ANS D'ENTRETIEN GRATUIT
TAUX PRÉFÉRENTIELS
PLEINS DE CADEAUX
VISITEZ NOTRE SITE | WWW.MAHINDRA-TUNISIE.COM

نهاية الأحزاب الكلاسيكية:
نحو حزب كونفدرالي

بقلم جمال بن جميع

على مدى عقود طويلة، كانت الأحزاب السياسية الكلاسيكية هي التي ترسم ملامح الديمقراطية وتنسج خيوط المشهد العام، مستندة إلى أيديولوجيات متصلبة ومؤسسات مترسخة. لكن هذا النموذج، الذي حكم الحياة السياسية والتنظيمات الانتخابية، بات اليوم يترنح أمام تيار التحولات السريعة التي تعصف بالعالم. أمام تحديات اجتماعية واقتصادية وبيئية لا تفتأ تتفاقم، أصبحت هذه الأحزاب عاجزة عن تقديم الحلول التي تطمح إليها الشعوب، مغرقة في خلافاتها الأيديولوجية وغارقة في عوالم بعيدة عن نبض الجماهير.

وفي المقابل، بدأت تنشأ حركات مدنية ومبادرات شعبية، تسعى لسد الفراغ الذي خلفته تلك الأحزاب المترهلة. ورغم حيوية هذه الحركات وقوتها، فإنها غالبًا ما تفتقر إلى التنظيم والهيكلة الضرورية لتحويل طاقتها إلى تغييرات دائمة. وفي هذا السياق، تبرز الحاجة إلى حزب كونفدرالي، حزب قادر على جمع شتات القوى المجتمعية، محافظًا على تنوعها وأصالتها، مع تمكينها من العمل معًا ضمن إطار تنظيمي مرن ومبني على البراغماتية والواقعية.

هذا المقال يستكشف كيف يمكن لهذا الانتقال إلى حزب كونفدرالي أن يكون ردًا عمليًا على أزمات الأحزاب التقليدية، ويمنح الأمل لجيل الشباب الطامح إلى التغيير والمساهمة في بناء مستقبل مشرق.

استنفاد الأحزاب التقليدية

الأحزاب السياسية، في صورتها الكلاسيكية، ولدت في القرن التاسع عشر بهدف تنظيم الحياة الديمقراطية وتمثيل مصالح الشعوب عبر أيديولوجيات متنوعة. لكنها اليوم تجد نفسها عاجزة عن مواكبة طموحات المواطنين الذين يمثلونها. لم يعد الناس يرون في هذه الأحزاب منبرًا لأصواتهم، بل باتوا يشعرون بالاغتراب عنها، حيث أصبحت هذه التنظيمات هياكل بيروقراطية بعيدة عن همومهم اليومية.

أحد أبرز مظاهر هذا الانفصال هو تزايد الامتناع عن التصويت، خاصة بين صفوف الشباب. هذا الامتناع لا يعكس فقط فقدان الثقة بالأحزاب، بل يعبر عن رفض عام للنظام السياسي التقليدي الذي لم يعد قادرًا على تقديم حلول فعلية. فالنقاشات الأيديولوجية التي كانت تشكل حجر الزاوية في البرامج السياسية أصبحت بالنسبة للكثيرين مجرد شعارات جوفاء لا تعكس تحديات الواقع.

علاوة على ذلك، فإن التقسيم التقليدي بين اليمين واليسار، الذي كان يشكل إطارًا لفهم السياسة، بات اليوم يبدو بلا معنى في ظل تغير أولويات المواطنين. فالناس اليوم يبحثون عن حلول ملموسة تتجاوز تلك الأطر القديمة التي لم تعد تلبي احتياجاتهم.

صعود الحركات الشعبية

مع تراجع الأحزاب التقليدية، ظهرت الحركات الشعبية كبديل حيوي وديناميكي. هذه الحركات، التي تنطلق من الأرض وتعبر عن نبض الشارع، تركز على قضايا محددة مثل العدالة الاجتماعية، حقوق الإنسان، أو حماية البيئة. وتتميز هذه الحركات بمرونتها وابتعادها عن الهياكل الهرمية الجامدة.

لقد حققت هذه الحركات نجاحات ملموسة في جذب الانتباه إلى قضايا محورية، وقدرتها على تحريك الشارع تعبّر عن تعطش الناس لمشاركة حقيقية وفعلية في صنع القرار. لكن، رغم كل هذا الزخم، تظل هذه الحركات تواجه صعوبة في الانتقال من الاحتجاج إلى التغيير الملموس. الافتقار إلى الهيكلة يعيقها عن تحقيق أهدافها على المدى البعيد.

ومع أن هذه الحركات تعبر عن رغبة عميقة في التغيير، إلا أنها تحتاج إلى إطار تنظيمي أقوى يتيح لها مواصلة العمل بفعالية ويحول دون تشتتها. ومن هنا تبرز الحاجة إلى هيكل يجمع هذه القوى المتفرقة، دون أن يحد من تنوعها أو يفرض عليها رؤية موحدة.

ضرورة حزب كونفدرالي

لتتحول هذه القوى المتناثرة إلى قوة سياسية قادرة على إحداث تغيير حقيقي ومستدام، فإنها بحاجة إلى هيكل تنظيمي جديد. وهنا تأتي فكرة الحزب الكونفدرالي، الذي يستطيع أن يجمع الحركات والمبادرات المختلفة في إطار واحد، مع الحفاظ على استقلاليتها وخصوصيتها.

ما يميز الحزب الكونفدرالي عن الأحزاب التقليدية هو قدرته على الجمع بين المرونة والتماسك. فبدلًا من فرض أيديولوجية موحدة على الجميع، يتيح هذا الحزب لأعضائه العمل بحرية، مع الاتفاق على أهداف مشتركة تجمعهم دون إلغاء التنوع داخل الحزب.

الحزب الكونفدرالي ليس مجرد بديل للأحزاب التقليدية، بل هو نموذج جديد تمامًا للتنظيم السياسي. إنه يتيح المجال للحركات الشعبية والمبادرات الفردية للتفاعل معًا، وتبادل الأفكار، والعمل على تحقيق أهداف عملية تخدم المصلحة العامة.

من خلال هذا الحزب، يمكن أن تتحول الحركات الشعبية من قوى احتجاجية إلى قوى بناءة، قادرة على تقديم حلول واقعية للمشكلات التي يواجهها المجتمع. فهو يوفر إطارًا تلتقي فيه المبادرات المتنوعة، من حماية البيئة إلى تعزيز العدالة الاجتماعية، تحت مظلة واحدة، مع الحفاظ على استقلالية كل مكون من مكوناته.

مفتاح نجاح الحزب الكونفدرالي

نجاح الحزب الكونفدرالي يتوقف على قدرته على البقاء واقعيًا وعمليًا. الأحزاب التقليدية غالبًا ما تغرق في النقاشات النظرية، بعيدة عن التحديات الحقيقية التي تواجه المجتمع. أما الحزب الكونفدرالي، فيجب أن يكون مختلفًا، مركزًا على تقديم حلول ملموسة تحقق تقدمًا حقيقيًا.

البراغماتية لا تعني التخلي عن المبادئ، بل تعني إيجاد الطرق المناسبة لتطبيقها على أرض الواقع. الحزب الكونفدرالي يجب أن يكون قادرًا على تقديم حلول فعلية، سواء في مجالات التعليم، البيئة، أو الاقتصاد. ومن خلال هذه الحلول العملية، يمكن أن يستعيد الناس ثقتهم في السياسة كمجال لتحقيق التغيير.

المرونة أيضًا هي عنصر أساسي في نجاح الحزب الكونفدرالي. في حين أن الأحزاب التقليدية تعتمد على هيكلية صارمة، يمكن للحزب الكونفدرالي أن يستفيد من التنوع داخله، مما يتيح له التكيف بسرعة مع التغيرات الاجتماعية والسياسية. هذا النموذج التنظيمي يسمح لكل منطقة أو مجموعة باتخاذ القرارات التي تناسبها، في إطار الرؤية العامة للحزب.

وأخيرًا، فإن النجاح يعتمد على قدرة الحزب على جمع الأصوات المتباينة تحت سقف واحد. بدلاً من فرض رؤية موحدة، يقدم الحزب الكونفدرالي ساحة للحوار والتفاهم، حيث يمكن لكل طرف أن يساهم برؤيته الخاصة دون التخلي عن استقلاليته. هذه المرونة تتيح تحقيق التوافق حول أهداف مشتركة، مع الحفاظ على التنوع والاختلاف.

أمل الشباب

إن تراجع الأحزاب التقليدية وصعود الحركات الشعبية يؤكدان الحاجة إلى إعادة التفكير في العمل السياسي. والحزب الكونفدرالي يمثل فرصة حقيقية لبناء نموذج جديد، يجمع بين التنوع والبراغماتية، ويقدم حلولًا ملموسة للمشاكل التي يواجهها العالم اليوم.

بالنسبة للشباب، الذين يبحثون عن دور فاعل في الحياة العامة، فإن هذا الحزب يوفر أفقًا جديدًا. هو فرصة للانخراط في السياسة بطريقة تتيح لهم المشاركة في صناعة مستقبل أكثر عدلًا واستدامة. إنه يعيد الأمل في إمكانية التغيير، ويقدم نموذجًا يحتضن تنوع الأفكار ويحولها إلى قوة حقيقية.

نهاية الأحزاب التقليدية لا تعني نهاية السياسة، بل هي بداية لحقبة جديدة. حقبة يقودها حزب كونفدرالي يعكس روح العصر، ويلبي تطلعات الشعوب في العدالة، والتقدم الاجتماعي، والتضامن الإنساني. للشباب، هو دعوة للانخراط في بناء عالم يليق بتطلعاتهم وآمالهم، عالم يتجاوز الأيديولوجيات المتكلسة، ويحتفي بالعمل المشترك لصالح الخير العام.

لماذا طلع علينا حزب التحرير الآن؟

صالح مصباح

كأغلب الظواهر، تقاس الظاهرة السياسية من زاويتين اثنتين،؛ المكان و الزمان، أو بسؤالي أين و متى. و شرط ذلك أن تكون الزاويتان تمييزتين أو تكون إحداهما.

في تمييزيّة المكان، يقول حسنين هيكل: « إذا أردت أن تفهم حدثا سياسيا أو ظاهرة، عليك أن تفتح الخريطة». و في تمييزية الزمان، على الناظر أن يسائل الظاهرة أو الحدث من جهة زمن ظهورها أو حصولها. فالمجانية في السياسة،أو الاعتباطية، قلماُيفسّر بها الحدث أو الظاهرة.

منذ أيام أطل على تونس حزبُ التحرير. و إطلالته في تونس غير تمييزية. فهو فيها كيان قائم الذات ناشط سواء كان محظيا بالتأشيرة التي منحته إياها حكومة حمادي الجبالي أو متمرّدا على حكم المنع تمردا مغفورا له من حكومات الإخوان ثم من حكومة «العلو الشاهق».

لكن إطلالته القوية الجلية الأخيرة هي من جهة الزمان إطلالة تمييزية تبعث على سؤال لماذا الآن؟.

1/حزب التحرير في»ولاية تونس»:

منذ أيام قليلة، ظهر هذا الحزب في «ولاية تونس»، و العبارة له، بصيغتين اثنتين؛ صيغة مؤتمره و صيغة مسيرته في شارع بورقيبة.

أما المؤتمر فقد انجزه إنجازا يختلف عن المؤتمر السابق. انعقد المؤتمر السابق قبل 25 جولية2021. و كان هذا الحزب وقتئذ تحت حكم المنع. لكنه تجاهل ذلك و شرع في مؤتمره شروعا مباشرا بموافقة حكم الإخوان الضمنية.

إلا أنّ الحزب الدستوري الحر نظم وقتئذ اعتصاما احتجاجيا على مؤتمر هذا الحزب الممنوع نشاطه، و المجاهر بإنكار الراية الوطنية و النظام الجمهوري و كيان تونس دولةً و شعبا و هويةً و سيادةً. كان احتجاج الحزب الدستوري الحر، بقيادة رئيسته عبير موسي، حادا جِدّةً مسنودةً أولا بالاعتراض على عقيدة هذا الحزب، و ثانيا بالحكم القضائي الصادر عليه بالمنع. و تبعا لهذا الاحتجاج من جهة، و للموافقة الإخوانية الضمنية من جهة ثانية، استأنف هذا الحزب مؤتمره فأنجزه عن بعد.

لكن مؤتمره هذا إنما انعقد بخلاف ما سبق، رغم عدم انتساخ الحكم المانع. فقد انعقد انعقادا مباشرا صريحا علنيا في كنف الإباحة المطلقة، و الإعلام المواكب، و الصور الموثقة، و المشاهد المُشهَرة، و الخطاب المعهود، و الراية السوداء ؛ راية الخلافة. فلا عبير في المكان،و لا اعتراض من حكومة العلوّ.

و زاد حزب التحرير على ذلك فنفّذ في شارع بورقيبة الذي سمعنا قبل أيام صوتا مانعا لقادم المظاهرات فيه. وجرت المظاهرة في خيلاء و وثوق ، تتخللها معلقات الخلافة الحضراء ، و للألوان سيميولوجيًا ، و شعاراتها المُغنّاة صوتا و جوقةً مردّدةُ و توشّيها أعلام الخلافة.

و ليس هذا المشهد المرعب بالغريب عن هذا الحزب. فهو هو هو. لكن الذي يدعو إلى التساؤل هو لماذا هذا المشهد الآن و ليس قبل ذلك أو بعده؟.

2 / حزب التحرير حزب احتياط؟

الزمن هو أيام قليلة بعد انتخابات رئاسية فاز فيها مرشح السلطة فوزا رسميا بما يفوق 90% من الأصوات و بإعراض سبعة ملايين عن التصويت. و قد حصّل المترشح الفائز ما يفوق المليونين من الأصوات، مقابل الملايين السبعة المعرضة. و الإعراض عن التصويت لا يختلف على الأرجح عن سوابقه. فالقسمة إلى حد كبير هي هي. الناخبون هم على الجملة أنصار الرئيس. و المُعرضون المعتادون على التصويت معارضوه.

والمتوقع جدا أن رصيد المترشح المنتخب هو نحو نصف ناخبيه هذه المرة. و هذا التقدير يستضيئ بكل الانتخابات السابقة و بشتى الاستبيانات.

على ذلك يبدو مفاجئا انضِيافُ ما يفوق المليون من الأصوات هذه المرة. لا بل لعله انضياف فاجأ فريق المترشح المنتخب. و من دلالات ذلك إظهار الخوف المشط من الخسارة أو من حسابات دور ثان. و ترجمان هذا الخوف هو المعلوم من التدابير و الاقصاءات و الحصون و الدروع.

يبدو أن مضاعفة ناخبي الرئيس جاءت بها خطةٌ محبوكة حبكا دقيقا مسبقا من وراء حجاب. فلعل هذا المضاف من الأصوات، والذي يفوق المليون، تأتّى من مصادر ثلاثة.

أما المصدر الأول فهو أهمية الرهان الرئاسي التي قلصت من الكتلة الصامتة التي لم تنتخب سابقا. و أما المصدران الآخران فهما إخوان النهضة و توابعهم و إخوان حزب التحرير. و المهندس، إن صح هذا الاحتمال، هو رئيس الحملة نوفل سعيد المقرب من الجهتين، شأنه في ذلك شأن المترشح و إن أزاح رؤوس الإخوان الأوائل. فكيف ذلك؟

أما إخوان النهضة فلعل التحوير الوزاري الذي سبق الانتخابات بأيام قد تلقوا فيه عربون الطمأنينة و التحفيز، و هو الأسماء الوزارية الأربعة المحسوبة عليهم بصيغة أو بأخرى. فأحدهم من حكومة الجمني التي لم تمرّ، و اثنان من حكومة المشيشي، و رابع من فلك نور الدين الخادمي. و ردّ قادة إخوان النهضة في الخارج التحيةَ. فقد دعوا أنصارهم و كل مَن في فلكهم إلى التصويت لسعيد. و فضلا على الصفحات الداعية إلى ذلك، فإن هبة ما بعد صلاة العصر المعهودة لم تخف على المتابعين. و من منظور حزبي محض، لا يخلو ردّ التحية هذا من دهاء إخواني و نفعية يطول الخوض فيهما.

أما إخوان حزب التحرير فإنّ الصورة في شأنهم أوضح. فبينهم و بين الرئيس و محيطه عروة عقائدية وُثقى لا تخفى. ذلك أنه رغم احتداد المطالبات بمنع هذا الحزب الحائز على مقر ترفرف عليه راية الخلافة و على نشرية منتظمة حوزا متصلا، فإن حكم العلو لم ينصت لأحد، و لم يتذكر الحكم القضائي، و أتاح لهم فوق ما أتاح لهم حكمُ إخوان النهضة.

ولعل الصفقة هي أن يؤجل حزب التحرير مؤتمره إلى ما بعد الانتخابات درءا للافتضاح، و أن يقدم عربون الولاء و التماهي بالتصويت، فينال بعد الانتخابات مباشرة فسحة متاحة هنيّة لإنجاز مؤتمره.

ولعل الأفق القادم بين سعيد و حزبي الإخوانين يتعدى مرحلة الانتخابات و ما بعدها مباشرة. فقد تكون الصفقة هي أن يضمن الحزبان لسعيد حزاما احتياطيا من المساندة في العهدة الجديدة، لا سيما أنه صار سياسيا خصيما لكل الكيانات، و صار لزاما عليه أن يعتصم ببني جلدته العقائدية. و نرجح أن القادم من الأيام سيفصح عن هذا الذي نقدر.

أزمة العلاقة بين الادارة التونسية والمواطن

بقلم بهيجة بالربيع بنرقية - أستاذة

نشأت الإدارة التونسية بعد الاستعمار في سياق تاريخي معقد. اذ دأبت تونس في بناء هياكلها عقب الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي في 1956. وسعت الحكومة الجديدة إلى تحديث الإدارة وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

تأسست الإدارة التونسية على أساس مقاربة مركزية، حيث تم توحيد الهياكل الإدارية وتطوير القوانين والأنظمة لتسهيل العمل الحكومي. تم التركيز على إنشاء مؤسسات جديدة تعكس السيادة الوطنية، وتطوير التعليم والتدريب الإداري.

كما شهدت الفترة بعد الاستعمار محاولة لإدماج التونسيين «من أعيان القوم » في الإدارة، حيث تم تشجيع الكوادر المحلية على تولي المناصب الإدارية. وعلى الرغم من التحديات الاقتصادية والاجتماعية، استطاعت الإدارة التونسية أن تحقق تقدمًا في مجالات عديدة مثل التعليم والصحة والبنية التحتية رغم التحديات الكبيرة في تشكيل إدارتها. وكان الهدف الرئيسي هو بناء دولة حديثة قادرة على تحقيق التنمية.

1. إصلاحات هيكلية

تحديث الإدارة: تم تطوير الهياكل الإدارية لتكون أكثر كفاءة، مع التركيز على ترسيخ مبادئ الشفافية والمساءلة.

إنشاء مؤسسات جديدة: تم تأسيس وزارات جديدة ووكالات حكومية مختصة في مجالات مثل التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

2. التوظيف والتكوين:

تشجيع الكوادر المحلية: تم إدماج الكوادر التونسية في المناصب الإدارية بعد عقود من الهيمنة الفرنسية، مع توفير برامج تدريبية لتعزيز مهاراتهم.

التعليم والتدريب: أُعيد تشكيل النظام التعليمي ليتماشى مع احتياجات الدولة الحديثة.

3. التنمية الاقتصادية:

استراتيجيات تنموية: تم وضع خطط تنموية تهدف إلى تحسين البنية التحتية وتعزيز الصناعات المحلية.

الزراعة والصناعة: كانت هناك جهود لتحسين الإنتاج الزراعي وتطوير الصناعة الوطنية.

4. التحول السياسي:

الاستقرار السياسي: استغلت الإدارة الجديدة الاستقلال لتعزيز الاستقرار السياسي، مما ساهم في جذب الاستثمارات وتحسين الظروف المعيشية.

5. التحديات:

رغم التقدم، واجهت الإدارة التونسية تحديات عديدة مثل الفساد، والبطالة، والفوارق الاجتماعية، مما تطلب جهودًا مستمرة للإصلاح والتكيف.

6. التوجه نحو الديمقراطية:

بعد الثورة في 2011، شهدت تونس تحولًا نحو الديمقراطية، حيث تم إعادة هيكلة الإدارة لتكون أكثر استجابة لمتطلبات المجتمع وتعزيز المشاركة الشعبية.

كل هذه العوامل ساهمت في بناء إدارة تونسية ،ولكن هل هذه الادارة تتمتع اليوم بالكفاءة المطلوبة لتحسين الخدمات ؟ وماهي أسباب أزمة العلاقة بين المواطن التونسي وحتى الأجنبي مع الإدارة ؟

تنبع الأزمة من عدة أسباب رئيسية:

1. فقدان الثقة: عدم الشفافية والمصداقية في تعاملات الإدارة تؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين. اذ ما من مواطن تونسي الا وتعرض الى هرسلة ادارية أو مرواغات في اسداء الخدمات أو تمويها في إسناد الحقوق الى أصحابها وتلكؤا وبطء في تنفيذ القرارات مع ما يصاحب ذلك من محسوبية وخدع قد لا يطالها القانون بالعقوبة تحرم أصحاب الحق من حقهم لتسنده الى غيره بالموالاة والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة .

2. البيروقراطية: الإجراءات المعقدة والمطولة تسبب إحباط المواطنين وتجعلهم يشعرون بأنهم غير مسموعين.

3. عدم الاستجابة: عدم تلبية احتياجات المواطنين أو التعامل مع شكاواهم بشكل فعال يؤدي إلى شعور بالإهمال.

4. تدني الخدمات: جودة الخدمات المقدمة من الإدارة العامة غالبًا ما تكون غير كافية، مما يؤثر على رضا المواطنين.

5. نقص المشاركة: عدم إشراك المواطنين في اتخاذ القرارات أو تخطيط السياسات يجعلهم يشعرون بالعزلة.

6. الفجوة الثقافية: اختلاف القيم والثقافات بين المواطنين والإدارة يمكن أن يسبب سوء فهم وتوتر. ولا أدل على ذلك من هذه الفجوة الرقمية التي تعيشها طبقة من العمال الكادحين الذين فاتهم ركب تعلم مهارات الدخول على الفضاءات الرقمية ليفقدوا حقوقهم في الترقيات أو في الالتحاق بوظائف أخرى ولا حق لهم في التظلم لأن المعاملات اليوم أصبحت تعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي ، وقد لا تتوفر للجميع لعزوف عنها أو لعدم امتلاكهم حواسيب وأجهزة هواتف ذكية أو لأسباب أخرى ..

أهداف رقمنة الادارة التونسية

1. تسهيل الوصول إلى المعلومات:

تتيح التكنولوجيا للمواطنين الوصول السريع إلى المعلومات حول الخدمات الحكومية، مما يسهل عليهم فهم حقوقهم وواجباتهم.

2. التواصل الفعّال: توفر وسائل الاتصال مثل البريد الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي منصات مباشرة للتواصل مع الجهات الحكومية، مما يمكن المواطنين من تقديم الشكاوى والاقتراحات بشكل أسرع.

3. الشفافية والمشاركة: تعزز التكنولوجيا الشفافية في العمليات الإدارية، حيث يمكن للمواطنين متابعة الإجراءات الحكومية والمشاركة في اتخاذ القرارات من خلال الاستطلاعات والتطبيقات.

4. تسريع الإجراءات: تساعد الأنظمة الرقمية في تسريع تقديم الخدمات، مما يقلل من الوقت المستغرق في إنجاز المعاملات.

5. تقديم الخدمات الإلكترونية: تتيح الحكومات تقديم خدمات إلكترونية متنوعة، مما يسهل على المواطنين إنجاز معاملاتهم من منازلهم دون الحاجة للذهاب إلى المكاتب.

6. تحليل البيانات: تساهم التكنولوجيا في جمع وتحليل البيانات حول احتياجات المواطنين، مما يساعد في تحسين السياسات والخدمات المقدمة.

بالمجمل، تعزز وسائل الاتصال والتكنولوجيا من فعالية الإدارة وتساعد في بناء علاقة أكثر تفاعلاً وشفافية مع المواطنين.

ما مدى نجاعة رقمنة الادارة التونسية؟ ولماذا تأزمت علاقة التعامل بين المواطن التونسي والادارة؟

لم تسهل وسائل التواصل الاجتماعي التعامل بين المواطن والإدارة بشكل كبير، اذ ظل محدودا ومحفوفا بالعديد من الصعوبات أهمها تحكم الادارة في زر التواصل اذ تخرج مواقعها عن الخدمة لتسلب حقوق الكثيرين بفوات أجل التسجيل كما يحدث الآن مع مندوبيات التعليم . كما يجد المواطن صعوبات جمة في استخراج جواز السفر والتأشيرة ورخص السياقة وغيرها من الأمور التي أصبحت في بلدان أخرى تنجز آنيا وفي ظروف شديدة السلاسة والسهولة .

ما يجب أن توفره الرقمنة اليوم للمواطن التونسي وواقع الحال يتلخص في ما يلي :

1. التواصل الفوري: تمكن المواطنين من التعبير عن آرائهم ومشاكلهم بسرعة وسهولة، مما يعزز من التفاعل المباشر مع الإدارات. ولكن الرد يكاد يكون منعدما في أغلب الأحيان .

2. الشفافية: تتيح هذه الوسائل للإدارات نشر المعلومات والقرارات بشكل علني، مما يزيد من مستوى الشفافية والمساءلة. ولكن اداراتنا للأسف تجد ثغرات تحرم بها أصحاب الحق من حقوقهم كتغييب بعض المعلومات عمدا أو إسقاطها بعد مدة من نشرها .

3. المشاركة المجتمعية: توفر منصات التواصل فرصة للمواطنين للمشاركة في النقاشات العامة وتقديم الاقتراحات. وغالبا تظل هذه الاقتراحات معلقة ولا يؤخذ بها .

4. استجابة سريعة: تسهم في تحسين استجابة الإدارات لمشكلات المواطنين، حيث يمكن متابعة الشكاوى والتعليقات بشكل مباشر. ولكن حلها لا يلقى نفس الاهتمام فتظل الأمور شكلية بإمتياز

5. توسيع دائرة النقاش: تساعد على جذب الانتباه لقضايا معينة، مما يساهم في رفع الوعي العام ودعم الحملات التوعوية.

1. تسهيل الوصول إلى المعلومات:

تتيح التكنولوجيا للمواطنين الوصول السريع إلى المعلومات حول الخدمات الحكومية، مما يسهل عليهم فهم حقوقهم وواجباتهم. وتبقى هذه المعلومات نظرية وتفتقر الى التطبيق

2. التواصل الفعّال: توفر وسائل الاتصال مثل البريد الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي منصات مباشرة للتواصل مع الجهات الحكومية، مما يمكن المواطنين من تقديم الشكاوى والاقتراحات بشكل أسرع.

3. الشفافية والمشاركة: تعزز التكنولوجيا الشفافية في العمليات الإدارية، حيث يمكن للمواطنين متابعة الإجراءات الحكومية والمشاركة في اتخاذ القرارات من خلال الاستطلاعات والتطبيقات.

4. تسريع الإجراءات: تساعد الأنظمة الرقمية في تسريع تقديم الخدمات، مما يقلل من الوقت المستغرق في إنجاز المعاملات.

5. تقديم الخدمات الإلكترونية: تتيح الحكومات تقديم خدمات إلكترونية متنوعة، مما يسهل على المواطنين إنجاز معاملاتهم من منازلهم دون الحاجة للذهاب إلى المكاتب.

كيف تخرج الإدارة التونسية من أزمة الثقة مع المواطن؟

لبناء علاقة ثقة بين المواطن والإدارة لا بد من اتباع عدة استراتيجيات منها

1. الشفافية والمساءلة:

نشر المعلومات: يجب على الإدارة توفير معلومات واضحة حول السياسات والقرارات والإجراءات.

آليات المساءلة: إنشاء قنوات تسمح للمواطنين بمساءلة المسؤولين والتعبير عن شكاواهم.

2. تحسين جودة الخدمات:

تطوير الخدمات العامة: تحسين كفاءة الخدمات المقدمة للمواطنين مثل الصحة والتعليم والنقل.

تقييم الأداء: إجراء تقييم دوري لجودة الخدمات وتفاعلها مع احتياجات المواطنين.

3. تعزيز المشاركة المجتمعية:

استشارة المواطنين: إشراك المواطنين في صنع القرار عبر استبيانات وورش عمل.

تفعيل المجالس المحلية: دعم المجالس المحلية لتمكين المواطنين من التأثير في القرارات المحلية.

4. محاربة الفساد:

تطبيق قوانين صارمة: وضع آليات قانونية لمنع الفساد ومعاقبة المتورطين.

تشجيع الشفافية المالية: ضمان الشفافية في الصفقات العامة والموازنات.

5. التواصل الفعّال:

حملات توعية: تنظيم حملات لزيادة الوعي حول حقوق المواطنين وكيفية الوصول إلى الخدمات.

استراتيجيات التواصل: استخدام وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي للتفاعل مع المواطنين.

6. تحسين بيئة العمل الإداري:

تدريب الموظفين: تقديم دورات تدريبية لتحسين مهارات الموظفين في التعامل مع المواطنين.

تحفيز الموظفين: مكافأة الموظفين المتميزين في تقديم الخدمة وتحقيق رضا المواطنين.

ماهي الحلول الناجعة لتجاوز أزمة الثقة بين المواطن التونسي والإدارة ؟

7. تنفيذ إصلاحات هيكلية:

إعادة هيكلة الإدارة: النظر في هيكلة الإدارة لتكون أكثر فعالية ومرونة في الاستجابة لمتطلبات المواطنين.

من خلال تطبيق هذه الاستراتيجيات، يمكن للإدارة بناء الثقة مع المواطنين وتعزيز العلاقات الإيجابية بين الجانبين.

العدالة العلمية المقلوبة والجامعة التونسية

بقلم محفوظ السعيدي استاذ جامعي بجامعة القيروان وجامعه تونس

أو أي مصير للعدالة العلمية في الجامعة التونسية؟

لأن قيمة الجامعة في كل انحاء العالم مشروطة بقيمة العدالة العلمية في اركانها، ولان الجامعة التونسية جزء من جامعات العالم،فانني ساطرح في هذا المقال موضوعا حيويا وعلى غاية من الاهمية، وهو منزلة العدالة العلمية في الجامعة التونسية خاصة وان هذه العداله هي جزء من القيمة الاعتبارية والنوعية للجامعة التونسية، والتي راهن عليها الجامعيون في كل ربوع الوطن. لكن اود الاشارة هنا الى ان احد معالم هذه العدالة العلمية هو لجان انتداب المدرسين الجامعيين بكامل اصنافهم واسلاكهم،الا أن بعض اعضاء لجان الانتداب حادوا عن هذه القيمة العلمية للعدالة الاكاديمية والعلمية الجامعية من خلال ارتكاب مظالم قاسية في حق الاساتذة الجامعيين وعدالة المناظرة العلمية.

هذه المظالم التي اكتوى بها بعض الاساتذة الجامعيين تتمثل في النقاط التالية هي:

– سوء استغلال المبدأ القائل بأن اللجنة سيدة نفسها، وبالفعل ان هذا ما يؤدي الى تحويل وجهة هذا المبدا لفائدة المقررين في هذه اللجان الى الدرجة التي يزعم فيها بعض الاعضاء بأنهم في رتبة الالهة، وبأنهم لا يخطئون و بأن لهم الحق المطلق في المظلمة المطلقة.

–العمل بخلاف الصيغ المتداولة في إجراء التقييم الأولي و المحادثات الشفوية

– تحويل المناظرة إلى مناسبة للتهكم والخروج عن المناقشة العلمية

–التنمر وتوجيه الفاظ وعبارات غير اخلاقية للمترشحين: أبين هنا مثلا بأن مقررا في احد اللجان تفوه بكلمات لا علاقة لها بالمعاملة العلمية مثل: انت لديك اسهال...وأستغرب كيف نشر لك الانجليزيون كتاباتك بالانجليزية....

– معاقبة المترشح بسبب انتماءه النقابي. احد المقررين في لجنه بدا مناقشته للملف العلمي لاحد المترشحين بالقول له حرفيا: انت نقابجي وتكتب وانت نقابجي

–تعمد تعيين مقرر لمترشح كان قد قدم ضده شكوى الى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

–تحويل وجهات المناظرات من خلال الغاء الاختصاصات المعلنة: هذا واضح من خلال اقدام لجنة إنتداب أستاذ مساعد في الفلسفة على الغاء اختصاصات كانت قد اعلنت عنها في صفحة الوزارة بالرغم من ان المترشحين قدموا ملفاتهم العلمية كل حسب الاختصاص المعلن عنه ثم ان كل مترشح تسلم وثيقة تسجيله بالإختصاص الاذي ترشح له.

– إرسال شبكات التقييم بعد تقديم المترشحين لملفاتهم العلمية

– عدم الالتزام بتطبيق شبكه التقييم

–إرتكاب بعض المقررين لاخطاء علمية واضحة وتقييم ملفات المترشحين استنادا الى هذه الاخطاء. مثلا إن كل العلماء وقاعدة البيانات العلمية العالمية السيفيار يعتبرون بأن البيداغوجيا علم،وبأن الكتاب البيداغوجي كتاب علمي،لكن هناك مقرران في اللجنة المذكورة زعما بأن الكتاب البيداغوجي ليس كتابا علميا.

– عدم تمكين بعض المترشحين من معرفة اعدادهم ونتائج اعتراضاتهم على التقييم في مرحله الفرز الاولي للملفات العلمية

–خلل في تركيبة بعض اللجان العلمية،ويتمثل في وجود مترشحين لهم شهائد علمية أكثر نوعيا وكميا من الشهائد التي لدى بعض المقررين.

– تقييم اللجان العلمية لأطاريح وأطروحات الدكتوراه .المفروض اخلاقيا وعلميا هنا هو عدم تقييم الأعمال العلمية المقيمة والمحكّمة سايقا من طرف أساتذة التعليم العالي الأكثر منهم درجة علمية،فالأستاذ المحاضر مثلا لاينبغي أن يقيم الدكتوراه التي أطرها وأشرف عليها أساتذة تعليم عالي وأساتذة تعليم عالي مميزون.

في هذا السياق يكون من الضروري على وزارة التعليم العالي و البحث العلمي أن تعين لجنة حكماء تضم كفاءات علمية محايدة يلجأ إليها المترشحون المنتهكة حقوقهم بسبب أخطاء فكرية يقوم بها بعض المقررين في لجان إنتداب أستاذ مساعد،ويكون دورها الحسم في جملة الأخطاء التي ترتكب والتي تعصف بالعدالة العلمية وبالقيمة العلمية لمناظرات انتداب الأساتذة الجامعيين.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل ڤويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرڤية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

المفكر الأمريكي مايك ويتناي:

إذا هاجمت إسرائيل إيران، فلن تقف روسيا على الحياد

سلاح الجو الاسرائيلي:هل يشارك وحده في الهجوم على ايران؟

تحت هذا العنوان كتب مايك ويتناي المفكر الامريكي المختص في الشؤون العالمية:

«لا أعتقد أن هناك التزاماً ضمنياً يقع على عاتق الولايات المتحدة لتسير مثل بغل غبي على خطى كل ما يفعل الإسرائيليون. فإذا قررالاسرائيليون شن حرب، لمجرد افتراض أننا سوف ننجر إليها تلقائياً، فإنني أعتقد أن من واجب الصداقة أن نقول لهم: « لن تتخذوا قراراً وطنياً نيابة عنا». وأعتقد أن من حق الولايات المتحدة أن تكون لها سياسة أمن قومي خاصة بها». زبيغنيو بريجنسكي

لقد كانت مؤسسة السياسة الخارجية الامريكية في الماضي تضم رجالاً قادرين على التفكير الاستراتيجي. ولكن الأمر لم يعد كذلك الآن. فما يُعَد تفكيراً استراتيجياً الآن هو مجرد تكرار لا ينتهي لحجج اسرائيلية ينطق بها جنرالات متقاعدون في خدمة مجمع صناعة الأسلحة وجماعات الضغط الإسرائيلية. وهؤلاء الرجال ـ الذين يمثلون آراء نسبة ضئيلة للغاية من إجمالي السكان ـ يشكلون جزءاً أساسياً من الآلة الأكبر التي تعد الرأي العام للتدخل والتصعيد والحرب. وتتلخص مهمتهم الحالية في إقناع الشعب الامريكي بأن الهجوم الإسرائيلي الوشيك على إيران يخدم مصالح الأمن القومي الامريكي، وهو ما لا يخدم مصالح امريكا بالطبع. والواقع أن البلاد تتجه الآن نحو حرب دموية من شأنها أن تؤدي على الأرجح إلى انحدار حاد في القوة العالمية للولايات المتحدة، ثم إلى نهاية سريعة لما يسمى «القرن الامريكي».

لقد تنبأ بكل هذا أحد أبرز المحللين الامريكيين في مجال السياسة الخارجية، هو زبيغنيو بريجنسكي، الذي وجه تحذيراً بشأن موضوع إيران قبل أكثر من عقد من الزمان في مقال رأي نشرته له صحيفة لوس أنجلس تايمز . وفي ما يلي ما قال:

إن الهجوم على إيران سوف يكون بمثابة حماقة سياسية، وسوف يؤدي إلى إحداث ثورة تدريجية في الشؤون العالمية. ومع تزايد العداء الواسع النطاق تجاه الولايات المتحدة، فإن عصر التفوق الامريكي قد ينتهي قبل الأوان . ورغم أن الولايات المتحدة تهيمن بوضوح على العالم في الوقت الحالي، فإنها لا تمتلك القوة ولا الارادة الداخلية لفرض إرادتها ثم دعمها في مواجهة مقاومة طويلة الامد ومكلفة.

لقد حان الوقت إذن لكي تتمالك الإدارة الامريكية نفسها وتفكر بطريقة استراتيجية ، من منظور تاريخي، ومن منظور الولايات المتحدة. لقد حان الوقت لتهدئة خطابها. ولا ينبغي لها أن تنقاد الى ميولات عواطفها أو لشعورها بأنها مكلفة بمهمة دينية.إن خيارنا الآن هو إما أن نندفع إلى مغامرة متهورة تلحق ضرراً عميقاً بالمصالح الوطنية الامريكية في الأمد البعيد، أو أن نتعامل بجدية مع مسألة إعطاء المفاوضات مع إيران فرصة حقيقية.

إن من شأن التعامل مع إيران باحترام وفي إطار منظور تاريخي أن يساعد على تحقيق هذا الهدف. ولا ينبغي للسياسة الامريكية أن تتأثر بالأجواء المفتعلة الحالية من الاستعجال والتي تذكرنا بما سبق التدخل المضلل في العراق. (لقد مررت بهذا، وفعلت ذلك ، زبيغنيو بريجنسكي، لوس أنجلوس تايمز.)

لقد قلت هذا بشكل جيد. ولا يسعني إلا أن أتمنى أن يقوم المعلقون الأغبياء على قنوات الأخبار التلفزية بتداول هذا المقال في ما بينهم.

احببنا أم كرهنا قدم بريجنسكي تحليلاً متماسكاً وموثقا بشكل جيّد وقيّم بعين محايدة إن كانت تكاليف عملية بعينها أكبر من الفوائد. وفي هذه الحالة، لا مجال للمقارنة على الإطلاق. إن الولايات المتحدة تندفع نحو صراع لا يخدم أية مصلحة وطنية، ولا يمكنها الانتصار فيه، وسوف يخلف تأثيراً كارثياً على مستقبل الأمة. وهنا بريجنسكي مرة أخرى:

ليس من الضروري توسيع نطاق الصراع في المنطقة لأنه من المرجح أن يؤدي تأجيجه ليشمل الايرانيين الى إعادة إشعال فتيله في العراق وإشعال حريق في الخليج الفارسي، ومضاعفة سعر برميل النفط بمرتين أو بثلاثة أو حتى بأربعة.. وسوف تصبح أوروبا أكثر اعتماداً على روسيا في الحصول على الطاقة.. إذن ما هي الفائدة بالنسبة لنا؟

كل ما أعرف كمحلل للسياسة الدولية هو أن (حرباً مع إيران) ستكون كارثة. وبصراحة، أعتقد أنها ستكون كارثة بالنسبة لنا أكثر منها لإسرائيل، لأن الحرب ستؤدي إلى إجبارنا

إن حربا مع إيران ستمثل كارثة لأمريكا أكثر منها لإسرائيل لأنها ستؤدي إلى إجبارنا على الخروج من المنطقة وإذا تم طردنا فكم نراهن على بقاء إسرائيل؟

سبيغنيو بريجنسكي

على الخروج من المنطقة ... بسبب الكراهية الديناميكية التي ستنشأ. ولا ينبغي لنا أن نخدع أنفسنا، فإذا امتد الصراع، فسوف نكون وحدنا... وإذا تم طردنا، فكم نراهن على بقاء إسرائيل؟ أكثر من خمس أو عشر سنوات؟(زبيغنيو بريجنسكي، شبكة أخبار ريال)

إن هذا لن يمثّل كارثة بالنسبة للولايات المتحدة فحسب، وإنما أيضا بالنسبة لإسرائيل، والتي سوف تذبل وتذبل في غضون خمسة أو عشرة أعوام في غياب الدعم «غير المشروط» من جانب واشنطن. ولعل هناك من يختلف مع هذا التحليل ولعل هناك من يعتقد أن مستعمرة صغيرة عدائية في قلب العالم العربي ـ والتي بذلت كل جهد ممكن لتحويل نفسها إلى مصدر إزعاج شديد طيلة الأعوام الخمسة والسبعين الماضية ـ قد تتمكن من البقاء على قيد الحياة من دون مساعدة الولايات المتحدة

أعتقد أن هذا ممكن، ولكن من غير المرجّح أن يحدث. هذا مقتطف من مقالة نشرتها شبكة إن بي سي نيوز منذ أيام:

«يعتقد المسؤولون الامريكيون أن إسرائيل حدت من الاهداف التي ستضربها في ردها على الهجوم الايراني وذلك بالاقتصار على استهداف البنية التحتية العسكرية والطاقية الإيرانية.

وليس هناك ما يشير إلى أن إسرائيل ستستهدف المنشآت النووية أو ترتكب عمليات اغتيال ، لكن مسؤولين أمريكيين أكدوا أن الإسرائيليين لم يتخذوا قرارا نهائيا بشأن كيفية وموعد ردهم.

ولا تعرف الولايات المتحدة متى قد يحدث الرد الإسرائيلي، لكن مسؤولين قالوا إن الجيش الإسرائيلي مستعد وجاهز للرد في أي وقت بمجرد صدور الأمر إليه.

وتستعد الولايات المتحدة للدفاع عن مصالحها في المنطقة من أي هجوم مضاد فوري من إيران، لكن من غير المرجح أن تقدم دعما عسكريا مباشرا للعملية.

تحدث وزير الدفاع لويد أوستن مع نظيره الإسرائيلي يوآف غالانت وناقشا الخطوط العريضة للرد الإسرائيلي. ومع ذلك، ليس من الواضح ما إذا كان غالانت قد قدم أي تفاصيل ملموسة (إن بي سي نيوز).

مؤخرا، ظهرت أكثر من 10 مقالات على Google News بنفس العنوان تمامًا: «لقد حدّدت إسرائيل الاهداف التي ستقصفها». الانطباع الذي من المفترض أن يخلقه هذا الشعار هو أن

العمل العدواني الإسرائيلي الصارخ هو في الواقع دفاع عن النفس متزن ومدروس. يا لها من مزحة؛ ويا له من إذلال لإدارة بايدن التي لا تعلم حتى كيف سيتم استخدام قنابلها وطائراتها وطائرات التزود بالوقود ودعمها اللوجستي. متى أصبحت الولايات المتحدة كبش فداء جبان يسمح لنفسه بأن تتقاذفه عصابات تل أبيب؟ إنه أمر صادم.

ما ضاع في خضم الضجة المحيطة بالهجوم الإسرائيلي الوشيك على إيران، هو أن روسيا تدير سراً حملتها الدبلوماسية الخاصة بهدف تعزيز دفاعات إيران والاستعداد للمواجهة المقبلة.

فقد التقى منذ أيام بوتين بالرئيس الإيراني مسعود بيزشكيان في عشق آباد بتركمانستان لمناقشة الوضع المتدهور في الشرق الأوسط واحتمال اندلاع حرب إقليمية. وكان الهدف من هذا الاجتماع الذي تم التخطيط له بعناية هو إظهار أن روسيا تعتبر إيران صديقاً وحليفاً يمكنه الاعتماد على دعم روسيا إذا اندلعت الحرب. وقبل ذلك، أصدر وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف تحذيراً مقلقا بأن أية ضربة إسرائيلية للمنشآت النووية المدنية الإيرانية ستشكل «استفزازاً خطيراً».

وفي مؤتمر صحفي عقده في لاوس، أكد لافروف أن إيران ـ وفقاً للوكالة الدولية للطاقة الذرية ـ ملتزمة بالقواعد الحالية وأنها لم تحول وجهة أية مواد نووية إلى برامج أسلحة محظورة. (مزاعم إسرائيل الزائفة في هذا الشأن ليست أكثر من دعاية).

إذا تم تنفيذ أي خطط أو تهديدات بمهاجمة المنشآت النووية السلمية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، فإن ذلك سيكون في الواقع استفزازاً خطيراً للغاية.

وبين تعاليق لافروف واجتماع بوتين، لم يعد هناك شك في أن موسكو تدعم إيران في صراعها مع إسرائيل، رغم أنه من غير الممكن معرفة ما إذا كانت روسيا ستتدخل بشكل فاعل إذا اندلعت الحرب. (يجب أن نتذكر أيضًا أن رئيس الوزراء الروسي ميخائيل ميشوستين زار طهران قبل يومين فقط من إطلاق إيران لهجومها الصاروخي الباليستي على إسرائيل. وهذا يشير إلى أن طهران حصلت على الضوء الأخضر من موسكو لاتخاذ إجراء يتوافق مع فكرة بوتن عن «الرد المتناسب»).

إن النقطة التي نؤكد عليها هنا هي أن روسيا تتابع التطورات عن كثب، وقد نقلت معدات عسكرية إلى ساحة المعركة المحتملة. ومن المنطقي أن نفترض أن روسيا سوف تنخرط في قتال مع أعداء إيران إذا كان هذا هو ما يتطلب الموقف. وقد لخص المحلل العسكري ويل شرايفر الأمر على النحو التالي:

«لا أستطيع أن أفهم كيف لا يدرك المزيد من الناس أن القتال إلى جانب إيران ضد الإمبراطورية ليس خيارًا بالنسبة لروسيا، وإنما ضرورة وجودية. وهو أيضًا شيء استعد له الروس بحماس منذ صيف عام 2022.»

والا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن روسيا وإيران عززتا علاقاتهما العسكرية بشكل كبير على مدى السنوات القليلة الماضية إلى الحد الذي

متى أصبحت الولايات المتحدة كبش فداء جبان يسمح لنفسه بأن تتقاذفه عصابات تل أبيب؟

منظومة الدفاع الجوي الروسية «أس 400» وصلت الى إيران؟

جعل كل منهما ملتزمة علناً بأمن الأخرى.

وحول هذه النقطة يقول شرايفر:

«لقد شكلت روسيا والصين وإيران الآن تحالفاً عسكرياً واقتصادياً بحكم الأمر الواقع ـــ وهو ما يفضل قادتها تسميته «شراكة». وفي حالة روسيا والصين، نشأت شراكة شاملة كاملة النطاق: عسكرية واقتصادية ونقدية «...

تجري روسيا والصين وإيران مناورات عسكرية مشتركة منتظمة في بحر العرب . وقد زادت هذه المناورات من حيث النطاق والوتيرة في السنوات الأخيرة.

وتستثمر كل من روسيا والصين مبالغ ضخمة من رأس المال في إيران، ومعظمها في قطاع الطاقة وفي مشاريع النقل الطموحة التي تهدف إلى بناء ممرات تجارية سريعة وفعالة تربط بين الصين وإيران وروسيا باعتبارها عقداً أساسية للتجارة الأوراسية... وقد وصلت عمليات نقل الأسلحة والتكنولوجيا بين البلدان الثلاثة إلى مستويات غير مسبوقة ...

لقد بات من الواضح بشكل متزايد أن روسيا والصين وإيران تدرك أن من شأن أي هجوم على أية دولة منها أن يشكل تهديداً وجودياً لها جميعاً. والآن أصبحت المصالح الاستراتيجية للدول الثلاث متشابكة بشكل لا ينفصم. والأمر الأكثر أهمية هو أنها متحدة في هدف استراتيجي واحد شامل: تفكيك هيمنة الإمبراطورية الأنغلوأمريكية التي حكمت المنطقة لفترة طويلة.

في حالة نشوب حرب بين الولايات المتحدة وإيران، فإن روسيا والصين ستدعمان إيران بنشاط ... وسوف يتم تزويد إيران ببساطة بالأسلحة وغيرها من الضرورات اللوجستية من طرف الشريكين ـــ وربما يتم وضعها تحت مظلتيهما النوويتين كخطوة صريحة للردع.

وفي صورة اصرار روسيا والصين وإيران على العمل بشعار « الجميع من أجل واحد وواحد من أجل الجميع» فإن الدول الثلاث تمثّل مزيجًا من القوة العسكرية والاقتصادية العالمية التي لا يمكن هزمها. («الكل من أجل واحد والواحد من أجل الجميع ، ويل شرايفر، تويتر).

ويشاطر رأي شرايفر عدد كبير من المحللين الذين يمنع عليهم (بطبيعة الحال) نشر آرائهم في وسائل الإعلام الرئيسية. ولكن هذا لا يغير من حقيقة أساسية تتمثل في أن روسيا وإيران حليفتان استراتيجيتان ستتدخلان عسكرياً إذا وجدتا نفسيهما في خطر.

لقد شكّلت روسيا والصين وايران تحالفا عسكريا واقتصاديا وهي تدرك أن من شأن أي هجوم على أي منها أن يشكل تهديدا وجوديا لها جميعا وهذه الدول متحدة لا يمكن هزمها لأن الشعار الجامع بينها هو «الجميع من أجل واحد، وواحد من أجل الجميع».

ومن الجدير بالذكر أن إيران تزوّد الصين بنحو 15% من النفط الذي تحتاجه وأنها شريكة نشطة في ممر النقل الدولي من الشمال إلى الجنوب (وهو عبارة عن شبكة لنقل البضائع متعددة الوسائط بطول 7200 كلم تربط عبر السفن والسكك الحديدية والطرقات بين الهند وإيران وأذربيجان وروسيا وآسيا الوسطى وأوروبا)، وهي «تقع عند مفترق طرق آسيا الوسطى وجنوب آسيا والدول العربية في الشرق الأوسط».

إن موقع إيران الاستراتيجي ومواردها الطبيعية الهائلة تجعلها جزءًا أساسيًا من النظام العالمي المتعدد الأقطاب الناشئ الذي بصدد الحلول بسرعة محل نظام واشنطن المتهالك القائم على القواعد. ولا يمكن لروسيا ولا للصين السماح بتدمير إيران أو الإطاحة بحكومتها. وفي ما يلي المزيد من المعلومات الأساسية من المؤلف الدكتور ديجبي جيمس رين على Substack:

واتفق الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على توقيع اتفاقية شراكة استراتيجية شاملة مع إيران . وجاء ذلك في أعقاب زيارة قام بها سكرتير مجلس الأمن الروسي إلى طهران، وسبقتها زيارة قام بها مستشار الأمن القومي الإيراني إلى سانت بطرسبرغ. وحسب ما ورد وصف بوتين الاتفاقية بأنها «ملائمة» وسيتم توقيعها «على أعلى مستوى « .

وحسب وسائل إعلام إيرانية، أشاد بوتين بالعلاقات «الاستراتيجية» بين طهران وموسكو .

وقد أصبح التعاون بين البلدين واضحا بشكل خاص في المجال العسكري . فقد زوّدت إيران روسيا بطائرات بلا طيار، والتي ورد أنها استخدمت ضد أوكرانيا. وبالإضافة إلى ذلك، يُعتقد أن إيران تدعم جهود روسيا لتوطين إنتاج طائرات بلا طيار.

وقال بوتين لبيزيشكيان «العلاقات مع إيران تشكل أولوية بالنسبة لنا» .

كما ظهرت تقارير في أوت عن شحنات أسلحة روسية يتم تسليمها إلى إيران. ونقلت صحيفة «نيويورك تايمز» عن مسؤولين إيرانيين في ذلك الوقت قولهم إن روسيا بدأت في نقل أجهزة رادار متقدمة ومعدات دفاع جوي إلى طهران بعد طلب قدم إلى الكرملين .

وبعبارة أخرى، توقع بوتين الأزمة التي تتكشف اليوم وبدأ في تعزيز دفاعات إيران بقوة. والآن أصبحت إيران مستعدة للتحرك. شاهد الفيديو:

«ناقش القائد الأعلى للقوات المسلحة فلاديمير بوتن الوضع في الشرق الأوسط و... حدد مهامًا لا يمكن مناقشتها إلا وجهاً لوجه... سنتابع تطور الأحداث؛ الجيش جاهز للقتال، والمبادرة في صالحنا... النصر سيكون من نصيبنا، ربما ليس بسرعة، لكننا سنفوز بالتأكيد (« أندري جورولیف، الفريق أول الروسي) @DD_Geopolitics

إن ما ينبغي لنا أن نتوقعه الآن هو هجوم إسرائيلي على البنية الأساسية الحيوية لإيران، مع تضخيمه من خلال عملية قطع رأس تستهدف قادتها السياسيين والعسكريين. وسيتعين على الهجوم أن يتجاوز ما اقترحه المستشارون الامريكيون من أجل زيادة فرص الانتقام المبالغ فيه من جانب إيران والذي من شأنه أن يدفع واشنطن إلى دخول الحرب. (وهو الهدف الرئيسي لإسرائيل). وسوف يتشكل رد إيران جزئيا من قبل روسيا التي ستؤكد على «الرد المتناسب». وسوف يمنح بوتين إسرائيل والولايات المتحدة كل فرصة لـ «خفض درجة الحرارة» والتهدئة ، ولكن إذا قررا تكثيف هجماتهما، فيجب أن نتوقع أسوأ السيناريوهات.

لا يمكن للولايات المتحدة أن تخرج من الحرب مع إيران دون أن تلحق بها أضرار. فهذه أوقات عصيبة حيث ينهار أمام أعيننا حجر الأساس الذي يرتكز عليه النظام القديم.

«نيويورك تايمز» تؤكد

صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية أكدت أن ما ورد في تقريرها المنشور مؤخرا من شهادات العاملين الصحيين في قطاع غزة، الذين وثقوا «الرعب» الذي شاهدوه، «صحيحة»، وأن انتقادات مؤيدي إسرائيل للتقرير لا تستند إلى أدلة.

جاء ذلك في بيان صادر عن الصحيفة ردت فيه على مؤيدي إسرائيل الذين احتجوا على شهادات 65 من العاملين الصحيين المتطوعين في غزة، والتي تضمنت اتهامات لإسرائيل بتنفيذ إبادة جماعية وقتل الأطفال قنصاً.

وأكدت الصحيفة الأمريكية، أن هذه الانتقادات «لا أساس لها»، وأنه تم التحقّق من صحة الشهادات والصور باستخدام الأدلة الفوتوغرافية والفيديوهات.

وأضاف البيان، أن التشكيك في صحة الشهادات وصور الأشعة المقطعية التي نُشرت والانتقادات الموجهة إلى التقرير «لا تستند إلى أي دليل».

وأكد البيان أن التقرير خضع لمراجعة دقيقة قبل نشره، وأنه تم التحقق من صحة الشهادات والصور باستخدام الأدلة الفوتوغرافية والفيديوهات.

... في ملحق سرّي

موقع Reporter نقل عن ارسالية نشرها خبراء قدماء المخابرات الامريكية بموقع جمعيتهم AMVET ان ملحقا سرّيا تابعا لـ «خطة النصر» التي تقدم بها الرئيس الاوكراني زيلنسكي الى واشنطن وحلفائها تضمن قائمة ببنك أهداف روسية للقصف بصواريخ «ستورم شادو» و JASSM وTAURUS.

وحسب الموقع تضمنت القائمة معامل لتصنيع بارود المدافع بكل من مدن قازان وتامبوف وبارم ومطارات تقع على بعد 1000 كلم من الحدود الأوكرانية وشركات تابعة للمجمع العسكري الصناعي الروسي التي تنتج الطائرات المسيّرة وصواريخ وذخائر أخرى.

وأضاف الموقع أن الطلبات الأوكرانية تضمنت أيضا السماح بقصف مركز قيادة الأركان الروسية ومركز قيادة العمليات بـ Rostov-sur-le Don وVoronej وموسكور وبلغورود وكورسك وسان بطرسبورغ وسوتشي إضافة الى المراكز اللوجستية وميادين التدريب وأهم محاور وسائل النقل وخصوصا جسر القرم ومقرات المخابرات الخارجية والحرس الوطني الروسي.

رسالة

صحيفة «لوتان» Le Temps السويسرية اعتبرت أن استخدام الجيش الأمريكي قاذفات الشبح B1 لشن غارات على مواقع الحوثيين باليمن «يمثل في الواقع رسالة الى طهران».

الصحيفة أشارت الى أن سلاح الجو الأمريكي لم يستخدم هذا النوع من القاذفات منذ 7 سنوات مذكرة بأن آخر استعمال لها كان في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما خلال نهاية ولايته

ضد «قاعدة جهادية» في ليبيا عام 2017.

وذكّرت الصحيفة بقول وزير الدفاع الأمريكي لويد أستن متبجّحا بأن «هذه الغارات دليل فريد على قدرة واشنطن على استهداف المنشآت التي يسعى خصومنا الى ابقائها بعيدة عن المنال مهما كان العمق الذي دفنت تحته ومهما كان التحصين الذي حظيت به» مضيفا : «ان استخدام الولايات المتحدة قاذفات الشبح بعيدة المدى يظهر مدى طول ذراعها وأن بإمكانها التدخل في أي وقت وفي أي مكان».

الصحيفة نقلت عن خبراء عسكريين أن قاذفات الشبح «بي 1» و«بي 2» هي الوحيدة القادرة على حمل قنبلة GBU 57 الضخمة التي يبلغ وزنها 13600 كلغ مؤكدة أنها من النوع المضاد للتحصينات والقادرة على تدمير هياكل مدفونة في أعماق الأرض.

وأضافت Le Temps انه ليس لدى الجيش الأمريكي سوى 15 قنبلة من هذا النوع وأن تصنيعها كان منذ البداية مرتبطا بالتهديدات التي تشكلها المنشآت النووية لكوريا الشمالية وايران.

وحسب الصحيفة لا يمكن لإسرائيل ضرب المنشآت الإيرانية المدفونة تحت الأرض إلاّ بتعاون مع القوات الامريكية.

اعتراف

لوران غباغبو، رئيس الكوت ديفوار سابقا اعترف خلال برنامج «ساعة الحقيقة» بقناة AFO Media بأنه أعطى الرئيس الفرنسي الراحل جاك شيراك عندما كان رئيسا للكوت ديفوار مليارين مشيرا الى أنه ضمّن ذلك في كتابه الذي ألّفه عام 2014 بالاشتراك مع فرانسوا ماتابي والذي يحمل عنوان «من أجل الحقيقة والعدالة».

غواغبو قال : «كنا نعرف منذ مدة أنني فزت بالانتخابات الرئاسية التي جرت عام 2010 لكن المشكلة أن الحكومة الفرنسية التي كان يقودها نيكولا ساركوزي آنذاك لم تكن تريد رؤيتي رئيسا للبلاد لأن ساركوزي صديق لواتارا (الرئيس الحالي للكوت ديفوار).. وحرية بلادي واستقلالها من الأشياء التي لا أقبل التلاعب بها.. لا أقبل بأن يعيّن حاكم قصر الاليزي رئيس الكوت ديفوار».

شرط إسرائيلي جديد

على ذمة القناة 12 الإسرائيلية أن رئيس "الموساد" وجه لمدير المخابرات الامريكية CIA وليام بيرنز رسالة ربط فيها بين الوضعين بغزة وبلبنان مشترطا للتوصل الى هدنة في قطاع غزة وبجنوب لبنان أن يوافق يحيى السنوار على صفقة مبادلة الرهائن الإسرائيليين لدى حماس بمجموعة من الاسرى الفلسطينيين القابعين في سجون إسرائيل.

مصير أوروبا

المؤرخ الفرنسي ايمانويل تود Emmanuel Tod قال في حوار أجرته معه صحيفة Corriero Di Bologna الإيطالية : "اذا هُزمت روسيا في أوكرانيا فإن تبعية أوروبا للأمريكيين ستستمر لمدة قرن من الزمان" أما إذا هُزمت الولايات المتحدة مثلما أعتقد فإن حلف شمال الأطلسي سيتفكّك وتصبح أوروبا بالتالي حرّة. لست مؤيدا لروسيا ولكن إذا خسرت أوكرانيا فإن أوروبا ستفوز ونتيجة هذه الحرب ستقرّر مصير أوروبا وحلف شمال الأطلسي لم يُنشأ لحمايتنا وإنما للسيطرة علينا".

ممنوع الاحتفال يوم 7 أكتوبر !

موقع Le Media en 4-4-2 كشف أن القضاء الفرنسي رفع بالكوميدي المشهور Dieudonné قضية في "تمجيد الإرهاب" لأنه "احتفل بولادة ابنته يوم 7 أكتوبر وعبّر عن فرحته بذلك".

الموقع كتب ساخرا بعد أن تساءل عمّا إذا كان يجب حقا منع الاحتفال بأحداث سعيدة بذريعة أن تواريخها تتوافق مع أحداث مؤسفة : "ان التهمة الموجهة لـ Dieudonné خطيرة وهي تمجيد الإرهاب. نعم ذلك ما حدث بالفعل : Dieudonné متهم بتمجيد الإرهاب لا لشيء سوى لأنه احتفل

بمولد ابنته يوم 7 أكتوبر. ويوم 7 أكتوبر هذا ليس أيّ يوم... انه يوافق تاريخ هجمات "حماس" على إسرائيل. اذن منطقيا كل من يجرأ على الابتسام في هذا اليوم يصبح موضع شكوك ومن يدري فقد تصبح الولادة في هذا اليوم عملا معاديا للسامية وممنوعا بالقانون".

وأضاف الموقع : "علينا اذن طبق هذا المنطق أن نمنع كل شيء ونجعل يوم 7 أكتوبر يوم حداد لا يوم احتفالات ولا ضحك ولا فرح لأن يوم 7 أكتوبر يوافق أيضا تاريخ ميلاد فلاديمير بوتين وهنا يصبح الذنب ذنبين بل ربّما يصبح الاحتفال بحدث سعيد يوم 7 أكتوبر محاولة للنيل من النظام العام... وعلينا الاعتراف بعدم وجاهة ما نقوم به والتوقف عند هذا الحدث ولنقدم صراحة على الغاء شهر أكتوبر. فقد نتجنّب بذلك انحرافات أخرى... ففي غزة ولبنان يعيش الأهالي يوميا 7 أكتوبر... 50 ألف قتيل وملايين اللاجئين وتحوّلت غزة الى مجرد دمار تحت قصف القنابل الإسرائيلية لكن صمتا ممنوع الحديث عن ذلك لأن ذلك يبعثر أوراق الرواية الرسمية. فمثلا هل يعرف الجميع أن إسرائيل أغارت يوم 7 أكتوبر على ثكنة لرجال المطافئ بلبنان وقتلت العديد من عمال النجدة؟ طبعا هذه المأساة لا تستحق القاء الضوء عليها والأكيد أنها أقلّ أهمية".

وفي ختام تعليقه كتب الموقع : "لقد قرّر القضاء اذن أن يضرب بقوة لأن احتفال أب بمقدم ابنته يمثل أكبر خطر على المجتمع وليس القنابل التي تمطر يوميا قطاع غزة ولا المجازر المنسية في لبنان".

لا تصدّقوا

بيري بيكون الابن، كاتب عمود في صحيفة "واشنطن بوست" قال إن وسائل الاعلام ببلده تصوّر سياسات بايدن إزاء الشرق الأوسط على أنها "ذات نوايا حسنة" وعلى أنها "مع ذلك غير فعّالة".

وأضاف : "مع أنه ربّما يكون هناك بعض الحقيقة في ما يقال فإنه لا يجب تصديق ذلك" مشيرا الى أن "قناعته تزداد بعد مرور عام على الصراع الذي تتسع رقعته الى ما وراء قطاع غزة بأن إدارة بايدن تتفق الى حدّ كبير مع استراتيجية نتنياهو رغم أنها تلمح أحيانا الى خلاف ذلك.. فسياسات نتنياهو من نواح عديدة هي نفسها سياسات الولايات المتحدة والاعتراف بذلك هو الخطوة الأولى لتغييرها".

هل تفعلها اليابان ؟

موقع Essentiel News كشف أن "شكوكا جدّية تحيط بفعالية وسلامة جيل جديد من اللقاح المضاد لكوفيد يسمى ARCT-154 بالنظر الى إمكانية انتقال مكوناته من الشخص الملقح الى اشخاص آخرين لم يتلقوا تلقيحا بل وحتى الى الحيوانات.

الموقع نقل عن الدكتور مراكامي ياسوفومي قوله خلال ندوة صحفية بمناسبة التلقيح السنوي الذي ينتظم باليابان مع بداية كل شهر أكتوبر : "هذا النوع من اللقاح القادر على التوسع من تلقاء نفسه قائم على وظيفة الاستجابة حتى ينتشر بكل أعضاء الجسم دون التعرّض لأية فرملة وقد لاحظنا أنه بإمكان مكونات اللقاح الانتقال من شخص ملقح الى اشخاص أو حيوانات وهذا يثير مخاوف لدينا".

الموقع ذكّر بأنه سبق للنائب Ryuhei Kawada أن عبّر خلال ندوة صحفية انعقدت يوم 12 سبتمبر الماضي عن عميق شكوكه إزاء اطلاق جيل جديد من لقاء كوفيد في شهر أكتوبر الجاري مخصص لليابانيين الذي تفوق أعمارهم 60 سنة.

وشدّد النائب على الضرورة الملحّة بعدم اللجوء الى اللقاح المذكور مطالبا باجراء تحقيق معمّق حول التأثيرات الجانبية للقاحات الموجودة منذ عام 2020.

وأشار الموقع الى أن الصحفية اليابانية المشهورة Mika Tsutomi لفتت خلال الندوة الصحفية المذكورة انظار الحاضرين الى وجود تضارب مصالح في وزارة الصحة ببلادها والتي صادقت على ترويج لقاح ARCT-154.

وقالت الصحفية : "بالتثبت في أعضاء مجلس الشؤون الصيدلية التابع لوزارة الصحة خلال شهر نوفمبر الفارط اكتشفت أن لثلاثة من جملة 16 من أعضائه علاقات تجارية مع شركات صيدلية".

أما الدكتور Yasufumi Murakami فقد قال محذّرا : "اذا مضت اليابان في ترويج اللقاح المذكور فإنها مرشحة للتسبب في كارثة عالمية".

أهكذا يعشقنا الأمريكيون؟

نبيه البرجي

اذا كان الموساد قد تمكن من تحديد مكان حسن نصرالله، الشيء الذي كان مستحيلاً، في ظل الاجراءات الاستثنائية والوسائل الاستثنائية، التي اعتمدت لابقاء تحركاته، ولو من غرفة الى غرفة، قيد السرية المطلقة، كيف لم يتمكن من تحديد مكان يحيى السنوار الذي سقط بالصدفة، خلال اشتباك مع قوة من الغزاة، وبعدما بات القتال محصوراً في نقاط محددة تحت مرمى النيران، وفي متناول أجهزة الرصد البالغة الدقة؟

وهل كان حقاً بنيامين نتياهو يعلم كل شيء عن السنوار، لكنه استبقاه حياً الى أن يستكمل خطته بتدمير أي امكان للحياة على أرض غزة، خصوصاً بانتظار حلول فصل الشتاء، وعودة دونالد ترامب الى البيت الأبيض، لترحيل أهل القطاع، على أن تكون الخطوة التالية ترحيل أهل الضفة، بعدما وعد الرئيس السابق بتوسيع الدولة العبرية التي هاله ضيق مساحتها التي هي أصغر من مساحة ولاية مثل نيو جيرسي في المرتبة 47 مساحة بين الولايات الخمسين؟

وكان أحد نواب حزب «العظمة اليهودية» (عوتسما يهوديت)، أي حزب ايتمار بن غفير، قد نقل عن هذا الأخير طلبه (مازحاً؟) من نائب بريطاني بالبحث عن مكان لاقامة الملك عبدالله الثاني وعائلته في أحد القصور الأثرية في المملكة المتحدة، باعتبار أن اخلاء الضفة من العرب بات مسألة وقت.

لندع نتنياهو الآتي من الخرافة يذهب الى الخرافة، كما لو أن كل أبواب الشرق الأوسط مشرعة أمامه، وهو الذي فاجأته المقاومة في الجنوب بعدما كان يظن، وعلى خطى آرييل شارون، أن الوصول الى بيروت لا يستغرق سوى أيام قليلة. صديق فرنسي، وهو مثقف كبير، سألني «أما من هوميروس عندكم يكتب عن هذه الملحمة التي تحدث على أرض الجنوب؟».

الاليذة اللبنانية التي جعلت الأمريكيين يدركون استحالة اجتثاث «حزب الله»، وان تذرعوا بأنهم لا يستطيعون الا أن يجاروا تل أبيب التي في «أقصى حالاتها اليهودية». الفيلسوف الأمريكي ديفيد لويس الذي كتب في «فلسفة العقل»، لاحظ مدى «أزمة العقل في العقل اليهودي»، وحيث «انفجار اللاوعي بالثأر من الآخرين»!

لنحاول أن نعرف كيف يفكر الأمريكيون حيال لبنان. من يلتقون آموس هوكشتين (النصف أمريكي والنصف اسرائيلي) يقولون انه يشعر بالارتياح في لبنان أكثر من «اسرائيل» (وحيث «الأرواح المقفلة» مثلما كتب ادوار سعيد). في مقابلة تلفزيونية أخيرة قال انه يعشق لبنان، لنتذكر ما قاله محمد الماغوط «حين يعشق الأميركيون شخصاً ما علينا أن ننتظر سقوط رأسه في أي لحظة. واذا عشقوا بلداً على أهل هذا البلد أن يفتحوا، في الحال، أبواب المقبرة». أهكذا يعشقنا الأمريكيون؟

ما نستشفه من زملاء فرنسيين قريبين من الكي دورسي (مقر وزارة الخارجية)، أن الأمريكيين الذين تواصلوا مع الايرانيين في الاسابيع الأخيرة لاحظوا مدى استعدادهم لاحداث تغيير في توجهاتهم الجيوسياسية على امتداد الشرق الأوسط، وهذا ما أبلغوه، بطريقة أو بأخرى، الى السعوديين والى المصريين.

الأمريكيون لا يبنون قناعاتهم، في مسائل على هذا المستوى من الحساسية، في «ساعات النار». لكن اختيار مرشد الجمهورية مسعود بزشكيان رئيساً للدولة وكلامه ع «التفاعل» مع العدو (أي أمريكا)، يعكس الرغبة في الانتقال من مرحلة الصدام الى مرحلة التعاون. لكن رؤية ذلك على الأرض لا يمكن أن تحدث بين ليلة وضحاها بسبب التناقض بين الضرورة الايديولوجية والضرورة الاستراتيجية في صياغة السياسات الخارجية.

كما أن الأمريكيين لا يعتقدون أن الايرانيين بصدد الخروج من الشرق الأوسط، أي أنهم لن يتخلوا عن حلفائهم الذين هم الركيزة الأساسية لدورهم في المنطقة، وحتى في علاقاتهم مع العالم. لكن أي تغيير في مسارهم السياسي لا بد أن ينعكس على مسار هؤلاء الحلفاء، بعد أن تضع الحرب أوزارها، وبعدما تبيّن للأطراف أن الخروج الفوضوي من الوضع القائم يعني الدخول في «ميتولوجيا الخراب».

ولكن مع اقتناعنا بأن ما فعله، ويفعله بنيامين نتنياهو يدخل في اطار الاستراتيجية الأمريكية التي غالباً ما شقت طريقها الى العالم عبر النيران، هناك الكثيرون داخل «الدولة العميقة» يرون أن مهمة الرجل أوشكت على النهاية وأنه بلغ، شخصياً، خط النهاية. غالباً ما كانت نهاية هذا النوع من البرابرة على أرض لبنان...

كيف يفكّر نتنياهو وماذا يريد ؟

لا سلام مع العرب سوى «سلام الردع»

د. عبد الوهاب المسيري نشر منذ عام 1999 دراسة عميقة وجادة حول شخصية رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو ورصد بداياته وآراءه وأبرز محطات مسيرته باعتباره أحد أعداء الوطن العربي والأمة الإسلامية قاطبة... أعداء يسيرون الأحداث ويتحكمون في الشعوب العربية الإسلامية بل وحتى في جل الزعماء الذين يحكمونها...

يقول د. عبد الوهاب المسيري في موسوعته «اليهود واليهودية والصهيونية» : «شرب نتنياهو من والده معاداة العرب وكرهه الشديد لهم. كان أبوه مؤرخا كتب الكثير من الكتب عن العرب وآمن بنظرية الردع والقوة المفرطة التي تؤخذ بها أراضي الغير والتي سمحت بتأسيس دولة إسرائيل المهابة من الجميع».

وكشف المسيري تأثير التربية الوسخة التي تربّاها نتنياهو والحوادث المأساوية التي عاشها والتي كانت أبرزها حادثة اختطاف الطائرة الإسرائيلية في مدينة عنتيبي الأوغندية بالإضافة الى تأثير والده المؤرخ الصهيوني المتشدّد الذي ساهم في بناء شخصيته المعادية للعرب وللسلم.

ويقول د. المسيري: «عادة ما تثار قضية أسرة نتنياهو، لذا يجدر بنا أن نذكر أولا موت أخيه يوناثان في الغارة على مطار عنتيبي (يقال أنه كان قائد الحملة). وكان يوناثان هذا كبير الأسرة وحامل لوائها، أما أبوه بن زيون أي بن صهيون نتنياهو فقد كان شخصية محافظة متسلّطة من أتباع الزعيم التصحيحي الفاشي فلاديمير جابوتنسكي والذي اختلف مع بيغين وجماعته وقضى بقية حياته شبه منفي (بشكل طوعي) في الولايات المتحدة حيث عاش بالقرب من فيلادلفيا وقضى حياته في دراسته عن محاكم التفتيش الاسبانية (بالمناسبة للابن الأكبر مرتبة خاصة في الأسرة اليهودية بل وحتى في بعض الدول الغربية حيث يذهب كل الميراث مثلا اليه وحده حتى لو كان غنيا وحتى لو كان الأخ الأصغر جوعانا وعريانا ومحتاجا. وقد ظلت أسطورة الأخر الكبير متحكمة في العقيدة اليهودية) (عنوان كتابه هو : «أصول التفتيش الاسباني في القرن 15). وجوهر أطروحة دراسته أن اليهودي الذي يحاول الاندماج يقابل دائما بكراهية عميقة نحو شخصه ونحو جنس اليهود ككلّ وأنّ اليهودي هو الهدف الأزلي لكره الأغبار ولأنه لا يملك الهروب من هذا الوضع، يتوجب عليه أن يحيط نفسه بـ «حائط فولاذي» (كما قال جابوتنسكي) وألاّ يعهد بأمنه للآخرين».

ويضيف د. عبد الوهاب المسيري : «ورث نتنياهو الابن النفور من العرب من والده الذي كان معاديا لكل ما هو عربي إسلامي».

يقول بن زيون في مقابلة مع صحيفة «هآرتس» : «شيطان التهديد العربي الإسلامي أخرج من القمقم من جديد في عصرنا والإسلام يطمح دوما الى اخضاع العالم الغربي ولو لم تصدّ هجماته السابقة لكان التاريخ البشري مختلفا».

وبسبب آرائه المتشددة في العرب وجد نتنياهو الأب نفسه مرفوضا من مجموعته العرقية الأشكيناز فنقل ولاءه من «حزب العمل» الى «حزب الليكود» اليميني (...) وكان من أشد المؤمنين بـ «إسرائيل الكبرى» وبأن «السلام مستحيل مع العرب».

ويتابع المسيري : «في جويلية 1976 اختطفت مجموعة من الفلسطينيين طائرة ركاب تحمل إسرائيليين كانت متجهة من تل أبيب الى باريس وحوّلوا وجهتها الى مطار مدينة عنتيبي بأوغندا وأرسلت إسرائيل وحدة خاصة الى المطار لتحرير الرهائن.

وانتهت العملية بقتل الخاطفين وبمقتل 3 رهائن الى جانب قائد العملية يوناثان نتنياهو أخ بنيامين. وقد استثمر نتنياهو هذه الحادثة وأسس «معهد بوناثان» لبحث سبل مكافحة الإرهاب».

ويقول د. عبد الوهاب المسيري في موسوعته : «كل هذه الحقائق الذاتية في مسيرة نتنياهو هي أيضا حقائق موضوعية ويمكن اثارة قضية خلفيته العائلية ومدى تأثيرها على تركيزه الزائد على «الإرهاب». ألا يوحي هذا بأن آباء التصحيحي الكاره للأغيار قد شكل رؤيته؟ وكما يقول أحد أعداء نتنياهو (يوري دورمي) المتحدث الرسمي باسم حكومة رابين : «كيف يمكن أن تتكيّف مع عملية السلام ان كنت نشأت وترعرعت مع أفكار الصراع؟ ان اختفى الصراع، ماذا يبقى اذن؟».

ويواصل المسيري : «رغم كل هذا يحاول نتنياهو أن يتملّص من ماضيه دائما وأن ينكر أن هذا الماضي ساهم في تشكيل آرائه بشكل جذري».

هذا هو سرّ رفض نتنياهو قيام دولة فلسطينية وتشبّثه بأن الأردن ومصر هما مكان الفلسطينيين. كما يعتبر نتنياهو مفاوضات أوسلو خطأ كبيرا ارتكبه الإسرائيليون ويعترف بأنه يعمل على قيام شرق أوسط لا مكان فيه لشيء اسمه «فلسطين». وقد شاهدناه في الأسابيع الأخيرة يرفع خريطة ليس في مجلس حرب حكومته ولا في الكنيست وإنما في مقر الأمم المتحدة، أي أمام العالم بأسره. وقال في هذا الصدد : «انظروا الى ما سيحصل عندما نوقع على سلام مع المملكة العربية السعودية... خارطة الشرق الأوسط برمّتها ستتغير».

ورفع نتنياهو في مقر الأمم المتحدة خريطة لا مكان فيها لفلسطين التاريخية بل وطغى على موقعها اللون الأزرق على موقعها في إشارة لسيطرة كيان الاحتلال على كاملها.

بذلك لا يؤمن نتنياهو بوجود شعب فلسطيني. هو يرفض «السلام مقابل الأرض» وكذلك «السلام مقابل السلام»، شعاره الوحيد : «السلام مقابل الردع».

وهذا ما انتبه اليه د. المسيري في كتابه منذ عام 1999 اذ يقول في احدى فقراته : «ينطلق نتنياهو في كتابه «مكان تحت الشمس» وغيره من الدراسات من الرؤية الصهيونية القائمة على أحقية اليهود المطلقة في ما يسمى «أرض إسرائيل التاريخية» وتساندها رؤية صهيونية داروينية تؤكد أن إسرائيل انتصرت في كل الحروب ضد العرب. ثم يأتي نتنياهو بـ«الشواهد التاريخية والجيوسياسية والتلمودية التي تساند وجهة نظره. ثم، وعلى عادة الصهاينة، لا يكتفي نتنياهو بذلك بل يذكر الجميع بمأساة الشعب اليهودي والهولوكست ثم يؤكد في الوقت نفسه قدرة الشعب على النهوض. ويعلن نتنياهو بلا مواربة أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة وأن عقد سلام معهم مثل وضع سمك في صندوق من الزجاج، تنتظر أن يتعلم ألاّ ترتطم رأسه بحائط الصندوق الزجاجي. واستخدام الصور المجازية المستمدّة من الطبيعة للحديث عن العرب مسألة مألوفة في الخطاب الصهيوني بكل ما تحمل هذه الصور من حتمية وكل ما تنطوي عليه من تغييب للعرب. ويرى نتنياهو ضرورة اجبار العرب على الإذعان للاعتراف بوجود إسرائيل عبر استخدام سلاح الردع، فالسلام الوحيد الذي يمكن أن يقام مع العرب هو «سلام الردع» مقابل «سلام الديمقراطيات» الذي لا يصلح مع العرب، فإسرائيل دولة ديمقراطية غربية في بيئة إقليمية معادية بدائية (وهذا يماثل كلام ايهود باراك عن ديمقراطية إسرائيلية وسط غابة من الأحراش) ومستقبل إسرائيل يكون بالتحصّن داخل «الستار الفولاذي» وإعادة الأولوية لفكرة العمق الاستراتيجي الجغرافي وعدم الانفتاح على هذه البيئة مع ضبط التفاعلات في المحيط الإقليمي على النحو الذي يحقق مصالح إسرائيل الحيوية».

هذا هو نتنياهو... رجل كسّر اتفاقية كامب ديفيد ويمضي في تحقيق مشروع «إسرائيل الكبرى» دون أن ترتفع في وجهه أصبع عربية سوى سواعد رجال المقاومة في فلسطين وفي لبنان.

الشارع الثقافي

العدد 427 - من الثلاثاء 22 إلى الاثنين 28 أكتوبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

عالم تونس أبو محمّد المَرجاني صاحب التفسير الإشاري للقرآن

بقلم : د. زهير بن يوسف

«ترتيلة الوداع»:من رواية «صياد الغروب» للروائية ام الزين بنشيخة :

«المفتاح الفلسفي لصياد الغروب وصراع الإنسان مع الزمن»

بقلم : فيصل السائحي

في ضرورة العودة إلى الفلاسفة الاغريق

بقلم : حسونة المصباحي

هل الشّرق مرآة الاستشراق والمركزية الغربية ؟

مالك بن نبيّ ومحمّد عابد الجابري، نموذجا

بقلم : صلاح بوزيّان

وقفة

"عَيْوَلّينّا حَرس".. "ضْمَار" من الأرض حتى السماء

بقلم : حسن مرزوقي

رأي

من هو المعبود في الحقيقة ؟

بقلم : عبد اللطيف بن سالم

وقفة

"عَيْوَلِّينّا حَرس".. "ضْمَار" من الأرض حتى السماء

بقلم : حسن مرزوقي

لا نملك دراسات دقيقة مفصلة عن تاريخ السخرية في تونس والعالم العربي. فيما لدينا الكثير من الكتب عن موضوع السخرية كتيمة ومضمون وخاصة في الأدب سواء القديم أو الحديث.

السخرية ككثير من الانفعالات والسلوكيات والمواقف مشترك بشري واجتماعي ولكن خصوصياتها تختلف من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان ومن مجتمع إلى آخر. فما يضحك هنا يكون سخيفا هناك وما يسخر منه هذا الجيل لا يهتم به الجيل الذي سبقه. السخرية ككل المفاهيم هي كائن حي له سيرة وتاريخ وبيئة ومرجع.

نحتاج كثيرا من الدراسات التي تتعمق في تاريخ الانفعالات والمشاعر في المجتمع التونسي والعربي مثل تاريخ الألم أو تاريخ الحب تاريخ الضحك والسخرية تاريخ الجنون تاريخ الكرم تاريخ الألوان وتاريخ الجسد. إلى غير ذلك من المفاهيم التي تعبر عن تمثلاتنا للحياة اليومية وتفاعلاتنا مع بعضنا البعض. ونتوهم أن لها دلالة ثابتة عبر التاريخ وعبر الجغرافيا.

إلى أن تنجز تلك الدراسات يمكن أن نبدي بعض الملاحظات قد نصوغها في شكل فرضيات بحثية حول مفهوم السخرية في المعيش اليومي من خلال المثال الجريدي الشهير تونسيا.

قبل ذلك يجب أن نحدد بعض المسائل الهامة في موضوع السخرية. فلا بد أن نفرّق بين السخرية باعتبارها موقفا وخطابا رافضا نجده في الفنون بشتى أنواعها وهي تميز الكائن البشري عن غيره من الكائنات. وبين والضحك أو الابتسامة باعتبارهما فعل فيزيولوجي لأداء معاني مختلفة منها السخرية. فنحن نضحك لأننا سعداء ولكن نبتسم من التعاسة أيضا ونبتسم لأننا منبهرين نضحك أحيانا من التعب نبتسم من الشعور بالتوتر ونضحك لنجامل وهكذا...الخ يعني هذا الانفعال لا يكون دائما مرتبطا بسياق مضحك أو ساخر ونشترك مع كائنات أخرى في الضحك كبعض القردة وبعض الطيور والدلافين وإن كان ما نسمعه على أنه ضحك عند الحيوانات هي أصوات لأداء وظائف أخرى مثل تحديد الأمكنة أو التنبيه من الخطر..

من ناحية أخرى فإن الدراسات الفيزيولوجية والنيرولوجية درست الضحك وحاولت أن تضبط العلاقة بين الدماغ وعضلات الوجه التي تفرز الضحك ليؤدي وظيفة. وخلصت الدراسات إلى أن عدد العضلات المرتبطة بالوجه يمكن أن تؤدي أربعة أنواع من الأصوات الدالة على الضحك وهي هو Ho وهي Hé ثم هاها Ha وأخيرا هيهي Hi Hi. وتبقى مهمة الدماغ إعطاء الأوامر للعضلات لإصدار الصوت المناسب لأداء الانفعال المطلوب في الوضعية المخصوصة. وهنا تلعب عناصر مهمة في التنويع مثل السن. فالصوت الأخير مثلا يميز الأطفال والمراهقين. الصوت Ho يميّز في الأغلب الكهول والشيوخ.. وهكذا.

إذن فالتفريق بين الضحك باعتباره انفعالا له تركيبة فيزيولوجية نفسية والسخرية باعتباره خطابا اجتماعيا ثقافيا يخضع لنواميس المجتمع وتابوهاته وسياقات إنتاج الخطاب مهم جدا. إضافة إلى ربط ذلك بلغة الجسد وغيرها من العناصر التي تجعل من السخرية فنا وشبكة رمزية كاملة الشروط.

بناء على المعاينة والتجربة الشخصية والحياتية (باعتباري مرتبط جغرافيا واجتماعيا وثقافيا بالجريد وأهل الجريد) يمكن أن أقول إن إقليم الجريد هو إقليم مختلف اختلافا ثقافيا واجتماعية كبيرا عن بقية الأقاليم في تونس. وربما أقتصر على ثلاث مستويات من الاختلافات السوسيو-تاريخية الجوهرية:

اللسان: أثناء نطق حروف اللغة العربية أو اللهجة يختلف الجريدي جذريا في بعض الحروف عن كامل الجمهورية. فنطق التاء في الجريد تصبح تشاء. أيضا حروف الاستقبال. ففي تونس نستعمل حروفا متقاربة للدلالة على المستقبل مثال: «بنمشي"،"بش نمشي"، "تنمشي" إلا في الجريد نستعمل "عنمشي" وفي الغائب «عيمشي" ولا نجد هذا الاستعمال في غير منطقة الجريد. في الجريد يتم تضخيم الضاد والظاء بشكل ظاهر. وتبقى أيضا بنية الجملة مهمة جدا في دراسة الاختلاف اللساني لأهل الجريد في الكلام

نمط الإنتاج: نمط واحي لإنتاج التمور لازال يحتفظ بشكل عام بعلاقات إنتاج متوارثة تربط بين الملاّك والأجير وهو "الخماس أو القيال وغيرهما..». مما يجعلها أقرب إلى نمط إنتاج إقطاعي من زاوية ملكية الأرض وتوزيع الثروة. رغم مرور هذا النمط بتحولات كبرى منذ تأسيس الشركات المحتكرة لتجارة التمور والتي لم يكن أصحابها من أهل الجريد مما جعلهم غير متحكمين في الثروة التي ينتجونها. وقد صدرت نكت كثيرة في نقد هذه التحولات الظالمة بالنسبة للجريدية.

التنوع الثقافي والتاريخ: هذا البعد مهم جدا لفهم النكتة والسخرية في الجريد. بلاد الجريد وقفصة وبلاد نفزاوة بشكل عام مركز حضاري قديم جدا. وكان دائما ملجأ للفارين من بطش السلطة المركزية وهؤلاء الفارون إما سياسيون أو أصحاب أفكار ومذاهب مثل الخوارج والشيعة الفاطميين. وهذا الإقليم في أغلب فتراته التاريخية سريع الاستقرار تمر به بعض الفترات البسيطة من الاضطراب ثم يستقر ويعود إل عقده الاجتماعي (حتى أيام الثورة لم يشهد الجريد اضطرابات كبرى أو أعمال عنف لافتة). هذا الاستقرار والتنوع أفرز عبر الزمن أصواتا مختلفة ومنسوبا من الحرية وأيضا مشادات بل اغتيالات مثلما فعل الخوارج للإمام السني المتشدد أبي علي السني. لذلك سميت نفطة بالكوفة الصغرى. ومن مميزات الكوفة في العراق أنها جمعت كل المارقين عن السلطات الدينية أو السياسية لذلك كانت من أكثر الحواضر التي ادعى فيها أناسٌ النبوة. التنوع الثقافي خلق جوا من الحرية والإبداع يكفي أن ندلل على ذلك أن أشهر كتابين في موضوع الجنس ويُعتبران ممنوعان في الفضاء الإعلامي والعمومي العربي إلى اليوم هما كتاب لأحمد التيفاشي"نزهة الألباب". (يقال ولد في قفصة ت 651 هـ) و"الروض العاطر" للشيخ النفزاوي (ولد في نفزاوة ت 837هـ). وفي الأدب الحديث أب الرواية التونسية هو البشير خريف واب الشعر التونسي الحديث هو أبو القاسم الشابي.

ممكن أن نتوسع في أبعاد أخرى تميز إقليم الجريد مثل الايكولوجيا وأثرها على الفضاء العام وتنظيمه عبر التاريخ والنظام الغذائي وأيضا الأبعاد الأنثروبولوجي المتمثلة في ثقافة النخيل ما تصنعه من جماليات إضافة إلى ما تصنعه من رزق وعلاقات. أيضا مسألة المعمار ونوع الطوب أو ما أسميه "عبقرية الطوب" في المعمار الجريدي..

من خلال المثال الجريدي ننطلق إلى السؤال المركزي؟ لماذا نضحك؟

من اللافت أنّ الجريدي يضحكنا حينما يتكلم كلاما عاديا (الدرجة الصفر من الخطاب) وحينما يروي النكتة وحينما يغضب. فلماذا؟

ونحاول الإجابة في شكل ملاحظات ترقى إلى الفرضيات في انتظار بحوث معمّقة:

المفارقة: الضحك مبني على المفارقة والانزياح بين ما نسمع أو نرى أو نقرأ في وبين، ما المتفق عليه من قيم وقواعد وأذواق. عندما يتكلم الجريدي يصنع المفارقة الصوتية (أداة الاستقبال "عن" وحرف "تشاء" ونطق الحروف بطريقته المفخمة) فتكون المفارقة فونولوجية أولا. ثم يبني جملته بلهجته باختيار كلمات من بيئته لا يعرفها السامع المختلف. ثم يركّب كلامه وفق بلاغته الحرة نسبيا والبلاغة تُنحت عبر تاريخ طويل من الحرية وتطاول اللغة على العالم. وأعتقد أن دراسة التشبيه والاستعارة في الحديث اليومي في الجريد يمكن أن يكون موضوع أطروحة. لذلك لا يضحك الجريدي من الجريدي في المستوى الصفر من الخطاب في حين يضحك الآخر المختلف عنه.

الرؤية الماديّة:النكتة لدى الجريدي نكتة مادية بامتياز لا تأبه كثيرا للسرديات التي تؤسس العالم أو تقع خارج العالم المادي. وهنا نقصد النكت التي اشتهر بها الجريدية عن المقدس الديني. النكتة الجريدية تجعل من العالم الميتافيزيقي عالما ماديا في حكاية جديدة هي حكاية الجريدي وليست حكاية السلطة الدينية. الجريدي بنكتته الدينية يصنع رؤيته في النكتة بانفتاح الفيزيقي على الميتافيزيقي وفسخ الحدود التي يصنعها رجل الدين. النكتة الدينية لا تعني التهكم عن المقدس وإنما تهدف إلى تحويل رواية رجل الدين إلى حكاية مدنسة وهنا تكمن المفارقة. في بيئة يعيشها الجريدي بقسوتها وحرارتها وعطشها منتظرا السماء التي قد لا تجيب حينها يصبح العالم غير جدير بالاحترام المبالغ فيه. فلنسخر منه لعله يصير أقل بؤسا.

الجريدي يبيع السلطة ويضحك على شاريها: عندما يغضب الجريدي يمسك بالسلطة ويفككها إلى عناصر حكائية ثم يخصص لكل عنصر نكتة بلغة أنيقة وغير فاحشة. مرة عن رئيس الدولة (نكت بورقيبة خاصة) المحيطين به (نكت عن وسيلة زوجة بورقيبة وليلى بن علي) القاضي، الشرطي المدير العام..الخ تتناسل من خرافة السلطة نكت خفيفة وطريفة تضحك منها السلطة نفسها. ثم تكتشف السلطة بعد ذلك أنها تورطت في تلك الضحكات الناعمة وأصبحت أضحوكة. النكتة الجريدية السياسية ليست عدائية مع السلطة بشكل سافر لكنها تفضحها بيسر وسهولة.

لا يمكن أن تفلح سلطة (دينية كانت أو سياسية أو إدارية) في بيئة جريدية إلا إذا قبلت بشرط المسخرة. كل سلطة في الجريد تحولت إلى مسخرة. في جهة مهمّشة وبعيدة عن المركز ويستغلها الجميع لن تكون السلطة في المخيال الجمعي للجريدية إلا مهزلة يجب الضحك منها وعليها وهي تبتسم.

في ضرورة العودة إلى الفلاسفة الاغريق

حسونة المصباحي

حين بدأت عظامه تبرد، وأخذ عقله الجبّار يتفتّت تحت وقْع الكوابيس والهواجس المُرعبة التي سوف تقوده في ما بعد إلى ليل الجنون، قطع نيتشه صلاته بريتشارد فاغنر، وببروسيا الرمادية الصارمة، ليشرع في القيام برحلة استكشافية لبلاد الشرق قادته إلى شعراء «التروبادور»، وإلى سمفونيات «بيزي»، خصوصا سمفونية «كارمن»، وإلى شواطئ المتوسط. ولم يكنْ هدفُ نيتشه من خلال رحلته تلك البحث فقط عن النور والدفء، وإنما كان أيضا من أجل الاقتراب من الينابيع الأولى للفلسفة، والتي هي بالنسبة له ، سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وهيراقليطس، وبارمينيدس، وغيرهم من فلاسفة الاغريق القدماء.

وقد بدأ عشق نيتشه لفلاسفة الاغريق، ولحضارتهم الشمسيّة قبل رحلته الاستكشافية المذكورة، وتحديدا عندما درّسَ فقهَ اللغةـ والنصوص اليونانية القديمة في جامعة» بازل» السويسرية. وبعد تخرجه من الجامعة، تعمّق نيتشه في دراسة الفلسفة اليونانية، مُطورا نظريّته التي اشتهر بها في ما بعد، والتي تقوم على أساس التعارض بين «أبولون» الذي يُجسد النظام والوضوح، وبين «ديونيزوس» الذي يرمز إلى الجنون والغرابة. ومن المؤكد أن هذا العشق للفلاسفة الاغريق، أوحى له بكتابة آثاره الخالدة مثل:» هكذا حدث زرادشت»، و»المعرفة المرحة»، و»ولادة التراجيديا».

ولم يكن نبتشه الوحيد الذي هام بالإغريق، وبفلاسفتهم. بل يمكن القول أن جميع الفلاسفة والمفكرين الغربيين الذين بفضلهم حقّقت أوروبا نهضتها الحضارية، استندوا في أعمالهم إلى الفلاسفة الإغريق. وفي ساعات الضيق والشدة وفقدان التوازن، دأبوا على العودة إلى سقراط وأرسطو وأفلاطون وبارمينيدس وغيرهم، ومنهم ومن أفكارهم استوحوا ما يمكن أن يُبدّدَ العتمة من حولهم. وكان هايدغر يعتبر العودة إلى فلاسفة اليونان أمر حتميّ. لذلك افتتح مؤلفه الشهير:» الكينونة والوجود» بجملة لأفلاطون وكأنه يرغب في التأكيد على أن قضايا الكينونة والزمن كانت قد طرحت بعمق من قبل فلاسفة اليونان القدماء. وعن السؤال التالي : «لماذا هذه العودة الدائمة إلى الإغريق في فلسفة هايدغر؟»، أجاب الفرنسي جان بوفري قائلا:» لأن الإغريق كانوا من دون علم منهم المهندسين الأوائل لفلسفة الوجود».

ومنذ مطلع الألفية الجديدة، شهد العالم الغربي عودة هائلة إلى التراث الفلسفي اليوناني. وقد تجسّدت هذه العودة من خلال دراسات وأبحاث شملت مؤلفات كبار الفلاسفة الإغريق. ومُعلّقا على هذه العودة، قال الكاتب الفرنسي جان-ماري رُوّار:» الفكر الاغريقي يسكننا شئنا ذلك أم أبينا. وهذا الفكر هو الذي شكّلَ طريقتنا في التفكير، وكان له تأثير على مُعتقداتنا، وعلى عاداتنا، وعلى مؤسساتنا، وعلى حضارتنا بشكل عام. كما أنه-أي الفكر الإغريقي-تسلّل إلى نظرتنا التي نُلقيها على كلّ شيء. وفي فرنسا قامت دار متخصصة في كتب الجيب»بريس بوكيب»بإصدار المؤلفات الفلسفية الكلاسيكية الشهيرة. وأول كتاب أصدرته في هذا الشأن مؤلف لأرسطو تضمّن في الآن نفسه ملفا خاصّا حول تعليقات الشارحين العرب القدماء، وآرائهم في فلسفة من كانوا يلقبونه ب»المعلم». وهذا دليل آخر على اعتراف الغرب بالدور الهام الذي لعبه الفلاسفة المسلمون في التعريف بالتراث الفلسفي اليوناني، وبأعلامه لكي يصبح منطلقا لنهضة فلسفية عظيمة شهدتها أوروبا انطلاقا من القن السادس عشر. وبعد العملية الإرهابية التي استهدفت جريدة «شارلي ايبدو» الساخرة في مطلع سنة 2015، تعددت الملفات في المجلات والجرائد الفرنسية عن الإسلام والثقافة العربية في ماضيها بالخصوص. ومن أهم هذه الملفات ذلك الذي خصصته الأسبوعية «لوبوان» لثلاثة من عظماء الفلاسفة المسلمين وهم الفارابي وابن سينا وابن رشد. وفي مقدمة الملف المذكور، تمّت الإشارة الى أن الفلاسفة المسلمين لم يكونوا يتمتعون بالحرية الفكرية بالمعنى الحقيقي للكلمة، إلاّ أن ذلك لم يمنعهم من أن يواجهوا التحجّر الفكري والعقائدي. وما كان يجمع بينهم هو أنهم دعوا المسلمين إلى حبّ المعرفة، وإلى تجنّب الدوغمائية والسفسطة البلاغية، والعمل على توفير السعادة الحقيقية على الأرض من خلال تمرين استكمال الذات، أي من خلال جعل الفكر وحده وسيلة لتقريب الإنسان من الإلهي.

وجميع الفلاسفة المسلمون كانوا يتطلعون أيضا إلى أن تكون المدينة محكومة من قبل حكيم، مُدللين بذلك على أنهم كانوا يرفضون الحكم بالقوة والبطش والعنف. وفي الحوار الذي أجري معه، والذي نشر ضمن الملف المذكور، أشار الفيلسوف الفرنسي جان-بابتيست بروني الى أنه اكتشف ابن رشد في الجامعة في الفترة التي كان يعدّ فيها أطروحة عن توماس الأكويني الذي كان من المعادين الكبار له. وقد انجذب اليه لأنه كان منذ بداية مسيرته الفكرية يفضل الفلاسفة المتمردين على غيرهم من الفلاسفة. ويضيف جان -بابتسيت بروني قائلا :"هناك ابن رشد العربي، وهو شخصية معقدة في حد ذاتها. وهناك ان رشد أو أفيرواس اللاتيني، الذي نسميه ب»شارح أرسطو»، والذي توفي عام 1198. بعد مرور أزيد من عشرين عاما على وفاته، تلقت أوروبا أعماله قبل أن تتلقى أعمال ابن سينا. وكانت هذه الفترة غنية ورائعة قد تكون الإنسانية غير قادرة لأمد طويل على إدراك منجزاتها العظيمة. فيها امتلك الغرب من خلال بعض الموجات خلاصة فلسفة أرسطو». ويضيف جان- بابتيست بروني قائلا بإن إبن رشد كان شارحا عبقريّا. ولم يكن أبدا مجرّد ببغاء تقتصر مهمته على ترديد ما يقوله معلمه. و»أرسطوليته» بارعة وثرية. والموضوع الأساسي الذي كان يحبّ الخوض فيه، والذي كان شديد التعقيد عند أرسطو، هو المتعلق بمسألة روح الكائن، وخصوصا علاقتها مع العقل. وفي مؤلفه «شرح كتاب النفس» هو بلور النظرية التي أثارت ثائرة أعدائه لذا سارعوا بتكفيره. ومُلخصا هذه النظرية، يقول جان-بابتيست بروني بإنه علينا أن نعود إلى مصدر الصعوبة عند أرسطو. ففي حين نجد أن الروح والجسد عند أفلاطون منفصلان، نحن نعاين عند أرسطو أن الروح هي شكل الجسد، وهي المبدأ الذي يحركه ويجعله حيّا. وإذن هي -أي الروح-ليست مُنفصلة عن الجسد. إلاّ أن الإنسان ليس حيوانا يعيش مثل بقية الحيوانات. فله روح تتميز بمَلكَة متفوّقة تسمح له بأن يفكر. وهذه الملكة هي العقل. ولكن كيف تتمّ عملية تأقلم هذه القوة الفكرية مع الروح الإنسانية؟ هذا أمر ظلّ غير واضح لدى أرسطو. ولعل الدافع الأساسي لابن رشد كي يبلور نظريته الشهيرة هو الإجابة عن السؤال المذكور. وتتلخص هذه النظرية في مقترحات ثلاثة تبدو كما لو أنها عمل جنوني. وسوف تصْدم المقترحات الثلاثة أوروبا على مدى خمسة قرون من الزمن. المقترح الأول يقول بإن العقل مادة منفصلة عن الجسد. والثاني يرى أن العقل واحد لدى الانسانية جمعاء. أما الثالث فيؤكد على أن العقل أبديّ، وأنه لم يخلق، وأنه يظل حيّا بعد موت الجسد...

وقد عارض ابن رشد في شروحاته عباقرة في الفكر اللاهوتي في أوروبا في العصور الوسيطة. بينهم القديس بونافاتور، وتوماس الأكويني، وألبير لوغران. وبالنسبة لهؤلاء كانت نظرية العقل «كارثة عظمى». وباختصار هي تدمّر العقلانية الشخصية. وهي «شتيمة وسُبة « حقيقية للإنسانية وللفرد البشري. وهي» فكرة غريبة ودخيلة» إذ أن عقلا واحدا بالنسبة لجميع الكائنات البشرية لا يعني شيئا آخر غير فوضى الأفكار، والتلميذ والأستاذ، والسيد والعبد، والضحية والجلاد، والمؤمن والكافر، وجميع هؤلاء يتقاسمون نفس الذكاء، وفي نفس الزمن. لذلك لم يتردّد توماس الأكويني في نزع صفة» الشارح» عن إبن رشد ليصفه ب»الفاسد» وب «المتفسخ». وانطلاقا من القرن الثالث عشر، ازدادت

رأي

التهجمات من قبل رجال اللاهوت في أوروبا ضد ابن رشد ليصبح مثالا للنفاق والغش والتحيّل في المجال الفكري. وهو رجل» الحقيقة المزدوجة»، أي ذلك الذي يجعلنا نعتقد أن هناك حقيقة في مجال الفلسفة، وأخرى في مجال العقيدة من دون تكون هاتان الحقيقتان متناقضتين. ويرى جان -بابتيست بروني ان قوة ابن رشد تتمثل في أنه أقّر بأن الفلسفة لا تتعارض مع الإسلام، بل أنها «إجبارية» لمن تكون لهم مُتَاحة. غير أنه يقر أيضا بأن للفلسفة طريقا وللدين طريقا آخر من دون أن يمنع كل واحد منهما من التوصّل الى نفس الحقيقة. ومعنى هذا أن ابن رشد كان فيلسوف الحقيقة الواحدة والطرق المتعددة، وليس»رجل الحقيقة المزدوجة» مثلما ادعى ذلك خصومه من رجال اللاهوت في أوروبا. ويختم جان -بابتيست بروني حديثه عن إبن رشد قائلا :"من ناحية الشكل نقدر أن نقول بإن ابن رشد يحيّر أوروبا، ويفتنها، ويصدمها ذلك أنه اعتبارا لمدونته، ليس بربريا على الحدود، وإنما هو وجهها الآخر من الداخل إلى الداخل. آخر يمكن لأوروبا أن تستعمله، ومنه تستوحي قبل أن ترغب من دون أي شك في أن تمحو تراثه الفكري» ...

وإذا ما كانت المعركة بين ابن رشد وخصومه الغربيين قد حسمت في النهاية لصالحه ليصبح ملهما لرموز الفلسفة العقلانية، إلاّ أنها انتهت في العالم الإسلامي بهزيمته، وبحرق كتبه، وبتكفيره. وكان أبو حامد الغزالي المنتصر الكبير إذ أنه شنّ هجوما عنيفا على النزعات الفلسفية التي ولدت من رحم الفلسفة اليونانية، وعلى أصحابها، ساخرا من «تهافت عقيدتهم»، ومن «تناقض كلامهم فيما يتعلق بالإلهيّات»، ومن «غوائل مذهبهم وعورته» مُتّهما إياهم بالزندقة والكفر، ومُعتبرا آراءهم وعقائدهم متطابقة مع آراء وعقائد «العامة والدهماء». وقد عاضده في ذلك ابن تيمية الذي سيكون «المعلم الأكبر» لكل الحركات الأصولية التي اكتسحت العالم العربي -الاسلامي في العصر الحديث إذ أنه ساند بقوة كل ما جاء في كتاب «تهافت الفلاسفة» لأبي حامد الغزالي واصفا كل المتأثرين بالفلسفة اليونانية» ملاحدة»، و»جهلة بالعلوم الإلهية».

في فترة حركة النهضة التي بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سعى البعض من رموز هذه الحركة إلى ردّ الاعتبار إلى الفلسفة اليونانية، وإلى المتأثرين بها من العرب والمسلمين. وكان المصري أحمد لطفي السيد الذي لقبه العقاد ب «أفلاطون العربي» من أبرز هؤلاء. وكذا كان حال د. طه حسين الذي طالب في كتابه الشهير :» مستقبل الثقافة في مصر» الصادر في الثلاثينيات من القرن الماضي، بضرورة تشريك مصر في التراث الاغريقي-الروماني بحكم ارتباطها الوثيق بالحضارات والثقافات التي تعاقبت على البحر الأبيض المتوسط في مراحل مختلفة من التاريخ. وبسبب هذا الكتاب، فُصل د. طه حسين من الجامعة، وتعرّض لانتقادات لاذعه، وواجه تهمة التكفير والالحاد تماما مثلما كان حاله عند صدور كتابه الآخر :»في الشعر الجاهلي». مع ذلك واصل طه حسين دفاعه عن فلاسفة وشعراء الاغريق في كتابه :»قادة الفكر» الذي قدّم فيه تعريفات مُبسّطة ومفيدة عن رموز الأدب والفلسفة في بلاد اليونان. كما تحمّس آخرون لمشروع احياء العلاقة مع الحضارة اليونانية، وأصدروا العديد من المؤلفات القيّمة والرفيعة في هذا المجال. ومن أبرز هؤلاء يمكن أن نذكر، الدكتور لويس عوض، وزكي نجيب محمود، ود. عبد الرحمان بدوي، وآخرون، إلاّ أن هذه الجهود لم تثمر، ولم يتمكن أصحابها من بلوغ الأهداف المؤمّلة والمرجوة. ويعود ذلك إلى العودة القوية للحركات الأصولية التي برزت في الثلاثينيات من القرن الماضي، والتي أحْيَت فقه عصور الانحطاط والتخلف لتحارب به كل مظاهر التنوير والعقلانية لا بالخطاب الديني، ولا بالفتاوي فقط، بل بالعنف وهدر دماء ورفع السلاح في وجوه كل من يخالفهم في الرأي ، ومنع كتبهم من الصدور والانتشار. لذا كان ضحاياهم من أهل الفكر والأدب يُعدّون بالعشرات في مختلف البلدان العربية. وقد لاقت هذه الحركات مساندة مباشرة وغير مباشرة من جل الأنظمة الحاكمة مشرقا ومغربا إذ أن هذه الأنظمة حاربت هي أيضا أصحاب الفكر الحر، وصادرت كتبهم، ورمت بهم في السجون، أو أجبرتهم على الفرار إلى المنافي. وفي البرامج المدرسية والجامعية يتمّ التعامل مع مادة الفلسفة بكثير من الحذر والتحفظ، وتتدخّل الرقابة في كل مرة يسعى فيه البعض من المدرسين لها إلى تجاوز «الخطوط الحمراء». بل أن البعض من الأنظمة العربية ألغت ومنعت تدريس الفلسفة باعتبارها مادة «خطرة ، مُفسدة لعقول الشبيبة»...غير أن العداء للفلسفة بدأ يخفّ خلال العقود الأخيرة. ويعود ذلك إلى التنامي والانتشار الواسع والمرعب الذي تشهده الحركات الأصولية المتطرفة التي شوّهت بجرائمها الإرهابية، صورة العرب والمسلمين، وسمحت لأعداء الإسلام بإيجاد مبررات ومُسْتَنَدات لأفكارهم وأطروحاتهم. وفي البعض من البلدان العربية، بما في ذلك الدول الخليجية، ظهرت نواد ومركز للبحوث والدراسات الفلسفية تقوم بتنظيم ندوات يحضرها ويُشارك فيها أكاديميون وباحثون يمتلكون اطلاعا واسعا وعميقا على مختلف المدارس والتيارات الفكرية والفلسفية قديما وحديثا. وهذه ظاهرة محمودة وإيجابية نرجو ان تتواصل وتنتشر لكي تصبح الفلسفة وسيلة ناجعة لمقاومة التزمت والتحجر والتطرف والإرهاب الذي أصبح يهدد العالم برمته. لكن يجدر بنا أن نلاحظ أن إعادة الاعتبار للفلسفة لن يكون نافعا ومفيدا إلاّ بإحياء تلك اللحظة التاريخية العظيمة التي قام فيها الفلاسفة العرب والمسلمون بربط صلة وثيقة مع الفلاسفة الاغريق ليبلورا أفكارا وأطروحات كان لها دور كبير في نهضة الغرب الفلسفية. ولن يتمّ ذلك إلاّ بإدراج مؤلفات هؤلاء في المناهج المدرسية والجامعية، وبمدّ مراكز البحث والترجمة بما تحتاجه من مساعدات مادية ومعنوية لإصدار تعريفات وترجمات دقيقة للمؤلفات الكبرى التي تميزت بها الفلسفة الاغريقية في زمنها الذهبي.

صورة تتحدّث

الدكتور جمال بوراوي

صاحب الاطلالة البهية ذو الوجه الصبوح والابتسامة المشرقة والأناقة اللافتة إنه العارف بأصول مهنته والمتقن لها يقدم لنا المعلومات الكافية والشافية عن أحوال الطقس ننتظر ظهوره كل مساء بعد النشرة الاخبارية انه المهندس"جمال بوراوي"من قلائل مقدمي النشرة الجوية الذين تميزوا بالتلقائية والحرفية في تقديمهم للتفسيرات والتحذيرات(امطار برد شديد رياح تساقط ثلوج...) لقد أبعد التقاعد الكثير من الكوادر والإطارات الذين مازالوا في أوج عطاءهم وكان بالإمكان الإستفادة من علمهم واختصاصهم بطرق أخرى من خلال الندوات والمحاضرات من بينهم المهندس"جمال بوراوي" نتمنى له كل الخير والصحة

قراءة في كتاب

«ترتيلة الوداع»:من رواية «صياد الغروب» للروائية ام الزين بنشيخة :

«المفتاح الفلسفي لصياد الغروب وصراع الإنسان مع الزمن»

فيصل السائحي - استاذ الفلسفة ناقد و باحث

في نص «ترتيلة الوداع»،من رواية «صياد الغروب للروائية الدكتورة ام الزين بنشيخة نجد أنفسنا أمام لوحة أدبية تتجاوز البساطة الظاهرية للسرد، لتفتح أبوابًا واسعة نحو2 تساؤلات فلسفية عميقة عن الوجود، الحرية، والعبث. يقدم النص مجموعة من الرموز الكثيفة، كالحجر والبحر واللغة، ليعبر عن حالة من الصراع الوجودي بين الإنسان والعالم الذي يحيط به. هنا، يبدو النص أقرب إلى تأمل فلسفي يتناول معاني الحياة والموت، الجدوى والعبث، المقدس والمدنس.

تأملات فلسفية في عبثية الوجود: وصراع الإنسان مع الزمن

التحول إلى حجر: الراحة والحرية

أحد أبرز الرموز في النص هو التحول إلى حجر، حيث يتساءل القارئ: ما معنى أن يصير الكائن حجرًا؟ هنا يمكن استدعاء مفهوم «الراحة الكبرى» التي يُعبر عنها النص، والتي ترتبط بفكرة الحرية والتألّه. هذا التحول يشير إلى نوع من التحرر من قيود الزمن والتاريخ، وكأن الحجر يمثل حالة من الثبات الوجودي، حيث يتجاوز الكائن الحي حالة التغير الدائمة ويدخل في حالة من السكون المطلق. في هذا السياق، يمكن أن نستدعي الفلسفة الوجودية التي ترى في الموت نهاية للمعاناة والصراع، وحالة من الراحة النهائية. هل يمثل الحجر، إذًا، تلك الحالة النهائية من السكون التي لا يوجد بعدها أي صراع أو جدل؟

العبادة والتحول إلى حلوى: القداسة والنسبية

من المفارقات البارزة في النص، التحول من عبادة الآلهة الحجرية إلى أكلها كحلوى. هذا التحول يعكس مفهومًا فلسفيًا عن القداسة والنسبية. هل المقدس، كما يطرحه النص، يمكن أن يتحول إلى شيء مستهلك بمجرد أن يتغير السياق؟ يمكننا أن نستشف في النص إشارة إلى موقف الكاتبة الذي يؤكد على نسبية القيم والأفكار الدينية، بما يضفي

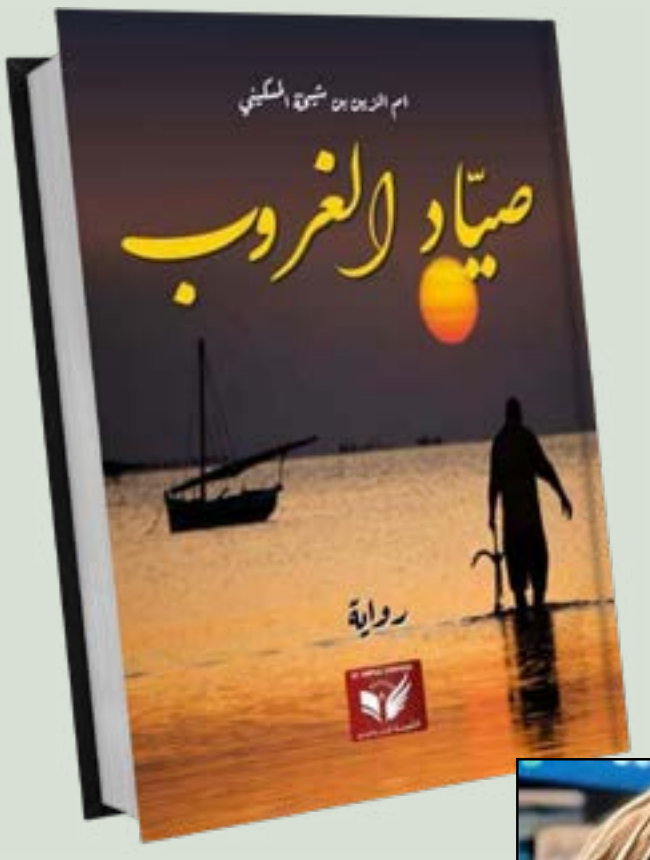

طابع النسبية على علاقة المجتمعات بالمقدس .. ربما يلمح النص إلى أن الإنسان، في سعيه للتحرر من هيمنة السلطة الدينية أو الاجتماعية، قد يبتكر وسائل جديدة للتفاعل مع المقدس، سواء من خلال تدميره أو تحويله إلى شيء ملموس وقابل للاستهلاك..

أم الزين بنشيخة

اللغة :أداة للتحرر أو القيد؟

في إحدى لحظات النص، يظهر السؤال حول دور اللغة في تشكيل الواقع أو تقييده، حيث توصف اللغة بأنها «معتقلات كبيرة». هنا يمكن أن نستدعي فلسفات اللغة مثل التي طرحها فيلسوف اللغة لودفيغ فيتغنشتاين، الذي أشار إلى أن اللغة تشكل حدود عالمنا. هل يشير النص إلى أن اللغة، رغم قدرتها على التعبير، تفرض علينا قيودًا فكرية تجعلنا غير قادرين على تجاوز حدود معينة في التفكير والفهم؟ أم أن اللغة، في نهاية المطاف، يمكن أن تكون وسيلة للتحرر من تلك القيود، عبر السخرية والتلاعب بالقواعد اللغوية؟

الأكاذيب الجميلة: ضرورة الخيال في مواجهة الواقع

تلعب الأكاذيب الجميلة دورًا مركزيًا في النص، حيث يُشار إلى الحاجة إليها كوسيلة لمواجهة الواقع القاسي. هنا، يمكن أن نرى تداخلًا مع أفكار الفيلسوف فريدريك نيتشه، الذي رأى في الوهم والخداع ضرورة للحفاظ على توازن النفس البشرية. ليست الأكاذيب في النص مجرد كذبة خادعة، بل هي نوع من الحماية، وسيلة لبناء واقع موازٍ يمكن فيه للإنسان أن يحقق جزءًا من أحلامه وطموحاته. هل يشير النص إلى أن الإنسان، في مواجهته للعبثية واللاجدوى، يحتاج إلى هذه الأكاذيب الجميلة لتجنب الغرق في اليأس؟

«الزحف دون جدوى»: عبثية الحياة والصراع مع الفناء

فكرة «الزحف دون جدوى» تعكس حالة من العبثية التي تسيطر على أجواء النص، حين يعبر عن شعور الإنسان بالعجز في مواجهة قوى أكبر منه. هنا، يمكن أن نستدعي فلسفة العدمية التي تحدث عنها نيتشه وكامو، والتي تشير إلى أن الحياة، في نهاية المطاف، قد تكون خالية من أي معنى أو غاية. الشخصيات في النص تبدو وكأنها عالقة في دوامة من الصراع غير المجدي مع قوى لا يمكن السيطرة عليها، سواء كانت الزمن أو الطبيعة أو التاريخ. هل يعبر هذا الزحف العبثي عن حالة الإنسان الذي يواجه حتمية الفناء، ويحاول بجهد غير مجدٍ الهروب من هذا المصير؟

الحرية والتألّه: صراع الإنسان مع المقدس والمدنس

فكرة التألّه التي تُطرح في النص عبر التحول إلى حجر تشير إلى نوع من الحرية الروحية التي تذكرنا بالفكر الوثني القديم. هذا التألّه لا يتمثل في الخضوع لقوة علوية، بل في تحقيق نوع من الانتصار على الحياة ذاتها، وكأن الشخصيات في النص تسعى إلى نوع من الاستقلالية المطلقة عن الطبيعة والزمن. في هذا السياق، يبدو التحول إلى حجر وكأنه محاولة للتحرر من قيود الحياة والفناء، لكن هذا التحرر قد يكون أيضًا نوعًا من

الهروب من مواجهة الحقيقة.

الأنثوية والسخرية: مقاومة النظم اللغوية والاجتماعية

من العناصر البارزة في النص هو التوتر بين الأنثوية والذكورة، وكيف تستخدم الشخصيات الأنثوية السخرية كوسيلة لتدمير النظام القائم. هذا الصراع يعكس تمازجًا بين الفلسفة النسوية ونقد النظام الذكوري السائد في الأدب واللغة. السخرية هنا ليست مجرد وسيلة للضحك، بل هي سلاح يستخدمه النص لتفكيك الأنظمة التقليدية وإعادة تشكيل الواقع بطريقة جديدة.

البحر والابتلاع: القوة الطبيعية والعودة إلى الأصل

يظهر البحر في النص كرمز للقوة الطبيعية التي تبتلع المكان، مما يطرح تساؤلات حول علاقة الإنسان بالطبيعة. البحر قد يكون رمزًا للعودة إلى الأصل، إلى حالة من الفناء التي تسبق كل وجود. هنا يمكن أن نستدعي فلسفة الطبيعة عند سبينوزا، التي ترى أن الإنسان جزء من الطبيعة الكبرى، وأنه في النهاية سيعود إليها كجزء من دورة الحياة والموت.

نص يحمل عبء التساؤلات الفلسفية

«ترتيلة الوداع» ليست مجرد نص أدبي، بل هي تأمل فلسفي عميق في معاني الحياة والموت، الحرية والقيود، الواقع والخيال. يطرح النص تساؤلات وجودية تتعلق بعبثية الوجود وحتمية الفناء، لكنه يفتح أيضًا أبوابًا جديدة للتفكير في دور الخيال والأكاذيب الجميلة في الحفاظ على توازن النفس البشرية. في نهاية المطاف، يظل النص مفتوحًا على تأويلات متعددة، حيث يقدم للقارئ رحلة فلسفية عميقة في عالم من الرموز المكثفة و المعاني الملتبسة.لذلك، تشكل «ترتيلة الوداع» بوابة فلسفية للدخول إلى عالم «صياد الغروب». من خلال تأملاتها العميقة حول الوجود، الحرية، الزمن، والفناء، تفتح المقدمة المجال لفهم أعمق لما ستطرحه الرواية من أسئلة فلسفية كبرى. يمكننا القول إن المقدمة تمهد الطريق لفهم الصراع الذي يخوضه الإنسان في مواجهة الزمن والعدم، وتوضح أن الرواية ليست مجرد سرد بسيط، بل رحلة فلسفية في أعماق الوجود، مليئة بالرموز والدلالات.

ترتيلة الوداع» كمفتاح فلسفي لرواية «صياد الغروب

في «ترتيلة الوداع»، التي تأتي كمقدمة فلسفية لرواية «صياد الغروب» للروائية الدكتورة أم الزين بنشيخة، نجد أنفسنا أمام مدخل يعكس جوهر التساؤلات الوجودية التي ستمتد على امتداد الرواية. هذه المقدمة تقدم لوحة رمزية مكثفة تفتح الباب أمام القارئ لفهم الإطار الفلسفي العميق الذي تقوم عليه الرواية. «ترتيلة الوداع» لا تمثل مجرد مشهد تمهيدي، بل هي مخل أدبي وفلسفي يمهد للرحلة الكبرى التي تأخذنا إليها «صياد الغروب»، حيث نجد العديد من الأفكار والرموز التي تنسجم مع ثيمات الرواية الرئيسية.

الوجود والعبثية: الغروب كرمز للزوال

«ترتيلة الوداع» تقدم تأملات عميقة حول فكرة العبثية، خاصة في تصوير «الزحف دون جدوى»، وهو المفهوم الذي يتردد صداه في الرواية ككل. «صياد الغروب» تدور حول الإنسان الذي يسعى للإمساك بالغروب، تلك اللحظة الزائلة التي تعكس عبثية الصراع مع الزمن والموت. المقدمة الفلسفية تضعنا أمام هذا الصراع الوجودي الذي يتجلى في السعي وراء شيء لا يمكن الإمساك به، مما يعزز فكرة أن الرواية تستند إلى تأمل في جدوى الحياة في مواجهة الزمن الذي يبتلع كل شيء.

الحجر: رمز الثبات والخلود

في «ترتيلة الوداع»، نجد أن التحول إلى حجر يعكس الراحة والتحرر من قيود الزمن والتاريخ. هذا الرمز لا يقف عند حدود المقدمة فقط، بل يتسع ليشمل الرواية بأكملها. صياد الغروب نفسه يمثل هذا السعي وراء الثبات في عالم متغير، وكأن التحول إلى حجر يعبر عن الرغبة في الخلود ومقاومة الزمن. الرواية، إذا ما قُرئت في ضوء هذه المقدمة، تصبح تأملًا في الصراع بين الحياة المتحركة والرغبة في الثبات والخلود، وهي فكرة فلسفية جوهرية.

القداسة والنسبية: من العبادة إلى الاستهلاك

المقدمة تسلط الضوء على التحول من عبادة الآلهة الحجرية إلى استهلاكها كحلوى، مما يعبر عن نسبية القيم الدينية والاجتماعية. في رواية «صياد الغروب»، يمكن رؤية هذا التحول في سعي الشخصيات وراء معاني مقدسة جديدة في عالم يفتقر إلى قداسة واضحة. الغروب في الرواية يمكن أن يمثل تلك اللحظة المقدسة التي تتحول تدريجيًا إلى شيء مادي يُستهلك، وهو ما يتوافق مع فكرة المقدمة حول تحول المقدس إلى شيء قابل للاستهلاك عندما يتغير السياق.

اللغة: وسيلة للتحرر أم أداة للقيد؟

«ترتيلة الوداع» تثير تساؤلات حول دور اللغة في تقييد أو تحرير الإنسان، مشيرة إلى أن اللغة يمكن أن تكون معتقلات فكرية. هذه الفكرة تتجلى في «صياد الغروب»، حيث تُستخدم اللغة كسلاح رمزي في مواجهة الفناء. اللغة في الرواية ليست فقط وسيلة للتعبير، بل هي جزء من الصراع الوجودي الذي يخوضه الإنسان في مواجهة الزمن والتغير. كما أن الرواية تسعى، من خلال اللعب اللغوي، إلى تحرير الشخصيات من قيود الواقع المادي، مما يجعل من اللغة حقلًا فلسفيًا للتأمل حول الحرية.

الأكاذيب الجميلة: ضرورة الخيال لمواجهة الحقيقة القاسية

«ترتيلة الوداع» تتحدث عن الأكاذيب الجميلة كوسيلة لمواجهة الواقع القاسي، وهي فكرة تتجسد بشكل واضح في رواية «صياد الغروب». الشخصيات في الرواية تجد نفسها مضطرة لخلق عالم موازٍ من الأكاذيب والخيالات للتعامل مع حتمية الفناء والزوال. الرواية، على غرار المقدمة، تقترح أن الخيال والاكاذيب قد يكونان ضرورة فلسفية لمواجهة العبثية واللامعنى في الحياة، حيث يصبح الغروب في الرواية استعارة لهذا الوهم الجميل الذي يواجه به الإنسان نهاية كل يوم.

البحر والغروب: الابتلاع والعودة إلى الأصل

«ترتيلة الوداع» تستخدم البحر كرمز للقوة الطبيعية التي تبتلع المكان، مما يعكس مفهوم العودة إلى الأصل والفناء. هذا الرمز يتسع ليشمل الغروب في الرواية، حيث يمثل الغروب لحظة الانصهار مع الطبيعة، والعودة إلى حالة من الفناء التي لا يمكن تجنبها. البحر والغروب كلاهما يعبران عن قوة الطبيعة التي تتجاوز الإنسان وتعيده إلى حالة الانسجام معها، وهو ما يتكرر كموضوع رئيسي في الرواية، حيث تصبح الطبيعة والفناء قوى لا يمكن الهروب منها.

«السّرد بين الجماليّة الأدبيّة والأدلجة» في رواية "عذرا... كان تشابها في الأسماء" للشّاعرة والرّوائيّة مريم ذياب

دنيا ربيعي

تقول غادة السّمّان :
"أحبك خيوط حرّيّتي بعيدا عن دروب القطيع وأحاول عبثا اختراع مصير امرأة آتية من العالم الثّالث لكنّني مصرّة على ترك آثار أقدامي وآثار أقلامي"

عندما تلج عالمها الرّوائي في عملها المميّز "عذرا...كان تشابها في الأسماء" يشدّك ويبهرك هذا الإصرار الكبير على التّوهّج والحياة والانبعاث من تحت ركام أوحال القسوة والإنهاك الّذي يمارسه الواقع لا سيّما واقع تونس الجميلة بعد سنوات قليلة من أحداث ديسمبر 2010.

يتجلّى هذا الإصرار في التّفاصيل اليوميّة للبطلة (سناء) ففي قلب المحنة والاختناق تحافظ على طقوس الاهتمام بأنوثتها كما لو كانت عروسا ليلة زفافها..

"تناولت فطوري بسرعة على غير عادتي، ثمّ توجّهت إلى الحمّام، وسمحت للماء الحار أن يتدفّق بغزارة ليملأ المغطس. ولجت غرفتي وأحضرت ما يلزمني لأتمّ طقوس استحمامي الّذي لم تثنني عنها صروف الزّمن، فأنا لا أدخل المغطس إلاّ وضوء الشّموع يتراقص حولي، ورائحة الخزامى تعبق مع بخار الماء، وأجود أنواع الغسول بين يديّ. " (ص9)

تمارس كل ذلك وهي على شفا الهاوية، توشك أن تبتلعها فأي إصرار أنثويّ هذا على التّشبّث بتلابيب الحياة.

إنّ الرّواية قد ولدت من رحم الواقع السّياسي والاجتماعي المضطرب الّذي رسمته لنا مريم ذياب بريشة الكاتب الفنان فتداخلت الحدود بين المرأة والرّجل/ بين ليبيا وتونس/ بين اللّيل والنّهار /بين المدينة والرّيف .

لقد أفادتنا الكاتبة بما فاض به خاطرها فسال به قلمها وأخرجت لنا في النّهاية تحفة أدبيّة استحقّت أن تسمّى (ملحمة) مدارها هواجس المرأة المثقّفة وأوجاعها فموضوع المرأة المتعلّمة الّتي ترنو إلى التحرّر، وإن بتحفّظ واحتياط، هو قطب الرحى في رواية " عذرا... كان تشابها في الأسماء"

ولعلّ من أهم عناصر التّشويق في سرديّة هذا العمل هو هذا الصّراع داخل الشّخصية الأنثويّة ذاتها قبل أن يكون صراعا خارجيّا مع المجتمع والسّلطة الذّكورية الأبويّة.

هذه الشّخصيّة الرّئيسيّة (سناء) هي شخصيّة عميقة اشتغلت الكاتبة على بنيتها النّفسيّة ومعالمها الجسديّة وهي شخصيّة تبدو موشكة على التّمرّد ورفع عصا العصيان في وجه مجتمعها ونواميسه. دون أن تبلغ في ذلك المدى الأقصى فتظلّ تردّها وتلجمها الشّخصيّة الريفية المحافظة وتحدّ من " تعنّتها" وثورتها على تقاليد في أغلبها مكبّلة للتّحرّر والانطلاق.

لقد كانت رحلة "سناء" الّتي ظلّت تلاحقها لعنة تشابه الأسماء توثيقا وتشويقا.. كانت ورقة أخرى توثّق جزءا من تاريخ تونس وليبيا ومن الذّاكرة الجمعيّة الّتي تتجسّد في مختلف التّعبيرات بما في ذلك ما نختزنه من أغان تستدعيها الحالة النّفسية والهواجس على غرار " إلّي تعدّى وفات زعمة يرجع"، إنّه البحث عن الزّمن المفقود.

"إنطلقت بنا سيّارة الأجرة تطوي الطّريق، أحسست بشيء من الرّاحة، وأسندت ظهري إلى الخلف وقد سرح ذهني مع أنغام أغنية الجمّوسي "إلّي تعدّى وفات زعمة يرجع". كنت أردّد المقطع في سرّي والسّؤال يتأرجح أمامي، يفقدني تركيزي:

- "زعمة إلّي تعدّى وفات يرجع"؟ (ص40)

لقد راوح هذا العمل الرّوائي الممتع بين حمل مشعل الأفكار من جهة والاشتغال على ألاعيب السّرد وأحابيله من جهة أخرى في موازنة بين الجمالي والفكري وقد وفّقت الرّوائية من خلال مسار الشّخصيّة الرّئيسيّة في تمرير أفكارها ورؤيتها للعالم والمجتمع لكن دون أن تقع في المباشراتية فكان كلّ ذلك يمرّر إلى القارئ عبر السّرد والحوار والتّلاعب بالزّمن تأخيرا وتقديما فتكسير خط الزّمن في الرّواية واضح جليّ تستخدم الكاتبة في ذلك تقنية التّذكّر أو الحلم ليختلف زمن الحكي عن زمن الخطاب ..

..."أطرقت لحظات بحجم العمر... تذكّرت خلالها آخر يوم ودّعت فيه مهنة التدريس، حيث دخلت في عطلة طويلة المدى جرّاء صروف الدّهر ومشاغله ومشاكله أتعبت روحي الهشّة وعبثت بأعصابي. "

فيكون هذا التّذكّر حيلة ليأتي زمن الحكاية المتقدّم متأخّرا عن زمن الخطاب . وهذه الومضات الورائيّة تكثر في الرّواية فتزيدها تشويقا وتخفّفا من أعباء وحمل الأدلجة والأفكار السّياسية والمواقف الاجتماعية بل أكثر من ذلك تضعنا الرّواية أحيانا في صميم الواقعيّة السّحريّة والبطلة ترى نفسها بعد موتها (أثناء سفرها وهي على متن قطار) ومواقف الآخرين من ذلك وقد ذكّرتني في هذا المقطع ببطل رواية(قيامة الحشّاشين) للهادي التيمومي ، أستاذ التاريخ المختص في الآثار بعد عثوره على المزامير في بيته وملاحقة الحشّاشين له ، أصابه الرّعب لدرجة أنّه تخيّل موته على يديهم عدّة مرّات نتيجة الرّعب والهلع الذي سكنه

كذلك قصّة "أيّام رجل ميت" الّتي وردت في مجموعة "جهنّم الجدارين ومتاهات أخرى" لرحيم بن عامر.

مريم ذياب

ولا غرابة فهموم الكتّاب وخيالاتهم تتشابه خاصّة عندما يكون تاريخهم واحدا وتجمعهم رقعة جغرافية واحدة.

لكن لكلّ خصوصيّته حتّى إن تواردت الخواطر.

إذن، مع تعدّد فنّيات السّرد وأدبيّته فإنّ الكاتبة قد ربطت مصائر الشّخصيّات بالأحداث السّياسيّة لتمرّر أفكارها ومواقفها إذ يظلّ الأدب عندها رسالة فضلا عن الجماليّة.

من أمثلة ذلك

طبيعة الانتماء الإيديولوجي للشّخصيّات:

* سناء: المربّية، المرأة المضطهدة من العائلة والعمل والرّجل، تهرب إلى عالم أرحب باحثة عن هويّة مفقودة.

*في القطار: الجليس ذو اللّحية والقميص، المظهر هنا يحدّد الاختلاف الإيديولوجي

*في الطّريق: أطفال الرّيف المهمّش

*المدرسة: (العربي) الشّخصيّة الدّاعمة(شخصيّة مقهورة يعتصره ألم فقدان والده، متأسّفا على الحالة الّتي آل إليها وعدم قدرته على رفع الظّلم الّذي لحق به)

الحوار عن السّياسة وحال البلاد

*ليبيا=العلاقة بين البلدين والحديث مع العمّة...و ابنها عن الثّورة

*بنت الحاجّة اللّيبيّة وحكايتها

*الوقوف على أهمّية الوطن والبحث عن الهويّة

*لقاء الشّرطة والعلم والصّورة

وبالتّالي تنوّعت الصّراعات الإيديولوجيّة فكانت صراعات فكريّة تظهر من خلال تباعد الأفكار وصراعات نفسيّة تمثّلها شخصيّات تتحسّر على الأوضاع الّتي آلت إليها البلاد وسكّانها وهو ما يظهر في عدّة مقاطع من الرّواية.

إنّنا نستشفّ من الرّواية بعض الميولات السياسيّة لكنّها جاءت في أهاب فنّي روائي فتمرّ الأفكار إلى القارئ وهو متلهّف لمتابعة الحكاية ومن ثمّ تأتي المواقف دون السّقوط في المباشراتيّة وكأنّ المجاهرة بموقفها السّياسي رسالة تحملها فضلا عن نحت جماليّة الكتابة الأدبيّة

فنجد الرّواية بين هذا وذاك في موازنة ومعادلة صعبة فنعثر على موقف سياسي تعقبه صور وخيالات وشاعرية تجعلك أحيانا تشعر أنّك في حضرة قصيدة دون أن يخلّ ذلك باندراج الرّواية ضمن الواقعيّة وهو اتّجاه يوفّر للرّوائي فرص تمرير المواقف الفكريّة والاجتماعية ويعتبر الفن رسالة وسلاحا للتّغيير وليس مجرّد ترف فنيّ.

ختاما أقول

إنّها رواية تسحرك بجمال السّرد وروعة الوصف رغم الرّسائل المشوبة بالأدلجة والتّسيّس إلاّ أنّ_ مريم ذياب_ استطاعت الجمع بين القضايا الإنسانيّة والأدبيّة فأبدعت وتمكّنت من رصد الواقع دون الوقوع في فخ الوعظ وذلك دليل على حرفيّتها ووعيها بتقنيات العمل الفنّي فقدّمت لنا أدبا عاليا دون أن تغفل على بعض القضايا الّتي تهمّها وتهمّ الشّعب دون أن تشعر وأنت تقرأ لها أنّها تؤدلج القضايا .

كما جعلت الكاتبة_ مريم ذياب_ بحديثها عن النّساء وهمومهنّ وهاجس العلم والدّين وأزمة الهويّة من ألمها خلقا لإبداع دون أن تتشرنق حول ذاتها.

فنجد سناء البطلة الرّئيسيّة تحكي دون أن تقع في فخ الموعظة جسّدت التّسلّط الدّيني السّياسي بأسلوب أدبي وتصوير خيالي وتحدّثت عن القهر والظّلم بخيال خلاّق وحسّ مرهف .

رواية عبرت من خلال المنحى الإنساني إلى قراءة الواقع، فالمكلوم عبّر عن حقّه في الحياة بالصّراخ والهروب والحوار والحلم بنقطة الضّوء في آخر النّفق رغم إكراهات الواقع = .

"نفضت عنّي ثوب التّعب، وقد تراقصت أمامي أيّام جميلة قادمة على مهل، وتوغّلت في حلم بحياة أفضل، وبضحكة أصدق، وبفرح أكبر، سوف أتقاسمه مع بنتيّ، وقد نظلّل به على جميع من يحيط بنا، وكلّ من ساهم ولو بصمت مُخْزٍ في وجعنا... "

ليس أفضل من هذا الشاهد بلسان سناء مثالا عن روح هذا العمل الرّوائي الّذي يضاف إلى رصيد الأعمال الرّوائية التّونسية المميّزة في السّنوات الأخيرة . هي رواية تستحقّ القراءة والتّأمل ولن يخرج القارئ منها تماما مثلما كان قبل أن يلج عوالمها إذ ستترك فيه أثرا بلا جدال مثل كلّ عمل أدبيّ سامق يترك بصمته المخصوصة.

« ظلال النخيل» كتاب يُثمّن أهمية الأرشيف العائلي في حفظ الذاكرة

أ. نعيمة الحمامي التوايتي

على سبيل المقدمة «أبو القاسم الشابي شاعر الإنسانية, ظلال النخيل», نصوص شعرية ونثرية ورسائل تُنشر لاوّل مرّة» كتاب صدر سنة 2020 عن «جمعيّة الشابي للتنمية الثقافيّة والاجتماعية». اسهاما منها في إحياء الذكرى 111 لولادة شاعر تونس الكبير أبي القاسم الشّابي (ص. 13).

مجلّد أنيق في 254 صفحة, حقّقه وقدّم له الباحث الدكتور علي الشابي. تضمن المنجز نصوصا لم تنشر للشابي خلال حياته, قدّمت إضافة مهمة في التعريف به. فنحن نعرف أن الشابي لم ينجح خلال فترة حياته القصيرة ,إلّا في نشر كتابه «الخيال الشعري عند العرب» وتعرض بسببه إلى النقد والى أشدّ انواع التضييق. ولم يظهر ديوان «أغاني الحياة« إلا سنة 1955، بتقديم شقيقه محمد الأمين الشابي الذي اعتمد النسخة التي جمع قصائدها وراجعها ونقّحها الشاعر نفسه، ف»اغاني الحياة» لم يكن الديوان الجامع للإرث الشعري للشابي رغم أنه أعيد نشره عديد المرات منذ سنة 1966...

وفي كل مرّة تضاف قصائد مكتشفة حديثا. في سنة 1994 أصدرت وزارة الثقافة كتاب جمع «الأعمال الكاملة للشابي» ظنّا أن الأمر قد حُسم. لكن يبدو أن أرشيف الشاعر لم يدلُ بدلوه كاملا كما ظهر في هذا المنجز الذي كشف فيه المحقّق:

- 1 - عن ظروف اهتدائه إلى هذا الجديد من أدب الشابي وعن دوافع اختياره لعنوان «ظلال النخيل»

- 2 - فيه أيضا نتوقف عند مسائل فنية متنوّعة منها:

* مفهوم الشابي للشعر؟

* قضية الفصل بين اللغة والأسلوب ومدى وعي الشابي بقضية الأسلوب والخيال أي الأفكار الجديدة والتفكير الذي يطوع اللغة ويجعلها تتطور

* مضمون الرسائل الني بعث بها الشابي أو تلقّاها من مبدعي ومثقفي عصره من تونسيين وعرب؟

قراءة في المتن:

1/ جديد الشابي ودوافع اختيار عنوان «ظلال النخيل»

* جديد الشابي

يتضمّن الكتاب جديدا من أدب الشّابي ظهر في:

- ثلاث أبواب في الشعر والنثر والرسائل

- ملاحق هي عبارة عن وثائق مكتوبة وصور للشاعر وعائلته

جديد ينشر لأوّل مرّة استقاه المحقق استنادا إلى مصدرين:

- الرواية الشفوية (عن مقربين من الشابي بتوزر اوبالمشروحة بالجزائر)

- أشعار للشّابي تُنشر لأول مرّة مستخرجة من وثائق قدّمها الأستاذ جلال الشابي ابن الشاعر للمحقق

د. علي الشابي

جاء في مقدمة الكتاب:

«في نوفمبر 2019 خصني الصديق الأستاذ جلال الشابي ابن شاعرنا الفذ أبو القاسم الشابي بالإطلاع على وثائق والده... مما نشر منها وما لم ينشر، فعكفت على دراستها وأمعنت في أمرها، فجمعت ما لم ينشر من أدبه شعرا ونثرا « ويذكر الدكتور علي الشابي أنه وجد صعوبة في تحقيق هذه النصوص، التي كتبها الشابي بقلم الرصاص منذ أكثر من الـ90 سنة. ويعتبر أن «هذه النصوص إضافة حقيقية يجد فيها دارسو الشابي «ما يطلبون»...»، ظلال النخيل ص9. ويقول المحقق:

«هكذا يعود صوت الشابي، بعد أكثر من 86 سنة، يتغني في جديده بحبّه للوطن وللحياة وللانسان... يُغرّد للحرية, محرّضا شعبه على المقاومة التي يرى فيها حياة.

المُنجز يبدو مجلّد مهم . واهم ما فيه هو عن الشاعر وشعره ونثره ومناخات الكتابة عنده في بيئته الثقافية وعلاقته بمعاصريه من أدباء تونسيين وعرب. نصوص «ترسم صورة لبعض من مشاغل الشاعر واشواقه وتُعين في آن على تبيّن تطوّر تجربته الشعرية، وما عرفته من ألوان تعبيرية ونغمية أحكمت اقتداره المرّة بعد الأخرى، وأغنت موسيقاه وزكّت حياة الشعر باموّاج من الموسيقى الساحرة...» ص39.

فالشّابي « شاعر عالمي متفرّد في فنّه كما يقول المحقّق. لذلك جاء الكتاب تحت عنوان « أبو القاسم الشابي شاعر الإنسانية».

فهل نحن أمام كتاب جديد للشابي يُضاف إلى أغاني الحياة، الخيال الشعري عند العرب، المذكرات، الرسائل...

* ظلال النخيل» لماذا هذه العتبة؟

يرى المحقق أنه اختار هذا العنوان بناء لاعتبارات عديدة منها:

- شعر الشابي ونثره وما ورد في رسائله:

يقول الشابي:

«وذهبت للنهر الحزين وفوقه
هجعت على حزن ظلال نخيل

رسائل الشابي مع أصدقائه الأدباء تبرز تعلق الشابي بالنخيل وظلاله بواحات مدينة توزر في الجنوب التونسي. التي كانت ملاذ الشابي يهرع إليها معتكفا في هدوئه مطلقا جماح أفكاره وخياله الرحب.

صديقه الشاعر رسائل مصطفى خريف ومحمد الحليوي, محمد البشروش.

2 / مسائل فنية متنوّعة نتعرض فيها إلى:

* مفهوم الشابي للشعر؟

* مدى وعي الشابي بقضية الأسلوب والخيال أي الأفكار الجديدة والتفكير الذي يطوع اللغة ويجعلها تتطور

* مضمون الرسائل الني بعث بها الشابي أو تلقّاها من مبدعي ومثقفي عصره من تونسيين وعرب؟

- في الشعر-

31 نص ومقطوعة شعرية تنشر لاوّل مرّة و15 نص في «القول الشعري» نصوصا شعرية تتفاوت في طولها: أدناها بيت واحد وأطولها 24 بيتا، متنوعة الأغراض, «موزعة بين الوطنية والحكمة ووصف الطبيعة والغزل والرثاء وأشواق الصوفية والرومانسيين«.

«ظلال النخيل» ص18، اجتهد المحقق في التعرّف إلى فترات كتابة هذه النصوص، بسبب عدم تأريخ الشاعر لها فقسّمها إلى قسمين:

- نصوص كُتِبت:

* قبل سنة 1929 أي ما قبل وفاة والده:

فترة رفاه. «الشاعر في كنف والده ينعم برغد العيش وهناء البال»،

* بعد سنة 1929 أي بعد وفاة والده:

في هذه الفترة، استفحل به مرض تضخم القلب، وهي فترة حزن وانسداد الافق والبحث عن الخلاص.

فما هو مفهوم الشابي للشعر؟

مفهوم الشابي للشعر

خصص الشابي للشعر نصا مهما عنْونَهُ ب» الشّعر» صص86/85 ربط فيه الشعر بالحياة.

«...الشعر قد رافق الحياة من نشاتها الاولى حتى الآن وسيرافقها فيما بعد إلى المستقبل البعيد الهاجع وراء الظلام.... »ظلال النخيل« صص 86/85

في هذه النصوص كان الشابي شديد:

~ أ ~ التأثر بالمنحى الصوفي~

الذي يبرز بوضوح من خلال قصائده المكتشفة حديثا وخاصة التي كتبها بعد موت والده نرى انّ الشابي كان شديد التأثّر بالتصوّف في الفكر واللغة والصورة الفنية»

يقول المحقق »لم يعد يفكر إلا في الخلاص الصوفي، إن بالموت الاعتباري أو بالموت الحقيقي».

فاعتقد في صفاء النفس وسموها وطوقها إلى التحرُّر من الجسد والعروج إلى العالم العلوي حيث الحبُّ منبتها الأصلي.

فيبدو -حسب رأي المحقق- أن الشابي متأثر بالسهرودي وابن عربي وجلال الدين الرومي، كما «تأثر بالرمز الغزلي الخمري الذي اعتمدوه في الحب الإلهي...» ص 21

انظر قصيدتيْ »كنت بالأمس» و»ايها القلب» الواردتين في «ظلال النُّخيل وقفنا على:

~ ب ~ صراع الثنائيات

نقف عند صراع الذات الشاعرة بين الوجود والعدم: بين واقع الموت والتشبُّث بالحياة، فيها وعي بالموت الذي يتهدُّده كلُّ حين. فيها تأبين للذات قُبيل موتها. معان نجدها في نصوصه:

«يا بني أمي»،» الكهف الحزين»، أنشودة البحار»، الشاعر المحتضر» وغيرها من النصوص يقول في نص « يا بني امّي» ص105:

«اسمعوني يا بني امي! قريب سأكون بعيدا عنكم» وفي نص « مات قلبي « ص124 «مات قلبي أيها الناس! وبقيت حيًا في هذا الوجود أعالج سكرة الموت وأعيد أنات الحياة»

-- ج --الميل إلى تسريد الشعر--

هذا ما نلاحظه في باب « القول الشعري». في نص «امّاه لا تبكي» صص 122/123 نقف على مزج بين النثر والشعر. يقول الشابي:

« في ظلمة الليل أفاق الصَّبيُ من غيبوبته، وعيناه تشتعلان بلهيب الحمّى الأليم وصاح بصوت أخفته المرض وأذواه:

امّاه! لا تدعيني كيْ أقضي فيحملني الحِمام
ويسير بي في ظُلمة الدنيا ويتركني أنام
فتُطيف بي في وحشتي الموتى وغيلان الظّلام

وإذا متُّ فادفنيني بجوارك يا أمّاه، وحينما يُقبل الليل حدِّثيني باحاديثك... فإنّي سأصغي إليك جيِّدا يا أمّاه...»

~ صورة الوطن في شعر الشابي~

شعره الوطني حافل بقيم النضال والتحرير، يستنهض الشعب وينتقد لامبالاته يتوعُّد المستعمر.

يقول في قصيد «يا أمه دفن الزمان فؤادها» وردت في ص 43 / 44 من» ظلال النخل» «وقفت في الشعب المخدر هاتفا في ظلمة الليل الكئيب الكابي هبوا إلى دنيا النضال فإنها أمل الحياة ومكمن الأرباب..

ويصرخ في شعبه في قصيدة « بني أمي» ص 45 «موتوا، فما أنتم بنو أمي ولا أنا منكم *** إن أنتم إلا هشيم سوف يجرفه الدّم»

في هذه الابيات دعوة صريحة إلى الثورة تحرير تونس من الاستعمار دون استعمال المجاز والرمز

يذكر المحقق في ص 35 « أن هذه الدعوة الصريحة إلى الثورة من اجل تحقيق النصر، لم ترد في شعره الذي تضمّنه ديوانه « أغاني الحياة « ولا في شعر غيره من الشعراء التونسيين السابقين او المعاصرين» بسبب القبضة الحديدية للمستعمر فكانت هذه الأبيات للشابي فريدة في تلك الفترة». الشابي يُحرِّض على النضال ويجعل من الشعر آلية مقاومة رغم يأسه من شعبه المستسلم اليائس

*الشابي ومسألة اللُّغة والأسلوب

حين ينتصر الشّابي للأسلوب والتفكير ويُسقط عن اللغة قداستها:

خصّص الشابي نصا مُهما جاء في صفحة 88 من « ظلال النُّخيل « طرح فيه مسائل فنية دقيقة منها العلاقة بين اللغة والأسلوب ومسالة الفصل بينهما. يقول:

«اللغة صورة من صور الكون، فيها ما في الطبيعة من موت وحياة، ففي اللغة كلمات يشاهدها المرء تتألق في ثنايا نفسه وتومض وميض النجوم الخاطفة، وبها كلمات يحس المرء أنها تتغنى كأنها الكمنجة حتى ليسمع موسيقاها تتجاوب في أعماق نفسه، وفيها كلمات ناعمة، وأخرى خشنة، وأخرى ذابلة، وأخرى نضرة غضة، وأخرى ساطعة، وأخرى ملفوفة في مثل الضباب، والعبقري في أسلوبه من يعرف كيف يفصل كلماته على قدود معانيه، ذلك هو الأسلوب الحي، وذلك هو الفن في الأسلوب».

فالشابي ينتقد المحافظين من أدباء عصره ونحوييه الذين يقدّسون اللغة ويجعلون منها الرّكيزة الأساسية للكتابة الأدبية في حين أن الشابي يتحدّث عن دور الخيال وأهميته في العملية الإبداعية.

الخيال وحده القادر على صنع الأفكار، يصنع الأسلوب ويطوّع اللغة ويبث فيها القدرة على التطوّر وخلق أفكار جديدة.

فالمعاني كما يقول الجاحظ: « ملقاة على قارعة الطريق».

«، لكن الفن في الأسلوب لا يظفر له إلا النوابغ الأفذاذ».

الشابي له تكوين ديني صوفي لكنه كان منفتحا على الثقافة العصرية منها أدب المهجر وخاصة الأدب الرومنسي وقد مكنه صديقه الحليوي من الاطلاع على الإنجيل في نسخته المترجمة وكانت له علاقات بمجلة أبولو وكان ينشر في جريدة «العالم العربي» لذلك كان يُحارب بقوة ويصبُّ حِمَمَ غضبه ضدّ كل من تصدى للتجديد والمجدّدين.

في هذا السياق عثرنا في «ظلال النُّخيل «على نصٌ مكتشف يرصُدُ آراء الشابي في معارضيه ونقاده من بني عصره من خلال ردّه الغاضب على حسين الجزيري صاحب جريدة النديم ،صص 91 / 92

يعود سبب الصراع إلى ان حسين الجزيري اتّهم الشابي بسرقة قصيده »النبي المجهول» من كتاب «النبيُّ» لجبران خليل جبران فرد عليه الشابي مستنكرا مُحتقرا، كاشفا جهله وتقصيره وأحكامه المبنية على السّماع فقط دون التمحيص والقراءة والتروي ليصدر أحكاما جزافا بالسرقة يقول : «وسمع أن في كلٌ منهما(نبيًا) فظنّ أنهما شيء واحد.»

~ الرسائل النّي بعث بها الشابي أو تلقّاها من مثقفي عصره من تونسيين وعرب~ 8 رسائل بعث بها الشابي إلى: أصدقائه أدباء (محمّد صالح المهيدي/ عبد السلام الشابي / عبد الخالق البشروش/ الشيخ إبراهيم الآجري/ عمر إسكندر/ احمد زكي ابو شادي) 20 رسالة تلقّاها من اصدقائه الأدباء: نصفها من مصطفى خريف/ 4من أحمد زكي أبو شادي/ رسالة من حسن حسني عبد الوهاب / رسالة من صالح بن علي ابن أحمد العلوي من سنغافورة/ رسالة من الشاذلي عطاء الله / و3 رسائل من عبد الخالق البشروش

ففي هذه الرسائل نجد مادة ثرية حول الشاعر وشعره. نجد فيها انعكاسا لاهتمامات الشاعر الادبية والفكرية والفنية ورؤيته للحياة وللأدب وعلاقاته بأدباء عصره وبمختلف الصحف والمجلات الصادرة في تونس والعالم العربي(النديم، الوزير الزّمان، الزهرة، النهضة، الرسالة، الجهد، العالم الأدبي، أبولو...) ونرصد من خلالها صدى الحركة الثقافية في تونس والمشرق العربي في أواخر العشرينات ومطلع الثلاثينات من القرن الماضي ومواقفه خاصة في الفترة التي أعقبت إلقاء محاضرته «الخيال الشعري عند العرب» في مطلع فيفري 1929. هذه المحاضرة التي أثارت ردود فعل مثّلت بداية الصراع في تونس بين المحافظين والمجدّدين وما طبع الحياة الفكرية والأدبية من سجال، فالشابي هدف من وراء هذه المحاضرة إلى « صياغة مشروعه الحداثي في الشعر الذي عارضه المحافظون. صراع عكسته صحافة تلك الفترة. بين مؤيد للحداثة ورافض لها. تكشف الرسائل أيضا عن « التحوُّلات التي مرّ بها الشاعر في تلك الفترة.... فهي» ترسم صورة لحياة الشاعر المُضطربة العاصفة ولإحزانه...ومرضه... ولبعض لحظاته المشرقة الخاطفة وتأجُج مشاعره... ولما يشغله ويشغل النُّخبة الثقافية في قضايا الفكر ومسالك الإبداع...لأنها محتوية لأدق التفاصيل... وأكثرها تجلية للحياة الثقافية وسواها مما يتردّد في طوايا نفوس المتراسلين ...» ص.131

لأنها لا تـخفي سرًا وغير خاضعة للتحوير والتغيير. وقفنا من خلال هذه الرسائل أيضا على «أحد مصادر ثقافة الشّابي التنويرية وهو المصدر المصري الحديث : من خلال قراءاته المتنوعة لطه حسين، محمد حسبن هيكل، عبّاس محمود العقاد، سلامة موسى، احمد حسن الزيات. واطلاعه على أفكار أحمد أمين الإصلاحية ودراساته المنهجية للحياة العقلية في الإسلام من خلال ما ينشر في المجلّات والجرائد المصرية (البلاغ الأسبوعي والسياسة الأسبوعية، الهلال، المقتطف،) وما تُرجم مثل كتاب (مبادئ الفلسفة) وكتاب (الأخلاق). ويفيد المحقّق أن الشابي كان»يفضّل احمد أمين على طه حسين ومحمّد حسين هيكل. وفي رسالته إلى المهيري أيضا نقف على عناية الشّابي بقضايا التجديد والإصلاح في الادب والفكر والنقد والتعليم والمجتمع. فقد ترأس, يقول المحقّق,» بين ديسمبر 1928 وجوان ,1929 اللجنة الطلابية لإصلاح التعليم الزيتوني وألقى محاضرته عن الخيال الشعري عند العرب» كما أسّس مع جمع من أصدقائه « جمعية الشبّان المسلمين» ص.139 إلى جانب تأثره الواضح بالمذهب الرومانسي خاصة بين 1930 و 1934 حيث اعتمد في إبداعه الأدوات الرومانسية والصوفية راسما صورة بديعة للشعر أساسها المجاز المترف والوصف والمشهدية الشعرية المبتكرة وإلحانا» لا تنقضي دوائرها» ص. 149 فيكون الشابي بذلك قد أسّس لحداثة أدبية داخل تونس وخارجها. في الشعر والنقد الأدبي

من خلالها أيضا نعرف لأول مرّة أن الشابي قد إلتحق بالتعليم العالي في جامع الزيتونة وذلك ضمن رسالته إلى مدير مجلّة (المقتطف) المؤرّخة في ديسمبر 1932 حيث وافاه بشهادة من (النظارة العلمية) بجامع الزيتونة تُثبت ذلك. ففي الرسالة الثانية ص 180, نجد حديث عن:

- ادب الشابي وعلاقته بالصحف التونسية والشرقية.

وفي الرسالتين الثالثة والرابعة، صص. 181 / 190:

حديث عن المثقفين وكتاب الطاهر حداد «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» وما لاقاه من صدٌ ورفض.

الرسالة الخامسة من مصطفى خريف بتاريخ 12 افريل 1931 ص. 191 ترصد واقع الأدباء العرب وأخبارهم, فتعلمه بخبر وفاة جبران خليل جبران:.

كما تكشف المراسلات بينه وبين الشاعر مصطفى خريف عن علاقته بمجلّة « أبولو وبداية التعامل معها وفي نفس الرسالة يخبره بعزم الاستاذ عثمان الكعّاك بتأسيس « نقابة الكتّاب والمؤلفين» تعمل لنشر الكتب وربط العلائق بين الكتاب التونسيين»

أما رسائل محمد عبد الخالق البشروش الثلاثة صص216 إلى 221 ورسالة الشاذلي عطاء الله ص. 222 وخاصة رسالة صالح بن علي من سنغافورة بتاريخ 18 جويلية 1934 ص206 فذكرت كيف كان الشابي يجمع النقود عبر الاشتراكات لطباعة ديوانه «أغاني الحياة»، ونقف من خلال رسائل أحمد زكي أبو شادي الأربعة على كم هائل من التقدير للشابي وبالحفاوة التي أُستقبِل بها في جماعة أبولو الأدبية، فنرى في الرسالة الأولى صص. 108 / 109انه محلٌ ثقة الجماعة

« ظلال النخيل» اعاد صوت الشابي عاليا بعد حوالي 9 عقود مرّت على رحيله. كتاب مهم ثقافيا في تونس وخارجها من شانه ان يدعُم البحث في أدب الشابي ومعاصريه ويضيف له. كتاب يُثمّن أهمية الأرشف العائلي في حفظ الذاكر.

عالم تونس أبو محمّد المَرجاني صاحب التفسير الإشاري للقرآن

د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

تصدير

أفلا ترى أنه لم يزل في كل قطر وعصر أولياء
تذلّ لهم ملوك الزمان ويعاملونهم بالطاعة والإذعان
عمر الراشدي، ابتسام الغروس، ص 264

يرى الباحث محمد مفتاح في كتابه دينامية النصّ أنّ تاريخ الشخصيات الولائية يقوم في عمومه على محورين رئيسيين هما التحدث عن البطل وبطولاته وما يتميز به من خصال القدوة القيمية والسلوكية، فضلا عن نبل منحدره السلالي وطريقته وانكساراتها وانتصاراتها بالتزامن مع الإطار المكاني لتجلي هذه البطولات وإطارها الزماني، وهذا ما تنطق به سير مشاهير الصلحاء على وجه الخصوص، أنموذجية كانت وبالتالي مثالية تشد إلى سماء المجردات أو واقعية وبالتالي تاريخية وثيقة الصلة بأرض الواقع، وهذا ما ينسحب بالأساس على فسيفساء الشخصيات الروحية العامة التي ما يزال المخبال الجمعي يغتذي من رمزيتها إلى الآن لمدينة تونس مثلا على غرار محرز بن خلف وأبي الحسن الشاذلي والسيدة المنوبية وعلي القرجاني وحسين السيجومي وأحمد السقّا وأحمد بن عروس، وأبي محمّد المرجاني، وهو موضوع ورقتنا اليوم.

المرجاني واحدا أم متعددا؟

توقفنا المصادر التاريخية والمناقبية بالأدنى على شخصيتين ولائيتين شهيرتين بهذا الإسم هما:

المرجاني الأول أو الوليّ المقتول

هو أبو محمد عبد الله بن محمد العرشي المرجاني (اغتيل 669/ 1270)

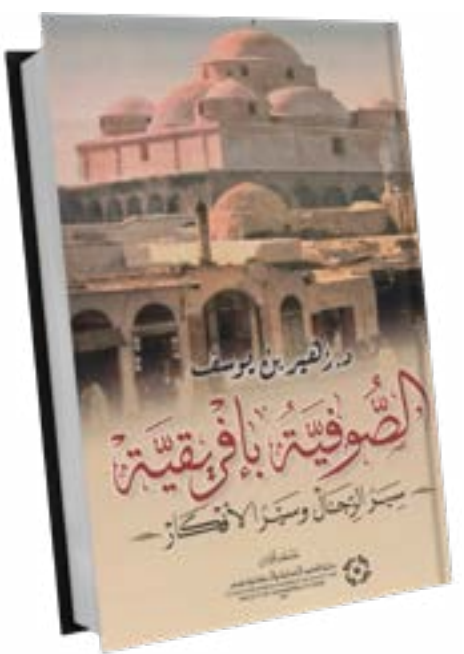

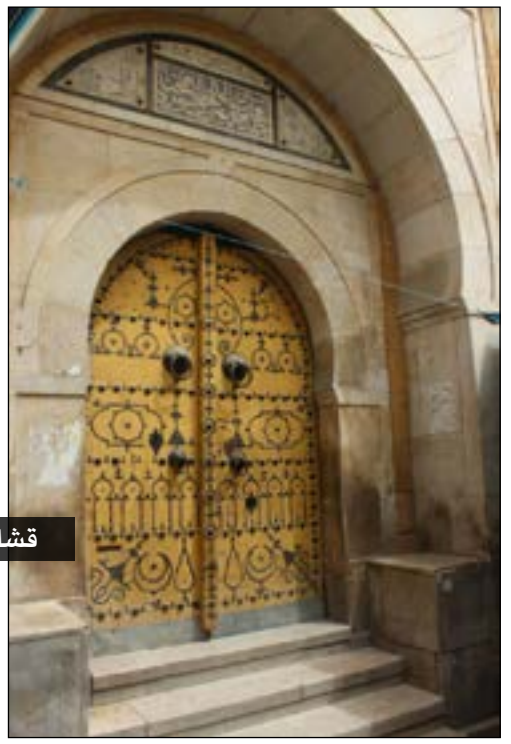

ذكر الشعراني أنه «أحد الأعلام في الفقه والتصوّف، قدم مصر، ووعظ بها، واشتهر أمره في البلاد»، واصفا إياه بـ «الإمام القدوة» و«الواعظ المفسّر».

اغتيل بتونس بمؤامرة قد يكون المورّطون فيها علماء الظاهر أي الفقهاء « امتحن وأفتى العلماء بتكفيره ولم يؤثروا فيه فعملوا عليه الحيلة وقتلوه.

وفي دواعي اغتياله غموض كبير حيث نعرف أنه بالرغم ممّا كان في إفريقية(تونس) من أرضية قبول نسبي بالمختلف بالقياس إلى سائر أنحاء بلاد المغرب ممّا قد يفسّر إلى حدّ ما استقطابها لنخب متعددة المشارب متقاطبة المرجعيات إلا أن ذلك لا ينفي وجود بذور»إقصاء» خاصّة لكل ما هو غير سنّي بدليل سابقة تشهير أبي بكر السكوني بابن سبعين وإصداره المحتمل لفتوى بتكفيره، ومن ثمّة فمن غير المستبعد أن يكون «امتحان» المرجاني للأسباب ذاتها، وأن تكون فتوى

قشلة سيدي المرجاني

التكفير التي تمّ استصدارها في حقه من قبل «العلماء» بالدوافع نفسها؟ إذ يبدو أنّ المرجاني المقتول قد كان واحدا من رموز التصوف الفلسفي أو على الأقل واحدا من الذين جمعوا بين الفقه والتصوف الفلسفي ولذلك «غضّ عن قدره» فطمسته المصادر وهمّشته.

المرجاني الثاني أو فقيه الصلحاء وصالح العلماء

هو أبو محمّد عبد الله بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمّد عبد الله المرجاني. واحد من أبرز أعلام فقهاء الحاضرة وفضلاء صلحائها في الثلث الأخير من القرن XIII/VII ولد بتونس بحسب العروسي المطوي وبشير البكوش في تكميلهما لكتاب العمر، سنة 637/1239 وتوفي بها سنة 699/1300، أما ابن الطوّاح، وهو الذي يختصه بأوفى ترجمة له على الإطلاق، فضلا عن كونه من معاصريه، فيحدد تاريخ ميلاده بسنة 636/1239 و يقول إنه عمّر 63 سنة إلا أنّه يتردد في سنة وفاته إذ يذهب

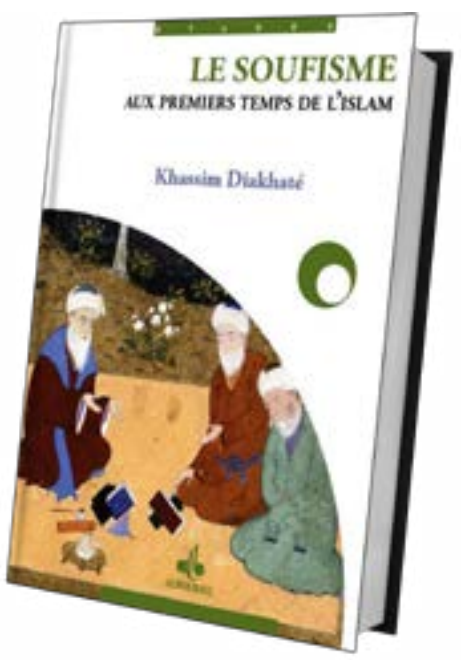

إلى أنه « توفي في شهر ربيع الآخر من عام 699»، ثم يعود في موضع آخر ليقول إنه « توفي في شهر صفر عام 700» أي بفارق تسعة أشهر عن التاريخ الأول.

وإذا كنّا نعلم أنّ رفات المرجاني الثاني، وهو المشهور في الأوساط الشعبية بمدينة تونس إلى اليوم بأبي محمد وإليه ينسب تأسيس أحد جوامع الخطبة بالحلفاوين، فهل تكون زاوية المرجاني هي نفسها المدرسة المرجانية التي تحتضن رفات المرجاني صاحب الشعرات النبوية، وهو على الأرجح أحد أحفاد المرجاني الأول؟ علما أنّ هذه الزاوية تقع بربض التبّانين خارج باب سويقة.

أبو محمد المرجاني: من السيرة المثالية إلى السيرة الواقعية

إذا كانت مختلف المصادر تسكت عن نشأته وطبيعة تكوينه، ولا تشير إلى برنامج شيوخه فإنّ ابن الطوّاح(ت بعد714/1315)، وهو من معاصريه، ينفرد بسدّ قسم كبير من هذه الفراغات، إذ نقف في كتابه «سبك المقال»، وهو أوفى المصادر احتفاء بالترجمة للمرجاني، على طبيعة الينابيع المعرفية التي نهل منها مترجمنا في تكوينه وقوفنا على برنامج مشيخته، فقد كان أنموذجه الولائي الأعلى متمثلا في التّستري(ت283/896)، والبسطامي(ت261/875)، وأسهمت في تكوينه المعرفي مؤثرات عرفانية وأخرى فقهية، إذ كان أبو علي يونس بن السماط(ت قبل674/1275) «شيخه في الطريق»، تتلمذ له بمعية أبي علي الزبيدي(ت689/1290)، و» قرأ علم الظاهر على أناس عدّة « هم بالأخص أبو الحسن علي الهواري البوذري(ت711/1311)،» شيخه في علم الظاهر»، وأبو العبّاس أحمد القسّي الربعي» أخذ عنه علم الفروع»، وأبو علي عمر السكّاك وأبو علي الغماري وأبو عمران التّسولي.

وعلى هذا الأساس فلا بدعة أن يتقاطع في شخصية مترجمنا «علم الرسوم» مع «علم الحال المعلوم» فيرتقي إلى مستوى السلطة المعرفية المسلّم بمرجعيتها لدى الفقهاء ولدى العارفين على السواء، ويُعدّ « مقدّم عصره في كثير من العلوم»، وتظل ذكراه من ثمة حاضرة في التراث الفقهي المغاربي حضورها في التراث الصوفي، فما يزال صيته عالقا بالأذهان وفقا لما ورد في «درة الأسرار» لابن الصباغ وفي مخطوط «مناقب أولياء مدينة تونس»، من خلال جامع الخطبة الذي ابتناه وعلماء الوقت بباب سويقة، الربض الشمالي للحاضرة الحفصية «مكان فندق للبقل» وهو الجامع الذي يسمى إلى اليوم بجامع أبي

محمّد، مثلما يترافق هذا الصيت ذاته مع ظهور أولى الزوايا الصوفية بمدينة تونس، إذ تجمع المصادر، وفي مقدمتها الزركشي في «تاريخ الدولتين» على ميلاد محمد بن الواثق بـ« بيت « الوليّ بزاويته من جارية من جواري السلطان المنكوب كانت قد التجأت إليها على إثر مقتله. وسيعرف هذا المولود الذي سيكون سلطانا بتوصية من المرجاني نفسه بأبي عصيدة نسبة إلى تلك العصيدة التي قدمها الوليّ يوم عقيقته.

مؤسسة الزاوية وتعدّد الأدوار الزاوية المرجانية وأدوار المُساعفة الاجتماعية

يبدو أنّ هذه الزاوية التي يؤكد وجودها ابن الطوّاح وينصّ عليه بصريح اللفظ قد كانت تحظى برعاية رسمية ولا سيما في عهد السلطان أبي حفص الأمر الذي كان يستثير إنكار بعض علماء العصر وصلحائه إلا أنها لم تتخلف عن الاضطلاع بدور المساعفة الاجتماعية وخصوصا إبان الأزمات الاقتصادية حيث:

– يتحدّث عن « غلوة شديدة في أيام الأمير أبي حفص « بمعنى غلاء فاحش في المعاش وبالتالي أزمة اقتصادية، انتهى الناس فيها إلى» أكل قشور الفول»،

– كما يتحدث عمّا كان يرد على هذه الزاوية من « أزيار طبيخ وخبز كثير « إبّان هذه الأزمة، كان الوليّ يتولّى إعادة توزيعها على المحتاجين مما يؤكّد دور الولي المتقدّم وبالتالي دور مؤسسة الزاوية في الاضطلاع بدور المساعفة الاجتماعية.

على غرار زاوية أبي محمد المغربي كانت زاوية المرجاني إذن فضاء يلتقي فيه «الفقراء» وفي إطاره ينضوون وإليه ينتمون، إذ يذكر الزركشي أنّ المرجاني أطعم فقراء هذه الزاوية، وبالتالي مريديه بها، بمناسبة ميلاد نجل السلطان المقتول، عصيدة الحنطة وفقا للتقليد السنّي في الاحتفال بالمواليد الجد،د كما كانت تحيط به فيها ثلّة من الأصحاب أبرزهم:

يوسف بن خصيب، «سلك مسلكه بالإخلاص»، وكان المرجاني « يختصّه حصرا ويقول: ما عرفني لله إلاّ يوسف «، و لعلّه كان « ناظر الطعام « بالزاوية المرجانية أو المقدّم على شؤون الفقراء.

سعيد المؤدب، «الشيخ الصّالح «،أحد أصحابه، وقد كان ينكر على الوليّ قبول ما يرد على الزاوية من إغداقات عينيّة « من الظّلَمَة « لتمويل أنشطتها.

محمد بن سلطان المسروقي، أحد الأربعين أصحاب الشّاذلي المشهورين

ومما يلفت الانتباه في سيرة وليّنا أنّه رغم ما كان يرفل فيه من « جاه عريض» لاسيما أنّه «كان يقول بمذهب المدح للنّوال،» ورغم ما كان يفدُ على زاويته من « أنواع الطعام «، لم يكن ليعدو في غذائه «الحمّص و البُرّ « « مخشوشنا في لباسه «، معيدا بذلك إلى الأذهان ذلك النمط من السلوك الزهدي الذي وسم الأنموذج الولائي المحلّي والإسلامي قديما، ناهيك أنّه كان بسلوكه المعاشي يكرّس عموما المثل الأعلى الولائي المتورّع إذ « كان يعيش من كدّ يمينه «.

ب. الزاوية المرجانية زاوية مدرسة

كان للولي بهذه المؤسّسة مجلسان: مجلس للذكر وآخر للفقه، وقد شاعت شهرة هذا المجلس الذي كان ينعقد بها يوميا «بين العشاءين» بين علماء تونس وصلحائها بما كان المرجاني يباشره به بالخصوص من دروس في التفسير العرفاني للقرآن، تلك التي اشتهرت بـ« المواعظ المرجانية « هي دروس في التفسير العرفاني للقرآني شملت ستا وعشرين (26) سورة، جمعها علي بن عبد العزيز بن عبد الرحمان المعروف بابن السكري (كان حيا عام 688/1290) وهو تلميذه وأحد مريديه، دروس نالت إعجاب النّخب بما تفرّدت به من مقاربة للنص الديني التأسيسي مستنبطة النشأة مستحدثة المدخل حتّى أنها كانت تستقطب، بالإضافة إلى كبار المتصوفين مثل أبي محمد عبد الله المغربي(ت689/1291)، كبار الفقهاء من قبيل أبي يحيى بن أبي بكر الغوري (ت699/1300)، قاضي الجماعة، والقاضي أبي عبد الله محمد النفزاوي الذي « كان يحضر مجلسه بين العشاءين، على حد تعبير ابن الطواح، هو وجمعٌ من الفقهاء والعدول». وقد كان ابن الطواح نفسه قد اتصل به و تتلمذ له وواكب مجلسه ونوّه به في أوفى ترجمة بلغتنا عنه أيّما تنويه، ولم يعدُ حدّ الموضوعية حينما قال:»كان الشيخ الإمام العارف أبو محمد عبد العزيز المهدوي بأوّل المائة السابعة إمامَها، وكان هذا (= المرجاني) مسكَها و ختامَها، خُتم به أمرُها و طلع بأفقه بدرُها «، إذ تجمع مصادر الفترة على أنّه كان رأس العارفين في زمانه.

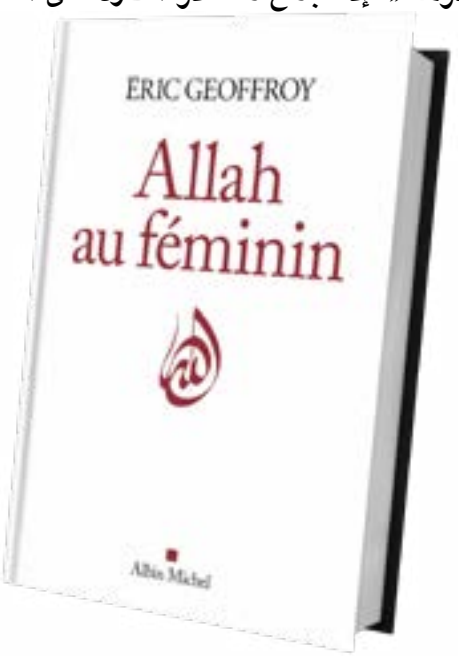

ت. الرحلة المشرقية أوالمرجاني فقيها مدرّسا

استقر المرجاني مدّة من الزمن بمصر وذلك على الأرجح خلال رحلته المشرقية ومبدؤها سنة 683/1285، وهي السّنة التي حجّ فيها، وفي تاريخ حجّ المرجاني توقّف، ذلك أنّ ابن الطوّاح ينص على أنّ خروجه إلى المشرق كان في أيام أبي إسحاق إبراهيم ومنتهاها سنة 682/1284، في حين يؤكد ابن رشيد(ت 721/ 1321)، وقد صحبه في هذه الرحلة رفقة ثلّة من النّخب المغربية و التونسية أنّ ذلك قد تمّ سنة 683/1285، وجاور، نفترض هذه المجاورة بناء على رفض المرجاني اصطحاب محمد بن سلطان معه إلى الحجّ، ويبدو أن هذا الحجّ قد كان في إطار وفد ترأسه المرجاني نفسه، لعلّه وفد رسمي، وما كان من التقائه به في الحرم المكي في موسم الحجّ الموالي أي سنة 684/1286، وعلى أساس هاتين الحجتين المتتاليتين فمن الأرجح أنه قد ظل مجاورا، و لعلّ ذلك يتأكّد من خلال إشارة ابن الطوّاح إلى جلوس المرجاني بالحجاز « يتكلّم « و ما كان من تعظيمه بها حيث اقترن حضوره بالبقاع المقدّسة ثم بالقاهرة والإسكندرية، وقد سبقه صيته إليها، بالتدريس، إذ «جلس هناك يتكلّم» حتى «ابتهج به أكثر أهلها ... وعُظِّم بها تعظيما كثيرا». وفي «الوافي بالوفيات» لابن أيبك الصفدي أنّ «الْمرْجَانِي كَانَ مفتياً عَالما مُفَسرًا مذكراً حُلْو الْعبارَة كَبِير الْقدر لَهُ شهرةٌ فِي الْآفَاق قدم الْإِسْكَنْدَرِيَّة وَذكر بهَا وبالديار المصرية وَكَانَ بارعاً فِي مَذْهَب مَالك عَارِفًا بِالْحَدِيثِ لَهُ قدمٌ فِي التصوف وَالْعِبَادَة والزهد».

الفقهاء والصوفية: جدلية الوئام والخصام

على الرغم من الميسم السنّي المرجّح لتصوّف المرجاني وجمعه من ثمة وعلى مستوى واحد بين الفقه والتصوف مما يجعل تصوفّه تصوّفا عالما، فإنّ هذا العالم- العارف لم يكن ليحظى دائما بإجماع فقهاء العصر على التسليم بمرجعية السلطة المعرفية التي كان يمثّل، و»هذا، على حد تعبير ابن الطوّاح، دأب الفقهاء مع الصوفية قديما وحديثا إلا آحادا من الفقهاء»، ذلك أنه إذا كان صحيحا أنّ عددا من معاصريه من الفقهاء «كانوا... يبادرونه بالإجلال والإعظام»، على غرارالفقيه المفتي أبي محمد عبد الله البرجيني (وهو غير أبي محمد عبد السلام بن عيسى البرجيني كما ذهب في ظن محمد مسعود جبران محقق سبك المقال إذ أنّ البرجيني المذكور توفي على الأرجح في حدود سنة 630/1232 أو بعدها بقليل أي في نفس الفترة التي ولد فيها المرجاني)، والقاضي الزاهد أبي العباس أحمد القيسي والقاضي أبي عبد الله محمد النفزاوي وقاضي الجماعة أبي يحيى الغوري... الأمر الذي يعطي نوعا من المشروعية الواقعية لما جاء في بعض أخباره من أنه « لم يبق من فقهاء وقته من لا قبّل كفّه وتضاءل لسمته» بحيث ظلت أنشطته محلّ عناية موصولة منهم ماديا وأدبيا، فإنّ في الترجمة التي حبّرها له ابن الطواح

ما ينبئ بأنّ الصراع بين العلماء والعارفين، وإن تراجعت حدته خلال هذه المرحلة من تاريخ تطور الظاهرة الولائية بحكم تسنّن التصوف واستحالته إلى علم من العلوم الشرعية وغلبة أنموذج العالم- العارف أو العارف- العالم على نُخب العصر، فإنّ إرهاصات هذا الصراع لم تنقطع ممّا يشي بقابليتها للتطور وبالتالي للتفجر لاسيما إذا اقترن في خضمّها رصيد الهيبة بالجاه الاجتماعي ومن ثمة بالنفوذ، يشهد على ذلك الارتياب المتبادل بين كل من المرجاني ذاته وعلماء الرسوم واحتياط كل منهما من الآخر، وما ينسحب على الطور التونسي من سيرة الوليّ في هذا السياق ينسحب على الطور المشرقي منها، رغم تفاوت الطورين أهمية ومدى زمنيا:

- فقد كان ابن دقيق العيد(ت702/1302) الفقيه المصري مختلفا مع المرجاني في آرائه العرفانية، مُقلّلا من شأنها حتى أنّ « كلامه فيها، بعبارة ابن الطواح، كلام موجّه، والكلام الموجّه ليس بنصّ في المسألة وإنّما يحتمل الوجهين، المدح والذم» حيث « سُئل(ابن دقيق العيد) عن كلامه كيف هو؟ فقال: أراد الله منه أن يقوله وأراد منّا أن نسمعه»، ولا يخفى ما في هذا التقييم من حياد سلبي لا يمكن أن يحمل في مستوى مقاصد القول إلا على سوء التقدير.

- أمّا ابن البرّاء(ت677/1279) الذي اشتهر في كتب المناقب بمواقفه المناهضة للصوفية فقد كان يفرض على المرجاني نوعا من الرقابة الذاتية تمنع آراءه واحتمالا تفسيره الإشاري للقرآن «من الإقرار».

ومن ناحيته لم يكن المرجاني يخفي اختلافه مع مثل هذا الصنف من «علماء الرسوم» إذ كان يوصي أصحابه بالاحتياط منهم والتكتم حيالهم على ما يحملون من آراء كلامية، من ذلك مثلا تحذيره لتلميذه محمد بن سلطان بقوله:» إيّاك أن يسمعك علماء الرسوم فأخاف عليك»،

ولعل صدى هذا الصراع غير المعلن بين العلماء و العارفين أظهر في أساليب القول التي توخاها تلميذه ابن الطوّاح في تقييمه النقدي للفقهاء من حيث علاقته غير النزيهة بالصوفية وما وسم هذا التقييم من تشديد للنّكير كما في قوله»» ويحقّ أن يسمعه ابن زيتون وأهل عصره إذا أنصفوا وأرادوا خيرا وأزالو ا الكبر الذي هو سبب الصرف عن الحق».

ويبدو أنه لولا ما كان يحظى به من هيبة في صفوف النّخب السياسية وقسم كبير من النّخب العالمة فضلا عن أهل البلد لما كان هو نفسه يتجرّأ على المجاهرة بما كان يجاهر به من آراء تتصل بالأساس بمقاربته الإشارية للقرآن والمرتكزات النظرية التي كانت تستند إليها، « كان يتكلم بكلام لو تكلم به غيره لما سلّم له».

6 - السلطان يتنصّت على العالم؟

كانت لأبي القاسم بن زيتون (ت691/1292)، عالم الدولة الرسمي المتنفذ منذ عهد المستنصر، هو الآخر احترازات إزاء شخص المرجاني أو على الأقل تحفظات إزاء تعيينه في بعض

مناصب الدولة العلمية مما قد يفضي إلى الاعتراف به رسميا عالما علاوة على كونه عارفا، وهو ما من شأنه أن يهدد مصالح علماء الشريعة ويحدّ من دائرة نفوذهم وفي طليعتهم ابن زيتون نفسه خاصة أنّ المرجاني كان يجمع وعلى مستوى واحد بين الحقيقة والشريعة، ولذلك كان يمتنع عن حضور مجلسه حتى لا يضفي عليه وعلى المنظومة التي يكرسها مزيدا من المشروعية إلا أنّ ذلك لم يحل دونه والتنصّت عليه، إذ رُئي «بباب المسجد بعد صلاة العشاء الآخرة يصغي لكلامه». وإن كان قد خرج بمعية القاضي أبي العباس أحمد بن الغمّاز(ت693/1294) وسائر الطلبة للقائه لمّا اعتزم الرحلة

الأخير من القرنXIII /VII في خضمّ أزمة الحكم الحفصي بإفريقية(=تونس) وهو بالأساس دور حمائي واستشاري.

فقد تولّى تربية السلطان أبي عبد الله محمد بن أبي زكرياء يحيى المعروف أكثر بأبي عصيدة، وقد ولد في بيته سنة 678/1280 وظلّ على ما يبدو في حماه إلى أن تمكن من تأمين حياته بشكل نهائي، وهو الذي أشار على السلطان أبي حفص عمر قبيل وفاته سنة 694/1296 بـ» صرف ولاية العهد إليه «لمّا استشاره في هذا الشأن، وهي الإشارة التي ستحظى بتأييد شيوخ الموحّدين وسيرعاها له السلطان الجديد لا محالة، وهو الذي أصبح مدينا له بالعرش بعد أن كان ابتداءً مدينا له بحياته،

إلى المشرق فإنّما كان ذلك منه من باب الإيفاء بمتطلبات المنصب الرسمي الذي كان يحتله في الدولة حيث كان ذلك «بأمر ...من الخلافة» وقد كان السلطان عصرئذ، كما يشير إلى ذلك ابن الطوّاح، أبا إسحاق إبراهيم(682/1283-679/1279)، وفي هذا التاريخ نظر.

7 - الولي من المجال الروحي إلى المجال الزمني

قد اقترن ذكر الوليّ في تاريخ الدولتين للزركشي والفارسية لابن القنفذ بالدور السياسي الهامّ الذي اضطلع به خلال الربع

وعلى هذا الأساس فلا بدعة أن يكون « رجال الدولة كلّهم يتبرّكون بخدمته ويعملون على امتثال أوامره ومبرّته».

وإذا علمنا ما كان له من فضل على السلالة الحفصية برمّتها لمّا امتنع سنة 682/1283 عن تأييد الدعيّ ابن مرزوق في استيلائه على السلطة بوصفه «سلطانا غاصبا» رغم الإغداقات المفترضة والإغراءات المحتملة التي قد يكون بذلها له في هذا المنحى، وهو موقف يبدو أنّ المرجاني كان مدفوعا إليه بموجب الولاء السنّي التقليدي للحاكم الشّرعي، وهو الموقف الذي لم يتفرّد به وإنما شاركه فيه كل من أبي محمد المغربي وأبي علي الزبيدي وأبي محمد الخلاسي... فإننا لا نستغرب « تفويض السلطان له جميع البلاد وجعله يتصرّف فيها تصرّف الملك الذي لا يستثنى عليه في مراد»، بحيث كانت له مكانة متميزة وحرمة خاصّة لدى السلطة الحاكمة ونخب المجتمع انطلاقا من عهد أبي إسحاق إبراهيم على الأقل وربما كان ذلك منذ عهد الواثق ترجمت في شكل إسهامات مادية لدعم أنشطته الروحية والعلمية ومن ثمّة تمتين نفوذه المعنوي مما أهّل زاويته للاضطلاع بدور هام في المساعفة الاجتماعية، علما أنّ المرجاني لن يكون من أصحاب المكانة بتونس فحسب بل كان كذاك بالقاهرة حيث «كانت الوزراء بمصر تستدعيه إلى حضرتها، وهو من مكانه لا يريم، ولا يزال يحافظ على أوطانه محافظة كريم».

8 - مؤلفاته

رغم أنّ الذهبي وهومن معاصري الوليّ يذهب إلى أنّ المرجاني «لم يصنّف شيئا» فإنّ المصادر المشرقية، وهي أوفى عناية به من المصادر المغاربية، تنسب إليه عددا من المصنفات هي:

1. الفتوحات الربانية في المواعظ المرجانية (مخطوط) في التفسير العرفاني للقرآن وهي تحديدا تقييد لابن السكّري(كان حيا عام688/1290)، وهو تلميذ المرجاني وأحد مريديه، على المرجاني « كتبه في البلاد الشرقية، وهو يتكلّم به، و جمع منه سفرا كبيرا». يبدو أنّ ابن الطوّاح قد اطلع عليه أوعلى قطع منه أورد شذرات منها في الترجمة التي اختص بها المرجاني حيث أثنى عليها ونوّه بصاحبها قائلا:» له في القرآن طريقة حسنة، لم يسبق إليها، فاق فيها أبناء جنسه».
2. بهجة النفوس والأسرار في هجرة النبي المختار، وهو في التاريخ، أنشأ عليه أحمد بن عبد الله باعتر الحضري (ت1091/1680) تذييلا، وهو ضائع.
3. شرح زايرجية المراكشي.
4. قصائد مدحيّة وأخرى في التصوّف، أورد ابن الطوّاح عينات منها في «سبك المقال».

خاتمة

يذكر اليافعي(ت786/1386) في مرآة الجنان أنّ « مناقب المرجاني تحمل مجلّدا « إلاّ أنّ ما وصلنا من هذه الأخبار المتصلة بسيرة الوليّ الأنموذجية لا يعدو أن يكون غير شذرات متفرقة في مجاميع المناقب التونسيّة علاوة على ما اقتطفه منها اليافعي ذاته على أنّ المصادر التاريخية على قلة ما فيها من إفادات في هذا الباب ظلت أكثر احتفاء بأخباره ومن خلالها هي فقط، و من خلال بعض كتب الرحلة مثل «ملء العيبة» لابن رشيد وبعض كتب التراجم ك»شذرات الذهب» للعماد الأصفهاني، و»كشف الظنون» لحاجي خليفة والطبقات الكبرى للشعراني وخاصة سبك المقال لابن الطوّاح يمكن إعادة تشكيل الحدّ الأدنى من هذه السيرة التي يبقى ما بلغنا منها أقرب إلى السيرة الواقعية منه إلى السيرة المثالية وبالتالي أدعى إلى التاريخ منها إلى الذاكرة.

من هو المعبود في الحقيقة ؟

عبد اللطيف بن سالم

من هو المعبود في الحقيقة ؟ أهو « الله « المتخيل في رؤوس المؤمنين به أم هو « الإنسان « في المطلق ؟ لنر ذلك بالحجج والأدلة اللازمة .

« عملية قلب الوضع « التي يعيش بها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وذلك منذ ظهوره على سطح هذه الأرض وحتى بعد ظهور الأديان في العالم .

إنها عملية نفسية- اجتماعية نقوم بها تُجاه المعبود كما نقوم بها تجاه المولود ابنة كان أو ولدا وهي ما يمكن تسميتُها ب « عملية قلب الوضع « حيث يرى المرء نفسه في معبوده فينسب له كل ما يريد ويرغب في أن يكون له كما يرى نفسه في ولده فينسب له كل ما يريد ويرغب في أن يكون له ، ولذلك نرى أن ما يُسمى في الإسلام بأسماء «الله» الحسنى ما هي في الواقع إلا صفات بشرية نرغب في الحصول عليها في حياتنا الإنسانية فإذا لم نكن حاصلين عليها في الواقع نتمنى أن نراها مجسمة في « الصورة « أي على صفحة المرآة ، وهل ما نراه في المرآة حقيقة واقعة ؟ كذلك ما نرغب في أن نراه من الصفات في الله أو في الولد ليس هو بالأمر الواقعي إنما هو مجرد تدبير من المخيلة البشرية وبالتالي فليس هذا المعبود إلا ذواتنا مجسمة وهميا في ما نعبد والمعبود بالتالي ما هو إلا مُجرد صورة لنا ليس لها وجود حقيقي في الواقع .

انظروا :

منذ أقدم الديانات التي ظهرت في العالم وضعيّة كانت أو سماوية كما يصوّرونها لا تعدو أن تكون انعكاسا لصورة الإنسان في المطلق أي في ما يمكن أن يكون يتصوّره ممثلا لشخصيته الاجتماعية والذاتية في آن واحد .وما كانت الديانات منذ ظهورها إلا وسيلة للتماسك الاجتماعي من أجل التعاون والتعايش معا كما لو كانت ميثاقا لتبادل المصالح بين أفراد المجتمع ثم تحول ذلك تدريجيا إلى إيمان بجملة مبادئ ذات مرجعية موحدة في أي تجمّع وبالتالي فهؤلاء المستثمرون في الدين يعرفون ذلك حق المعرفة فكان لهم أن يدبروا نشر تلك الجملة من المبادئ بين الناس ليستغلوهم في الحاضر وفي المستقبل الآتي مثل ما فعل كل أصحاب الديانات القديمة منها والحديثة الوضعية منها والسماوية كما يظهر للكثير منا تسميتها رغم أنها كلها صناعة بشرية مؤكدة لا ريب فيها .

وما عسى أن تكون هذه المرجعية ؟ ما هي إلا ذلك الإنسان في مختلف مراحل تاريخه أو لنقل بتعبير أوضح (ذلك الإنسان المطلوب من الناس أن يكون ، الإنسان الهدف ...):

_ هذا بوذا كما نراه كان مجسّما في شخص بشري متكامل وقوي كما كان يريد الإنسان أن يرى نفسه في ذلك الزمن رغم أنه قد كان لبوذا هذا أصل في الواقع ،كان هو نفسه شخصا حيا يعيش بين البشر ثم صار لاحقا بمثابة المعبود في الواقع وهكذا نرى دائما المراوحة بين الإنسان ونفسه أو بينه وبين شبيهه المفضل لديه .

_ وهذا إله زرادشت قد كان بنفس الأوصاف البشرية المرغوبة في ذلك الزمن أيضا كريما رحمانا رحيما سلاما مؤمنا عزيزا جبارا إلى غير ذلك من الصفات المطلوبة والتي يطمع إنسان تلك المرحلة في الحصول عليها في الغالب ولم تكن متوفرة لديه دائما فيتصورها موجودة في إله زرادشت المؤمل .

_ أما أوثان عصر ما قبل ظهور الإسلام المسمّى بالعصر الجاهلي مثل هُبل واللات والعُزى ومناة وغيرها فقد كانت كلها مجسُّمة لأشخاص بشرية والمؤمنون بها في ذلك الزمن يرون فيها أشخاصهم وأرواحهم وإنهم إذ يحومون حول الكعبة المسكونة بتلك الآلهة فإنهم في الحقيقة يحُومون أو يهُومون حول أنفسهم .

_ أما آلهة اليونان القديم وكانت عديدة فهي حتى وإن لم تكن مرئية أحيانا فقد كانت ممثلة في أغلب الأحيان في تماثيل في أشكال بشرية أيضا من مثل زيوس رئيس الآلهة وأبولو إله الشعر والفنون وفينوس وأوسايدن إلاه البحر وعشتروت وأثينا وغيرها من الآلهة الكثيرين ذكورا كانوا وإناثا حتى أن اليونانيين في ذلك الوقت كانوا يتصورونهم يتخاصمون في ما بينهم ويتحاربون أيضا وينتصر بعضهم على بعض مثل ما يحدث أحيانا بين البشر وذلك في مثل حرب طروادة التي حدثنا عنها هوميروس الشاعر اليوناني الكبير في ملحمته الشهيرة» الإلياذة والأوديسا « وغيرها من الحروب التي كانت تشارك فيها الآلهة أحيانا مع اليونانيين أنفسهم في حروبهم في ما بينهم في مثل هاركيل وأخيل وابولو وأوديس وغيرهم والذين كثيرا ما قدمهم لنا المؤرخون والروائيون في صور بشرية .

_ و»الله « أخيرا وربما ليس آخرا فهو»الحي القيوم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر... إلخ « وهي كما نرى كلها صفات لا يمكن أن تكون لإله (لا يتزمّن ولا يتمكّن) كما يقول المفسرون وأصحاب المذاهب في شرحهم للفكر القرآني أي أنه لا يُحد بزمان ولا بمكان ،بل هي كلها صفات بشرية يتمني المؤمنون بهذا الإلاه أن يكونوا حاصلين عليها في ذواتهم فإذا لم يقدروا على الحصول عليها في حيواتهم تمثلوها في معبودهم وبقوا يسعون وراءها دائما أو يرونها فيه في اعتقادهم كما هو حالهم منذ ظهور هذه الأديان المشار إليها بالسماوية افتراضا وليس واقعا والتي هي كلها صناعة بشرية بدليل التشابه الموجود في مسارات أصحابها والتشابه المجود أيضا في مواضيعها وتشربعاتها وأن الإله في كل دين منها منذ ظهورها كان على صورة إنسان في الواقع أو في الخيال الواهم .

فعملية « قلب الوضع «هذه هي - في أن نرى أنفسنا في معبودنا كما نراها في أبنائنا (أليس الابن كما يُقال عنه عادة نسخة من أبيه ؟) ولم لا نقول أيضا ب (أن المعبود نسخة من عابده وبالتالي فهو هو الموجود قبله وما المعبود هذا إلا خيالا له) ولهذا ترانا ننادي الابن أو البنت ب (بابا) من حيث ندري أو من حيث لا ندري لأن هذا الإحساس متأصل في طبيعتنا منذ وُجدنا على سطح هذه الأرض وبالتالي فالله هذا موجود فينا منذ ولادتنا إذا لم نقل منذ اللحظة الأولى في تكوّننا وبالتالي فإن (بابا) ما هي إلا الأب متجسما وهميا في إبنه كما هو الإنسان متجسم وهميا في معبوده منذ الأزل كما رأيناه في جميع مراحل تاريخه مجسما - كما رأينا - في معبوده مهما كان نوعه أي في معتقده ولا حاجة لنا الآن لأن نذهب بعيدا لنجعل من المعبود هذا كائنا مستقلا عنا وصاحب قوى خارقة ومعجزات لا نقدر عليها كما يعتقد بعض المؤمنين ، فكل ذلك هو من ترهات بعض الأذكياء حتى لا نقول الخبثاء المستثمرين في الغباء وقديما كنت أقول دوما :(إن جحافل الظلام أكثر عددا وعدة من فصائل النور في كل العصور) ولا غرابة في ذلك ما دام الأصل في الوجود الظلمةُ كما يعتقد ويُخبرنا بذلك العديد من علماء الفلك والكوسمولوجيا المحدثون .

وبالتالي فلا غرابة أيضا أخيرا وليس آخرا في أن نرى من المستثمرين في الغيب لتحقيق مصالحهم في هذه الدنيا من سمّوا أنفسهم أنبياء ومن سمّوا أنفسهم رُسلا ومن سلالاتهم أيضا هذه الشيوخ المرتزقة بالدين منذ زمان بعيد، وهؤلاء المسمّون ب « الأولياء الصالحين « وأضف إليهم شيوخ هذه الحركات السياسية المتنكرة في ثوب دين أو قل المتجلببة بالدين كذبا وبهتانا لخداع الآخرين البسطاء ومحدودي القدرة على التدبر و التفكير .

ولا يخفى على العقلاء اليوم في أن هناك الكثير، الكثير من الخبثاء المستثمرين في الغباء بما فيهم القوى العظمى المتكالبة على السيطرة والهيمنة على العالم بواسطة الرغبة في نشر ما يُعرف بالعولمة بكل الطرق الممكنة وإفرازاتها مما صار يُعرف بالحركات الدينية المنعوتة عندها بالمتطرفة والإرهابية وهي تستغلها سرا في قضاء مآربها وحاجاتها الاستراتيجية و تحقيق رغبتها في تدمير المناطق العربية والإسلامية عامة وإشعال النار في الهلال الأخضر بعد إطاحتها بالاتحاد السوفياتي منذ مدة والذي كان موصوفا عندها عادة باللون الأحمر.

هل الشّرق مرآة الاستشراق والمركزية الغربية ؟

مالك بن نبيّ ومحمّد عابد الجابري، نموذجا

صلاح بوزيّان

1/ قطيعة أم حوار ممكن بين الثّقافات ؟

لاشكّ أنّ الاستشراق ظاهرة فكرية حظيت باهتمام المفكّرين والباحثين من مختلف الجنسيات والمعتقدات، فكثرت الدّراسات والبحوث المهتمّة به وتذهب الغالبية العظمى منهم إلى تعريفه بمقتضى دلالة اسمه وهي التماس حضارة الشّرق وثقّافته وعلومه وأشكال التّعايش والتّعبير والتّفكير، ممّا أثمر تباينا في الآراء من حيث الخلفيات والوسائل والنتائج، وانقسم الباحثون تجاهه إلى ثلاثة مواقف: 1موقف أوّل: اعتبر أصحابه أنّ الاستشراق قدّم إيجابيات للبحث العلمي، و2موقف ثان : اتّسم بالاعتدال وثمّن مجهود المستشرقين الإيجابي وأشار إلى الجهود السلبية، و3موقف ثالث: وصف أعمال الاستشراق بالسلبية والمسيئة للحضارة العربية الإسلامية وللإسلام . ونحاول في هذا المقال تأمّل موقفي مالك بن نبيّ ومحمّد عابد الجابري من الاستشراق . ونطرح أسئلة، هل استطاعت الهزّة الابستيمولوجية التي عاشتها العلوم الإنسانية أن تفرض تعريف الاستشراق باعتباره منهجا وظّفه المستشرقون على موضوع دراستهم (الشرق)؟ ألم يُخفق الاستشراق في صناعة تصوّر حقيقي مطابق للشّرق ؟ كيف يَقبَلُ العربُ منتجات الاستشراق إذا حوّل الشّرق إلى مرآة يقرأ فيها ذاته؟

2/ مالك بن نبيّ وموقفه من المستشرقين

عرّف ابن نبيّ المستشرقين في كتابه بشكل واضح، وصنّفهم في كتابه الموسوم ب(إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث)، فهُم كُتّاب غربيون كتبوا عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، وصنّف أسماءهم في شبه طبقات إلى صنفين:»

1 من حيث الزّمن: طبقة القدماء مثل جربردورييّاك، والقديس توماس الإكويني، وطبقة المحدثين مثل: كاره دوقو وجولدتسيهر.

2 من حيث الاتّجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم، فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوّهين لسمعتها «1.

وأشاد ابن نبي بجهود المستشرقين المادحين مثل رينو الذي ترجم جغرافية أبي الفداء وسيديو الذي أبرز جهود الفلكي أبي الوفاء في اكتشاف ما يسمّى في علم الهيأة : القاعدة الثانية لحركة القمر، وآسين بلاثيوس الذي كشف عن المصادر العربية للكوميديا الإلهية، وعدّ جهودهم محمودة لأنّهم انتصروا للحقيقة العلمية والتّاريخ، إلاّ أنّ الفوائد حسب تصوّره تحقّقت للمجتمع الغربي ليوسّع معارفه ويطّلع على أسبقية العرب في مجال العلوم والمعارف، ولم يكن مقصد المستشرقين إبانة مواطن الثّراء في الحضارة العربية، بل إثراء معارفهم الغربية بإطلاع شعوبهم على الكنوز العربية وقراءتها وترجمتها، وتفكيك مكوّنات الفكر العربي وفهم سياقاته والحفر في دلالته ومعانيه ورصد آلياته وتكثيف الاهتمام بدراسة المصطلحات والمفاهيم من حيث تكوّنها وسيرورتها ومجمل مراحل الإنتاج العلمي والمعرفي، يرى ابن نبيّ أنّ أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين الأولى في القرون الوسطى قبل وبعد طوماس الإكويني وفي مرحلة ثانية يسمّيها بالمرحلة العصرية والاستعمارية لا من أجل تعديل ثقافي بل من أجل تعديل سياسي، ليسهل عليه وضع خطط سياسية مطابقة لأوضاع البلدان الإسلامية، ممّا ييسّر هيمنتها عليها ووضعها تحت سلطتها وإدارتها ثقافيا واجتماعيا، ويشير ابن نبيّ إلى أنّ العالم الإسلامي أصبح يعاني صدمة حقيقية أصابته بها الثّقافة الغربية التي تسعى إلى الهيمنة، وكانت الصّدمة مؤثّرة في المثقفين نتيجة الملابسات المذكورة، ممّا جعلهم ينقلبون إلى عاجزين عن التفاعل ويحسّون بالدونية فتكوّنت في أنفسهم وعقولهم فوبيا النّقص، وأدبروا لمّا تعزّز الزّحف الثّقافي الغربي بأشكال شتّى2.

واللاّفت أنّ ابن نبي جعل من هذا التّصنيف وسيلة لفهم الاستشراق وأداة للقيام بأيّة دراسة يقول: « هكذا وعلى هذا التّرتيب يجب أن تقوم كلّ دراسة شاملة لموضوع الاستشراق». ويشير ابن نبيّ إلى الدّور الخطير الذي قام به الاستشراق: »إنّ الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه، كان شرّا على المجتمع الإسلامي، فإن أمكننا أن نصرّح بأنّنا نجد على كلّ وجه جانبا إيجابيا في هذا الاستشراق، فإنّنا لا نجده في صورة المديح، بل في صورة التفنيد، والإقلال من شأننا «3.

ويبيّن موقفه من منهج الاستشراق ومنجزاته وأدواته وإنتاجه، فهو لا ينكر القيمة العلمية للبحوث والدّراسات الاستشراقية التي احتفت بالفكر العربي الإسلامي في مختلف سياقاته وأدواته ومجالات معارفه والتي ربّما أفادت العرب في تصنيف وترصيف علوم واهتمّت بظرفيات تاريخية قد أهملها العرب، يقول : « أولا : إنه إنتاج لا يجوز نكران قيمته العلمية، بل نراه أحيانا يستحق كلّ التقدير لما يتّسم في بعض أصنافه مثل ما خلّفه سيدييو أو جوستاف لوبون وآسين بلاثيوس، بالإضافة إلى طابعه العلمي يتسم بطابع أخلاقي ممتاز لا يمكن نكرانه كشهادة نزيهة من طرف شهود نعرف قيمتهم كعلماء»4.

ويقدّم حلّا للخلاص من هيمنة الاستشراق وأدواته وأهدافه، يقول: «علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار حتّى نحقّق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسّياسي«. إلاّ أنّ الأصالة التي يتحدّث عنها مالك ابن نبيّ لا يمكن أن تتحقّق وأغلب بلدان العالم الإسلامي توظّف مقرّرات تربوية أجنبية لا تراعي خصوصية الهوية ولا تستجيب لمتطلّبات الواقع المعيش، لم يقدر العرب إلى حدّ الآن على صياغة مشروع تربوي عصري متفتّح ويراعي جملة الخصوصيات الاجتماعية والدّينية والثقافية ويحافظ على الهوية من التلاشي، كما ينمّي العقلنة ويثير التّفكير، إنّها مخطّطات تربوية وبرامج تعتمد أدوات النّقل والتّرصيف المعرفي والحفظ والتّكرار، ولا تثري حركة التّفكير وتنمّي المواهب، ربّما يرتبط ذلك بخوف الأنظمة السياسية من نشأة جيل من العباقرة المفكّرين وربّما تلك هي حقيقة الواقع بأزماته المختلفة.

ولكن أليس الاستشراق بنا أناه الأوروبية والغربية حينم فكّك أجهزة الفكر العربي وحفر في الثقافة العربية الإسلامية واطّلع على مكوّناتها وخَبَر حقيقة الدّين الإسلامي ؟

3/ محمّد عابد الجابري والاستشراق

حدّد الجابري في كتابه الموسوم ب(مسألة الهوية والعروبة والإسلام ..و الغرب) مهمّة الاستشراق المتمثّلة في سلب الشّرق أناه وتهميشه ووجعله موضوعا للدّرس، يقول:» عملية سلبه أناه وإقصائه وتحويله إلى مجرد موضوع تلك هي المهمة التي قام بها ما يرعف بالاستشراق».

ويعتبر الجابري أنّ سبب اهتمام الغرب بالشرق إنّما هو من أجل مصالح المجتمع الغربي ليتعرّف على ذاته ويبني أناه من جديد ثمّ يمارس فكرة التّفوق الحضاري الغربي على الشرق . ويصبح المركز ويتحرّك نحو الشرق بالمركزية الأوروبغربية، ويُحكم سيطرته على بلدان الشرق ومجتمعاته وثقافاته ومعتقداته وأجياله واقتصادته ويحوّله إلى هامش تابع . ويستشهد الجابري بقول للمستشرق الإنجليزي هاملتون ليُبيّن

1 – مالك بن نبيّ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1969، ص 5 .

2 – مر . ن، ص ص 6-5 .

3 – مر. ن، ص 34 .

4 – مص . ن، ص 48 .

عزم أوروبا والغرب على التّعلم من شعوب آسيا وأفريقيا من أجل إحكام السيطرة عليها وعلى واقعها ومستقبلها وثرواتها وتوجيه أجيالها، يقول:» ذلك ما يؤكده المستشرق الإنكليزي المعروف هاملتون غيب، إذ يقول سنة 1951: لم يعد في وسعنا أن نتوقع من شعوب آسيا وأفريقيا أن تأتي إلينا ونتعلّم منها، بينما نسترخي نحن في أماكننا، بل ينبغي أن نتعلّم عنهم من أجل أن نتعلّم كيف نتعامل معهم، أي كيف نحكم السيطرة عليهم «. لقد بدت نوايا الاستشراق تفوق العلم والمعرفة وحوار الحضارات وأصبحت متّجهة نحو السيطرة المطلقة على شعوب آسيا وأفريقيا. كيف يمكن للاستشراق أن يعين على الهيمنة والسيطرة السياسية على شعوب آسيا وأفريقيا ؟ ألا يتطلّب ذلك مخطّطا لتفكيك الدّول بعد تفكيك علومها وعقولها وثقافاتها وأنظمتها الديموغرافية والاجتماعية، ألا يتطلّب الأمر تفكيكا جغرافيا تسهل معه الهيمنة ؟ ولكن لفائدة من تكون الهيمنة، من هو الكيان الذي سيشتغل الاستشراق ليجعله مهيمنا ؟

4/ المستشرق الصهيوني من أصل إنجليزي برنار لويس ومخطّط تفكيك الدّول العربية

لا غرابة في انتشار فكرة الهيمنة الأوروبية والغربية على بلدان وشعوب آسيا وأفريقيا، إذا اطّلعنا على المخطّط الذي أعدّه المستشرق الصهيوني من أصل إنجليزي برنار لويس لتقسيم الوطن العربي إلى 52 دويلة .ممّا يساهم في اختفاء الأمّة العربية من التوزيع الجغرافي العالمي للبلدان، لفائدة قيام نظام إقليمي جديد يسمّى الشرق الأوسط الكبير تكون فيه إسرائيل دولة قوية ومهيمنة، وكتب برنار لويس هذا المخطّط إثر قيام دولة الكيان الصهيوني إسرائيل، واقترح تفتيت دول العالم الإسلامي على أسس دينية ومذهبية وعرقية، لتتحوّل إلى دُول كرتونية هشّة . وقد واجه هذا المشروع رفضا في العراق (دستور بيريمار)، ثمّ تمّ نقل المخطّط إلى دولة السّودان فتمّ تقسيمها إلى دولتين، السّودان وجنوب السّودان، إلاّ أنّ الشعب السوداني رفقة الجيش السوداني تصدّيا لمخطّط التقسيم مرّة أخرى بتمرّد ميليشيا الدّعم السّريع، وفشلت كلّ المحاولات، ويرتبط المستشرق الصهيوني برنار لويس عميقا بالصهيونية العالمية وظهر ذلك في سنة 1967بوضوح بين جمهور المستشرقين والمهتمّين بالشأن العربي في صراعه مع الكيان الصهيوني، فقد كتب مجموعة مقالات وبحوث تهتمّ بعلاقة اليهود بالإسلام والمسلمين في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي، وبحث في أسباب الصراع اليهودي الإسلامي وأدوات حسمه فكريا وعسكريا، ولعلّ أبرز دليل على انتمائه للفكر الصهيوني هجومه على قرار الأمم المتحدّة سنة 1976 الذي اعتبر الحركة الصهيونية حركة عنصرية . ثمّ أصدر كتابه الموسوم ب(الساميون، العداء للسامية) سنة 1986، وبحث فيه عن جذور عداء الفكر العربي الإسلامي للسامية، وأبرز المعاملة السّيئة التي عومل بها اليهود والسامية في الحرب العالمية وفي مختلف الفترات الأخرى . ولعلّ ذلك ما دعا الكيان الصهيوني إلى الاهتمام به ومنحه الدكتوراه الفخرية . وكرّمه مركز موشي ديّان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأقام له ندوة طيلة يومين حينما بلغ سنّ الثمانين، وأوصى أهله أن يسلّموا مكتبته لهذا المركز بعد وفاته، تقديرا منه لما يسمّيها دولة إسرائيل، وتتحدّث الأخبار أنّه يقضي شهرين من كلّ عام في عاصمة دولة الاحتلال . والحاصل أنّ برنار لويس هو المرشد العام للمحافظين الجدد كما عبّر عن ذلك أوليفر مايلز المستعرب البريطاني في الملحق الأسبوعي لجريدة الجارديان البريطانية (17/7/2004).و توسّعت شهرة كتابيه (أين يكمن الخطأ) و(أزمة الإسلام) 2002 . وحقّقا أعلا معدّل مبيعات في أمريكا. ومن أبرز ما فعله أنّه استغلّ حدث سبتمبر 2001، ليظهر في برامج تلفزية ويسرد حكايات تسيء إلى الإسلام والمسلمين، وكان ذلك بغرض تحقير الإسلام، ثمّ نقل أفكاره المنبثقة عن حدث سبتمبر 2001 في كتبه (ماذا جرى ؟)،(من بابل إلى المترجمين)، (وحقيقة المسلمين). ومن خلال كلّ مؤلّفات لويس برنار وسيرته، يبدو أنّه طرح فكرة صراع الحضارة قبل هنتجتون 1993. والحاصل أنّ مشاريع الاستشراق كانت مرتبطة بذات المستشرق وفكره ودينه كما رأينا برنار لويس وغيره . إلاّ أنّ هذه الجهود الخاضعة لأهداف لا تمنع وجود جهود استشراقية أخرى أرفع في المحتوى وأنظف في الأدوات وأشدّ حرافية في النتيجة، فهل أثّرت الحضارة العربة الإسلامية بقيمها وعلومها وثقافتها ورصيدها الإنساني في مستشرقين فأسلموا ودافعوا عن الإسلام والمسلمين ؟

5/ المستشرق النمساوي ليوبولد فايس المتسمّي محمّد أسد

لا يسمح المقال بالتعمّق في جوانب مختلف من سيرة هذا المستشرق ونكتفي بالإشارة إلى اعتناقه الإسلام بسبب ملازمته للمسلمين في عشرينات القرن الماضي، فأعجب بالأخلاق الإسلامية ودفء الحياة العربية وعمق التقاليد الاجتماعية وبساطة العقيدة وأبعادها الإنسانية، وتبيّن الإسلام دين مشبع بالقيم الإنسانية يقدّر حريّة الإنسان ويدافع عن حقوقه ويحترم المرأة وينزلها منزلة الرّفيعة، كما لمس تواضع العلماء المسلمين فأعلن إسلامه سنة 1926 م، وتحدّث عن ذلك في كتابه الشّهير (الطّريق إلى الإسلام)، وانطلق يشرح معالم العقيدة الإسلامية ويجلي الضّباب عن نظر الأوروبيين ويمسح التّشويه المقصود، ويطرح التاريخ الإسلامي لمواطنيه في الغرب، ويدافع عن مصالح المسلمين في الغرب . لقد ركّز على العلاقات التاريخية والفكرية بين العالمين الإسلامي والغربي وكشف الظّلم الذي لحق المسلمين زمن الحروب الصليبية وأثناء فترات الاستعمار الحديث للأوطان الإسلامية، وفضح الجهود المغرضة لتشوية الإسلام والثقافة الإسلامية بأيدي المبشّرين المسيحيين والمستشرقين المتطرّفين5 . ولام من رسم صورة سيئة للنّبي محمّد وللإسلام في ذهن الغربيين6.

والحاصل أنّ الاستشراق بتعدّد مدارس واتّجاهاته ومنطلقاته ومرتكزاته وغاياته، جهد فكري مازال يحتاج إلى دراسات وبحوث، لأنّه لم يستنفد أغراضه .

---

5 – نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص 168.

6 – هوفمان مراد ، الإسلام عام 2000، تر عادل المعلّم، مكتبة الشروق، ط1، القاهرة 1995، ص 31.

صورة تتحدّث

الطاهر المليجي

صاحب الكلمة المشهورة "بالامارة" ناقد فني وصحفي تونسي يلقب بمؤرخ الفنانين عمل طويلا بالإذاعة وكان قريبا من الفنانين ويتمتع بذاكرة قوية وعشقه الكبير لعالم الفن والثقافة كانت له قدرة كبيرة في شد انتباه متابعيه من تجاربه التلفزية الناجحة برنامج "أغاني الافلام" ونشر عديد المقالات بجريدة الصباح من بينها " المعهد الرشيدي" شارك في التمثيل في عدة أعمال درامية والف العديد من الاغاني من بينها "انت ياشاغل البال" إنه المرحوم "الطاهر المليجي "الذي وافته المنية يوم 10 اوت2022ندعو له بالرحمة والمغفرة

قصص الرسالات السماوية وأثرها في أساطير الشعوب

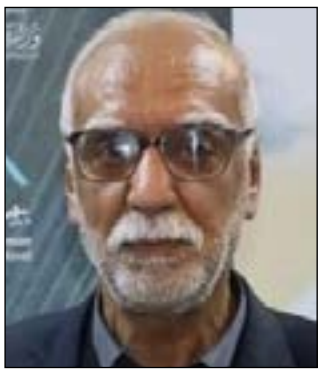

الناصر التومي - كاتب

دراسة مقارنة بين ما جاءت به الرسالات السماوية من قصص وما ظهر منها بأساطير شعوب العالم.

تـوطـئـة

سأحاول في هذا البحث التعمق في دراسة موضوع تأثر الشعوب بقصص الديانات السماوية ومعتقداتها لغاية إغناء أساطيرها وتعاليمها الدينية المحلية الخاصة بها. صحيح أنه كان ثم دائما في بعض الكتب والدراسات في مجال الأسطورة الورقية والألكترونية تلميحات إلى تشابه القصص أو الأحداث بينها، لكن لم يتم التركيز على هذه الظاهرة بصورة متكاملة مدققة بالحجج والبراهين، مع تجميع وتبيان العناصر التي تثبت حقيقة هذا التأثير، كما لوّح عديد الباحثين بأن الرسالات السماوية قد استلهمت من أساطير الشعوب بحكم أنها سابقة للعهد القديم.

لقد أفادني كثيرا قاموس أساطير العالم في هذا البحث من خلال المسح الذي قام به مؤلّفه الأمريكي «أرثر كورتل»والمترجم من قبل الأستاذة « سهى الطريحي» والمطروح إلكترونيا، ولولاه لكان تجميع الأدلة منقوصا وشبه مستحيل.

لم ألتزم خلال هذا البحث بما طرأ من تحريف في العهد القديم لأن المبحث لا يعنيه هذا الجانب، بل يعنيه التركيز على النقل من الرسالات السماوية سواء أكانت مزكّاة من القرآن الكريم أم محرّفة. فالعهد القديم قد حرّف على مدى آلاف السنين وخاصة لما احتك اليهود أثناء السبي البابلي ببلاد ما بين النهرين والفرس، وتأثروا بالحضارتين البابلية والفارسية، وأدرجت فيه أساطير تلك البلدان وأحداثها، وكان ثمة هناك توراة يهودية وتوراة سومرية، وتوراة يونانية تزخر بالاختلافات.

وقد أجمع عدد من المؤرخين على أنه بعد سقوط ملك اليهود في فلسطين أثناء مرحلة السبي عنّ لليهود تدوين التوراة أي بعد ما لا يقل عن سبعمائة سنة من ظهور موسى، ولم ينتهوا من تدوينها إلا أواخر القرن الثاني ق/م أي بعد أكثر من أربعمائة سنة. وخلال هذه الفترة كان اليهود قد تركوا الالتزام بدينهم وقلدوا الشعوب التي يعيشون بينها بعبادة الأوثان. والعهد القديم نفسه يتهمهم على لسان أنبيائهم بذلك. فهم حرّفوا التوراة رغم أن الله حذرهم في العهد القديم:

ـ « لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه « (سفرالتثنية).

ـ «كل الكلام الذي أوصيكم به احرصوا لتعملوه، لا تزد عليه ولا تنقص منه» (سفر التثنية).

لقد استعنت في هذا المؤلف بكتّاب على ديانات مختلفة، يهود و نصارى ومسلمين و ملحدين. لم تكن غايتنا التعصب لدين بعينه لأن هذا ليس مجاله، ولا أن نرفض رأيا لملحد لا يؤمن بالديانات كلها، بل نأخذ منه ما هو في مجال اختصاصه في ما نبتغيه من هذا البحث، وإن ناقضه غيره من أصحاب الأديان.

وقد سمح لنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالحديث عن بني إسرائيل في حديث له رواه أبو هريرة قال: كنا قعودا نكتب ما نسمع من النبي – صلى الله عليه وسلم – فخرج علينا فقال: ما تكتبون؟ فقلنا: ما نسمع منك فقال: أكتاب مع كتاب الله؟ فقلنا: ما نسمع فقال: اكتبوا كتاب الله أمحضوا كتاب الله، أكتاب غير كتاب الله؟ أمحضوا كتاب الله أو خلصوه، قال: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار، قلنا: يا رسول الله أنتحدث عنك؟ قال: نعم تحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فقلنا: يا رسول الله أنتحدث عن بني إسرائيل؟ قال: نعم تحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنكم لا تحدثون عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه.

لكننا بوصفنا مسلمين لا نصدّق ولا نكذب هذه الإسرائيليات، إلا ما جاء خلافه في قرآننا الكريم من جانب العقيدة فذلك مردود.

اخترت في هذه الدراسة عرض القصص كما وردت بالعهد القديم أو الإشارة إلى اقتباسها من شعب من الشعوب، كما اعتمدت تزكية القرآن الكريم لتلك القصص، و بوصفي مسلما يؤمن بكل حرف جاء به القرآن فإني في مجال التحكيم والتصديق فقد جعلته الحكم عند المقارنات.

وسأعرض الأساطير المستوحاة من العهد القديم، و الواردة في القرآن، أو في الأساطير الناقلة لها بالكلية و بتصرف أحيانا، ليعاين القارئ بنفسه هذا النقل دون الاعتماد على ذكر ذلك ضمن بحث مطول قد لا يستسيغه القارئ العادي، الذي يفضل عليه عرض البراهين كماهي من مراجعها الأصلية.

وسأتطرق إلى تشابه اعتقادات أساطير الشعوب التي نزلت بها الرسالات السماوية، وسأحاول تبيان الظروف التاريخية والحضارية والثقافية التي أدت إلى انتقال القصص والعبادات من الرسالات السماوية إلى أساطير الشعوب عن وعي أو دونه.

سلكت المنهج التاريخي عند إدراج البراهين أي الأقدم فالأقدم، مثل أحداث آدم قبل النبي إدريسولوط قبل يوسف، العهد القديم قبل القرآن، وحضارة بين النهرين الأقدم قبل الحضارة المصرية واليونانية، وذلك لتبيان العامل الزمني في تلاقح الحضارات والأساطير بين الشعوب المختلفة.

نزّهت أن يكون العهد القديم قد استلهم من أساطير الشعوب وإن زخر بتحريفات عدة لا تمس جوهر بحثي، ولأن سنة الله في مخلوقاته هي من خلقه هو وليس في حاجة لاقتباسها من أساطير مخلوقاته، واعتمدت في الأغلب ابراز استلهامات قصص الشعوب ضمن أساطيرها من الرسالات السماوية التي زكاها القرآن أو السنة المطهرة وأن ما جاء به قرآننا الذي لم يحرف وكذلك الأحاديث الصحيحة هي أدلة علمية يجب تصديقها، وإلا كيف نصدق الكهنة الكذبة ونكذب الله ورسله.

وسأحاول في هذا البحث بيان مدى استلهام الشعوب القديمة من الرسالات السماوية في مجال قصص خلق الأرض، بدء الخليقة، ورفع السماء عن الأرض، خلق الانسان الأول من الطين على صورة الآلهة ونفخ فيه الروح، خلق النساء من الرجال، غواية آدم وحواء، الطوفان وركوب القارب والرسو على جبل وتقديم القرابين، تحريم الزنا، الجنة للمحاربين والنساء اللواتي يتوفين أثناء الولادة حيث تلبى جميع رغباتهم، اعتماد 12 شهرا في التقويم.

لا أدعي ان تأليفي هذا مكتمل الجوانب، لكني أعتبره مادة أولية للباحثين لكي يغوصوا أكثر في ثنايا انتقال قصص واعتقادات من الرسالات السماوية إلى شعوب العالم.

ومن الله التوفيق.

شكر وامتنان

ـ للفقيد الدكتور كمال عمران الذي شجّعني على المضي في هذا المبحث بعد أن قدّمت له سبعين صفحة كنواة، ولما ذكرت له أن هذا الكتاب سيعيقني على الإبداع سنوات أجابني: هذا الكتاب أفضل من الرواية والقصة، إلى أن تفاجأت بموته بعدها.

ـ للدكتور أحمد السماوي الذي قبل بكل أريحية الإطلاع على مؤلفي هذا رغم مشاغله الكثيرة في التأليف، و أنجزه في توقيت وجيز،فأصلح الأخطاء اللغوية، وحاول تقوّيم المنهج العلمي في التناول، والطريقة المثلفي الإحاطة بالهوامش والمراجع، وناقشني طويلا في القناعات التقوية التي بدت في بحثي، وهذا لا نجده عند أغلب الأساتذة الجامعيين.

ـ للدكتور أمين عثمان الذي اطلع على المخطوط واقترح علي مزيد اعتماد مراجع أخرى رغم مشاغله الكثيرة في التدريس بالمملكة العربية السعودية.

ـ شكر وامتنان للدكتور الصحبي بن منصور الذي وضع المقدمة وقدم النصح لعديد المفاهيم الواردة بالكتاب وخاصة من جانب المنهج العلمي في البحث.

تقديـــم

لذّة السؤال لا تدوم ومتعة الجواب أقلّ مِن أنْ تسود.

الدكتور الصحبي بن منصور
أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الزيتونة

أساطير

لئن حاول الأديب التونسي الكبير الناصر التومي خوض تجربة جديدة في الكتابة تتّصل بالبحث العلمي في مجال غير بعيد عن مسيرته الإبداعية، فإنّه ظلّ وفيا لشغفه الأوّل بالخيال، إلا أنّه في هذه المرّة حلّق به بعيدا عن عالمنا الأرضي اليوم وعن الإنسان والمجتمع وقضاياهما الراهنة، وتحديدا في اتّجاه بدايات الخلق وتشكّل الحياة البشرية وعلاقة البشر بالله تعالى عن طريق الأنبياء والرُسل وما بقي من وحي متّصل إلى اليوم. ويبدو أنّ تلك الأسئلة الوجودية التي تنبت في نفس كل طفل، ويتمّ إشباعها بواسطة الأسرة وأجوبتها الموروثة المُطَمْئِنة للروح والمُسَكّنة للعقول، تُصبح أحيانا غولا يفترس صاحبه إذا أيقظها من جديد. وفي هذا المعنى ينبغي أنْ نفْهم إقْدام الأديب الناصر التومي على اقتحام عالم القصص الديني وأساطير الشعوب في إطار تفاعله مع نداء قلقه الوجودي وسعيه إلى مُغالبته بالبحث والتنقيب، عسى أنْ يُشْبع تلك الأسئلة بأجوبة متماسكة ومقنعة، تُتيح له النظر إلى أصول الخلق ومراحله وأطرافه السماوية والأرضية مِن خلال منظاره الإيماني الإسلامي، الذي ساعده على التحلّي بروح مِن الوضوح، بدّدت أمامه ضباب كل غموض أو تناقض. ولعل ما زاد أقدامه ثباتا وهو يجوب في أرض الأساطير الرملية المتحرّكة والخطيرة هو تزوّده برؤية عقلانية عن الكون وجدها في القرآن الكريم، أسلم لها عنان عقله، فسلّمت له عنان فهْم الكون الذي يستغرق إحساسه وفكره وخياله. هكذا بدت العلاقة جدلية بين الرؤيتين الدينية والأسطورية ليس داخل عقل مُؤلّف هذا الكتاب فحسب وإنّما أيضا أمام القارئ المُطالع لصفحاته.

ويكتسب هذا البحث شرعيته في دنيا الكتابة لأنّه نصّ صادق يلامس شغاف كل قلب تائه في الوجود، بل لأنّه يرفع اللبس عن بعض التصوّرات الدينية. قد تكون رؤية الإنسان إلى العالم أسطورية ثم تتحوّل إلى دينية، غير أنّ ذلك لا ينفي حقيقة سعي الإنسان في تعاطيه مع الأسطوري أو الديني إلى شَرْح إيمانه وتفسير الظواهر الطبيعية والأحداث البشرية. فالنص الأسطوري يحمل سَرْدا عجائبيا لا يُهمله أي روائي أو قاص معاصر، سردا تتحرّك داخله الكائنات الغريبة والحيوانات الناطقة وتتشكّل الأعمال الخارقة ويسود السحر وطقوسه، ويغلب عليه صراع الخير والشر، وتبدو فيه المعارك طاحنة بين الآلهة والبشر وأنصاف الآلهة. لكن يبدو أنّ الأديب الناصر التومي ارتأى في عمله الجديد هذا أنْ يتّخذ العقل نبراسه في التعاطي مع دراسة الأساطير. فهي في نهاية بحْثه ليست خيالا انشقّت الأديان مِن رحمها، ولا امتاح الأنبياء والرُسل مِنها، ولا هي الأصل والدين فروعها، مثلما يُطالعه في كتابات بعض الباحثين الغربيين والعرب الذين يُخفون لادينهم تحت مُسَميات وصِفات علمية. إنّ الدين وما يرتبط به مِن أحداث وشخصيات ومُقدّسات وأعياد ومُعجزات ومَعاصٍ قد اختلفت قراءته مِن فرد إلى آخر ومِن أمّة إلى أُخرى ومِن عصر إلى آخر، الأمر الذي أدّى إلى تحْريفه طوال مَسارات جغرافية وزمانية وبشرية متباعدة ومعقّدة، فَعَلَ خلالها الخيال الفردي وربّما أيضا المخيال الجَمْعي فعله السحري الذي نجد أثره في الأساطير أو الخرافات التراثية التي يُسمّيها بعض المُتديّنين بالأباطيل. هذا الواقع الثقافي المُثقل بالخيال والماضي والغيْب والفراغات التاريخية والمعرفية هو الذي سعى الباحث الناصر التومي إلى تثويره ثمّ إلى إعادة تجْميعه بهدف بلوغ حالةِ صفاءٍ إيمانيٍ وذهنيٍ منشودٍ سواء لديه أو لدى جمهور قرّائه، وذلك طبعا إزاء ثنائية الديني والأسطوري وما بينهما مِن متناقضات وعناصر مشتركة. هذا الكتاب مُثير للانتباه ومُحرّك للأسئلة وحتى للنقد على أكثر مِن صعيد وأكثر مِن اتّجاه، فهو مِن الكتابات المُقلقة وجوديا والمُشاغبة مضمونيا، غير أنّه يبقى مُضادا حيويا لمَن يعاني مِن الجمود الفكري والتكلّس الإيماني. وما أخْلصُ إليه في الختام مِن قراءة مِثل هذه الأبحاث هو أنّ لذة السؤال لا تدوم ومتعة الجواب أقلّ مِن أنْ تسود.

استهلال

قصص الديانات الوثنية هي امتداد لنسل آدم ونوح وإبراهيم، لذلك لا نعجب عندما نلمس بعض آثار هذه الرسالات من قصص في معتقداتهم.

_/_

المماثلات الحاصلة، بسفر التكوين وأسطورة «إينوما إيلش»«حينما في الأعالي» البابلية هي إمكان انبثاق كلتا الروايتين من مصدر مشترك على نحو ما، وأحد أحدث المدافعين عن هذه النظرية هو البروفيسور»ايرام برايس»من جامعة شيكاغو، الذي عزا العناصر المشتركة بينهما إلى تراث إنساني مشترك يعود إلى زمن كان فيه الجنس البشري يحتل موطنا مشتركا ويتمسك بإيمان مشترك.

ـ ألكسندر هايدل ـ سفر التكوين البابلي ص 192ـ.

اجندة ثقافية

أيام الفنون التشكيلية تافخسيت بمنزل تميم تحتفي بالفنان محمود التونسي

نعيمة الحمامي التوايتي

ينظم المركز الثقافي ريدآر من 18 إلى 20 أكتوبر 2024 الدورة الرابعة من أيام الفنون التشكيلية تافخسيت واخترنا أن تكون هذه الدورة دورة الراحل محمود التونسي ابن المدينة تكريما له ولما قدمه للفن التشكيلي وللكتابة في الجهة وفي تونس. وتأتي هذه الدورة تحت عنوان " بين الرسم المرئي والرسم المنطوق " وموجهة بصفة خاصة الى التشكيليين الذين يكتبون ولهم اصدارات في الشعر او السرد. لذلك تتضمن التظاهرة معرضا لأعمال الفنانين التشكيليين الذين يجمعون بين الرسم والكتابة الإبداعية ومعرضا للكتب الصادرة لهم. وتتضمن أيضا ندوة فكرية للحديث عن تجربة محمود التونسي من جهة ومداخلة ثانية تكون منطلقا للنقاش حول الرسم بين المرئي والمنطوق الى جانب الاستماع الى شهادات وتجارب في الجمع بين الرسم والكتابة . وتقترح هذه التظاهرة أيضا سهرة قراءات شعرية وسردية للمشاركين والمشاركات مع وصلات موسيقية. وفي البرنامج لقاء لتقديم كتاب صياد الغروب للكاتبة واستاذة الفلسفة ام الزين بن شيخة. الى جانب انطلاق ورشة رسم للفنانين وورشة للشباب تنتهي بعرض أعمالهم في اختتام التظاهرة.

للمشاركة في المعرض الجماعي ومعرض الكتاب الرجاء الاتصال بالرواق حي المستشفى الجهوي منزل تميم في أجل أقصاه نهاية شهر سبتمبر.

البرنامج

الجمعة 18 أكتوبر 2024 :

س 14: استقبال الضيوف

س 16: افتتاح المعرض التشكيلي الجماعي ومعرض الكتاب وحفل توقيع الكتب .

س 17: ندوة حول الرسم المرئي والرسم المنطوق تتضمن مداخلتين الأولى تتعلق بتجربة الراحل محمود التونسي والثانية تهتم بالمرئي والمنطوق في التجارب الإبداعية مع الاستماع إلى شهادات وتجارب في الجمع بين الرسم والكتابة.

السبت 19 أكتوبر 2024 :

س 10: انطلاق ورشة رسم للفنانين مع ورشة للشباب.

س 16: تقديم رواية صياد الغروب لام الزين بن شيخة تقدمها الكاتبة نورة عبيد

س 19: سهرة شعرية/ قراءات سردية / موسيقى

الأحد 20 أكتوبر 2024:

س 10: عرض أعمال الورشة واختتام أيام الفنون التشكيلية تافخسيت/ منزل تميم

تقديم كتاب «أبو القاسم الشابي شاعر النور»

وناس بن يوسف

إحياء للذكرى التسعين لوفاة شاعر تونس الكبير أبو القاسم الشابي نظّم منتدى الفكر التنويري التونسي الذي يديره الأستاذ محمد المي ندوة عقدت بمدينة الثقافة يوم السبت 12 سبتمبر الجاري، أثثها مجموعة من الأساتذة بجملة من الدراسات التي سنأتي على التعريف بها فيما يلين ومن المهمّ الإشارة إلى أن أشغال الندوة طبعت في سلسلة الكتب التي تصدر عن المنتدى حاملة الرقم 37 وهو ما يعني أن 36 مؤلّفا سبق هذا الكتاب وهو عمل جدير بالإشادة خصوصا لمّا نضع في الاعتبار أنّ الندوات السابقة تناولت عددا من كبار الكتاب والمثقفين الذين تركوا بصمتهم في الفضاء الثقافي التونسي

يتمّ تناولهم في كتاب جماعي يدرس تراثهم بتفصيل لأوّل مرّة كفريد بوغدير ومحمد الصالح المهيدي ومحجوب بن ميلاد وغيرهم، ولم يكتف المنتدى بإحياء ذكرى الأموات بل كرّم الأحياء وهم بيننا وهي مأثرة للمنتدى في بلد لا يكرّم سوى الأموات ائتناسا بقول الفخر الرازي:

المرء ما دام حيّا يُستهان به
ويعظم الرّزء فيه حين يُفتقد.

أو كما قال الدوعاجي:

عاش يتمنّى في عنبة
مات جابولو عنقود.

فكلمة شكر تقال للحيّ أفضل من مئات المقالات تُكتب عنه بعد وفاته كما يقال، وبالعودة إلى الندوة التي افتتحها محمد المي المشرف على المنتدى بكلمة هامة مَوْقَع فيها هذه الندوة وخصائصها ضمن الندوات السابقة التي لم تترك شاردة أو واردة تخصّ شاعرنا إلا تناولتها قال: «وتمّ الاحتفال بمائوية ميلاده احتفالا وطنيا كبيرا وصدرت موسوعة كاملة في ستة مجلدات وخصّص له المرحوم أبو القاسم محمد كرو كتبا ومقالات وجمع وأحصى كل كبيرة وصغيرة تتصل به... ورغم ذلك فإننا ندعي أنّ اهتمامنا... له عدّة دوافع أخرى لعلّ أبرزها أنّ الشابي منجزه يغري بالقراءة والبحث وشعره شعر حي كلما أوغلت فيه أدركت ما لم يقل بعد عنه ويمكن الإضافة لما قيل عنه» مذكّرا بأنّه: «أسّس سنة 2009 مكتبة عن الشابي في بيت الشعر بمناسبة

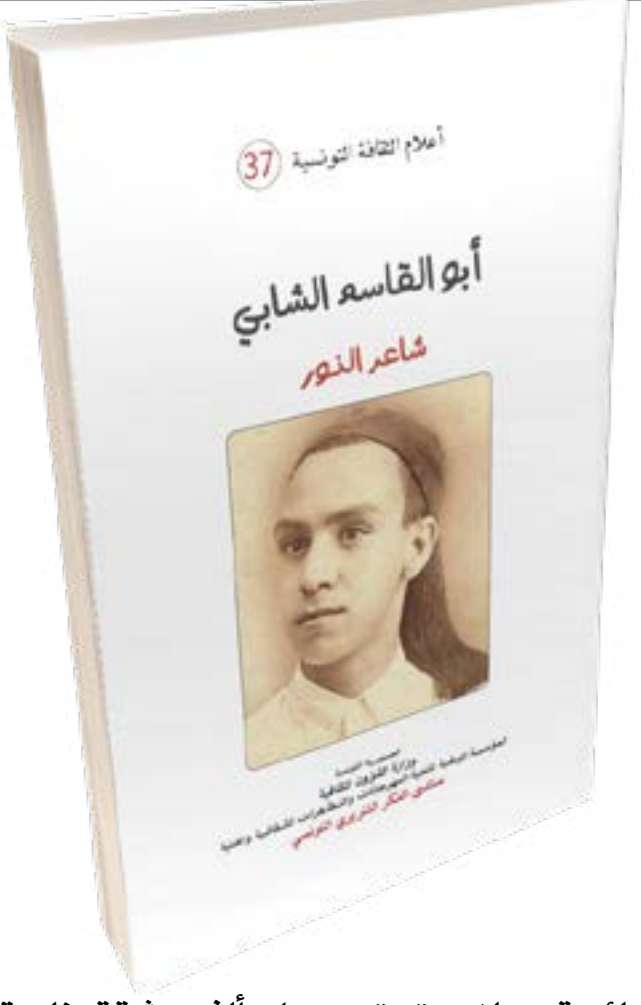

مائوية ميلاده تحتوي على ألف وثيقة نادرة عن الشابي كنت أعتقد أنه سيقع استغلالها لتتحوّل إلى مركز بحوث ودراسات حول الشابي ولكن...».

شارك في الندوة عدد من الأساتذة ببحوث كالتالي:

1) «أبو القاسم الشابي قاصّا في يوميّاته الخاصة» لجليلة الطريطر.

2) «قصيدة الرسم اليتيمة بلا انتهاء» لأفراح الجبالي.

3) «غربة أبي القاسم الشابي من خلال يوميّاته» لنجوى عمامي.

4) «مفارقات الحداثة عند الشابي، قراءة في الخيال الشعري عند العرب» لعادل خضر.

5) «الشعر والوجود في قصيدة أبي القاسم الشابي» لسمير سحيمي.

6) «حياة الأغاني: إرادة الحياة للشابي» للمنصف الوهايبي.

7) «مذكّرات أبي القاسم الشابي شعريّة الوجود المأساوي وواقعيّة التجربة الجماعية» لنسرين السنوسي.

8) «الخيال الشعري عند العرب أو الإرهاصات الأولى لبيان الحداثة» لعادل المعيزي.

دامت أشغال هذه الندوة طوال اليوم تخلّلها نقاش الحاضرين واستفساراتهم حول بعض المسائل الواردة في المحاضرات ومن بينها ما توصّلت إليه الأستاذة جليلة طريرطر بعد دراستها ليوميّة من يوميّات الشابي من أنّه بجانب موهبته الشعريّة يمتلك موهبة قصصيّة قالت: «مكنتنا دراسة يومية الخميس 2 جانفي 1930 من اكتشاف موهبة أبي القاسم الشابي القصصية غير المدروسة والفذة التي انبثت في يومياته الخاصة متخذة من وقائع حياته الشخصية موضوعا حيويا لها» مسألة جديرة بالمزيد من البحث والتمحيص.

ندوة هامّة وأفضل ما فيها أنّها وُثّقت في كتاب يوزّع مجانا فشكرا لوزارة الثقافة ولمنتداها.

أطروحة «البلاد التونسيّة والحراك الثوري من خلال جريدة "المغرب"»:

الممارسات الدينيّة، إنتاج السرديّات التاريخيّة ورهانات سياسات المجتمع العالمي (2011 - 2019)

تحت إشراف: أ. جيلالي المستاري/ أ. مونية علالي

محمد البشير رازقي(جامعة جندوبة)

الملخّص

سعيت في الأطروحة التي حملت عنوان « البلاد التونسيّة والحراك الثوري من خلال جريدة المغرب: الممارسات الدينيّة، إنتاج السرديّات التاريخيّة ورهانات سياسات المجتمع العالمي (2011-2019)»، إلى تبيّن تشابك المجتمع التونسي مع زمانه الثوري/العالمي بعد سنة 2011. وقد توزّع اهتمامنا في هذا البحث على حقول معرفيّة أساسيّة وهي: السياسات الدينيّة، إنتاج وإعادة إنتاج السرديّات التاريخيّة وأخيرا سياسات المجتمع العالمي بما يشتمل عليه من ممارسات جندريّة وسياسات خضراء. ولهذا يحتاج منّا هذا البحث إلى مدوّنة مصدريّة متينة ودقيقة ومحدّدة، إلى جانب الدراسات والأبحاث المنشورة والمرقونة، النظريّة والميدانيّة. وقد اخترنا في هذا الإطار جريدة المغرب الصادرة في البلاد التونسيّة بُعيد سنة 2011، وهي جريدة يوميّة. وقد اخترنا هذه المدوّنة كونها جريدة يوميّة، أي مواكبة لمجمل التحوّلات والممارسات، إلى جانب أنّها مُصنّفة كجريدة «نخبويّة» يكتب فيها الجامعيّون أساسا، أي نستطيع من خلالها مواكبة مسائل دقيقة من قبيل السياسات الخضراء والرهانات الجندريّة، وطبيعة إنتاج السرديّات الدينيّة والتاريخيّة.

على مستوى المنهج المتّبع، سوف نعتمد أساسا على أعداد جريدة المغرب بعد القيام بتخطيط متلائم مع العناصر الثلاثة الأساسيّة للموضوع. نقوم أوّلا بجرد كامل للمدوّنة، ثمّ نصنّف المعلومات المتحصّل عليها. سوف ندعّم هذا العمل الوثائقي بأهم الدراسات الأكاديميّة المُنتجة حديثا. وقد اخترنا الفترة الزمنيّة المتراوحة بين سنتي 2011 و2019 لأنّ جريدة المغرب شرعت في نشر أعدادها سنة 2011، وتوقّفنا في البحث على سنة 2019 لأسباب عديدة منها المحلّي (تغيّر المنظومة السياسيّة في البلاد التونسيّة مع حدث 25 جويلية 2019) والعالمي حيث اندلعت أزمة كورونا آخر سنة 2019 وتفاقمت بداية سنة 2020. إذا تغيّرت طبيعة التوازنات التونسيّة بعد سنة 2019 لأسباب داخليّة وخارجيّة ولهذا

خيّرنا التوقّف خلال هذه المذكّرة في هذه السنة.

سوف نسعى إلى تقسيم المذكّرة إلى ثلاثة عناصر أساسيّة إلى جانب مقدّمة وخاتمة. أخذ العنصر الأوّل عنوان «العنصر الأوّل: تنوّع الممارسات الدينيّة في البلاد التونسيّة بعد 2010»، وعُنون العنصر الثاني «إنتاج السرديّات التاريخيّة وشرعنة الحاضر»، والعنصر الثالث «البلاد التونسيّة وسياسات المجتمع العالمي بعد سنة 2011».

تُناقش المذكّرة ثلاثة فرضيّات وهي: ساهمت الثورة التونسيّة في إنتاج سرديّات دينيّة متنوّعة بتنوّع الفاعلين وقد ساهم

UNIVERSITY OF EASTERN PIEDMONT AMEDEO AVOGADRO
Department of Law and Political, Economic and Social Sciences

UNIVERSITY OF PADUA
Department of Philosophy, Sociology, Education and Applied Psychology

INTERNATIONAL UNIVERSITY OF RABAT
Center for Global Studies

International Master in
RELIGION, POLITICS AND GLOBAL SOCIETY
Thesis
The Tunisian country and the revolutionary movement through the newspaper Al Maghreb: Religious Practices, the Production of Historical Narratives and the Stakes of Global Community Politics (2011-2019)

Supervisor
Prof. Djilali Almstari
Moonya Allali

Candidate: Mohamed Bechir Rezgui
Matriculation Number 2001[illegible]

Academic Year 2023/2024

ذلك في نسج صور نمطيّة مختلفة ومتقابلة تجاه الخصوم والمتنافسين مع توظيف كل السرديّات في الصراع السياسي وشبكات العلاقات الداخليّة والخارجيّة. ثانيا: مثّل التاريخ حقلا خصبا لانتقاء الأحداث من التاريخ التونسيّ وتوظيفها سياسيّا، فقد تحوّل الحدث التاريخي إلى وسيلة حيويّة لشرعنة رهانات الفاعلين حاضرا وتشكيل ذواكر متنوّعة مهاجمة ضمنيّا للآخر المختلف، ولم تسلم هذه الذواكر أيضا من تحالفات الداخل والخارج. وتتمثّل الفرضيّة الثالثة في الدور الأساسي الذي لعبته الثورة التونسيّة في تشبيك المجتمع التونسي مع زمانه العالمي وسيرورة إنتاج الخطابات الكونيّة/الإنسانيّة ذات النزعة النقديّة وهي أساسا السرديّات الجندريّة والأفكار الخضراء ومؤسسات المجتمع المدني.

تتخلّل هذه المذكّرة اشكاليّة أساسيّة وهي: ماهي علاقة التحوّلات والانقطاعات الاجتماعيّة والسياسيّة بابتكار اليومي الدّيني والسياسي والتاريخي والعالميّ؟ إلى جانب مجموعة من الاشكاليّات الثانويّة وأهمّها: كيف ساهمت الثورة التونسيّة في إنتاج خطابات وممارسات دينيّة مُستحدثة مع تنوّع الفاعلين ورهاناتهم؟ هل استثمر الفاعلون السياسيّون بعد الثورة التونسيّة في استغلال السرديّات التاريخيّة التونسيّة بتنوّعاتها؟ وما هي أشكال هذا الاستغلال وعلاقتها بتوقع الفاعل السياسي؟ كيف تشابكت البلاد التونسيّة فكريا بعد الثورة مع الفكر النقدي العالمي؟ هل أُستغلّ الفكر الجندري والأخضر والمجتمع المدني بطريقة سليمة مُفيدة للحراك الثوري؟ أو أُخضع للرهانات والمصالح السياسيّة دون فائجته النقديّة والاجتماعيّة/ السياسيّة؟

قدّم لنا البحث مرتكزات معرفيّة أساسيّة ونوافذ تفسير مهمّة ونواة لرسم براديغم بسيط سعيا لفهم طبيعة المتغيّرات التي عايشها المجتمع التونسي بعد سنة 2011 استنادا لجريدة المغرب. برز لنا أوّلا متغيّر الأزمة (ثورة 2011)، وثانيا متغيّر تعدّد الفاعلين الداخليين والاقليميّين والدوليّين، وثالثا متغيّر طبيعة الخطاب الديني نفسه شكلا لا مضمونا. جاءت الثورة التونسيّة في سياق أزمة عالميّة اقتصاديّة (أزمة 2008)، وفي زمن طفرة اتّصاليّة (تأسيس الفايسبوك مثلا 2004) وتمكّن الخطاب الديني التلفزي من المشهد الإعلامي كلّما اقترابنا من سنة 2011 (قناة النّاس، قناة الرحمة...)، وبروز وجوه اعلاميّة دينيّة نافست مشاهير التمثيل والفنّ أنفسهم قبل سنة 2011 سنوات (محمد حسّان، ابي إسحاق الحويني...). وتزامن كل ذلك مع تعدّد المتنافسين الاقليميّن (أزمات دول الخليج المتعدّدة مثلا خاصة حول المعابر البحريّة والموانئ) والدوليّين (تعدّد أقطاب الصراع بين أمريكا والاتحاد الأوروبي وروسيا...).

الخطاطة عدد 1: المتغيّرات الأساسيّة زمن الثورة

ساهمت هذه المتغيّرات الأساسيّة في إنتاج سرديّات دينيّة متنوّعة بعد الثورة التونسيّة، من ناحية لوجود أرضيّة خطابيّة على مستوى وسائل الاعلام منذ ما قبل 2011، وثانيا مراهنة كل فاعل خارجي على خطاب دينيّ معيّن، واعتماد كل فاعل مؤثّر داخلي على خطاب دينيّ يميّزه ويُناغي سرديّات منافسيه. إذا أُخضعت السرديّات الدينيّة بعد الثورة إلى توازنات القوّة الداخليّة والخارجيّة، إلى جانب المتغيّرات الاقتصاديّة والتقنيّة/ الاعلاميّة. مثلا، اعتمدت النهضة على ما يسمّى ب»الإسلام الوسطيّ المعتدل»، من ناحية أخرى راهن منافسوها على

«الإسلام التونسيّ» وهنا تبرز السرديّة الولائيّة الصوفيّة إلى جانب الإسلام «الرسمي» (ليس من الصدفة أن يُدشّن الباجي قائد السبسي حملته الانتخابيّة سنة 2015 من مقام وليّ صالح بمدينة تونس). دون إغفال السرديّات المناوئة أصلا للدّين والرافضة لوجوده (الفاعلين السياسيّين اليساريّين مثلا)، كما راهن القوميّون على اسلام «حضاريّ» بعيد عن تأثير «اسلام «الخليج».

برز في هذا السياق التيّار السلفي كنتيجة مفهومة لأزمة الجهاديّين العالميّين وتأثّرا بالسياقات التي عايشتها دول عربيّة (سوريا أو ليبيا مثلا). وقد حملوا أيضا سرديّات متنوّعة بتنوّع تصنيفات (سلفيّة علميّة، جهاديّة...)، وتشابكوا بدورهم مع رهانات الفاعلين في تونس. اُتّهمت النهضة بكونها متحالفة سرّا معهم، واتّهمت النهضة منافسيها بأنّهم يحاربونها بالتيّار السلفي. الذي يهمّنا هنا هو الباراديغم، أي الإطار التفسيري، لا رهانات الحياة اليوميّة: فقد اعتمد تنوّع السرديّات الدينيّة بعد ثورة 2011 على مرتكزات ثلاثة سمّيناها بالمتغيّرات: الأزمة الداخليّة والخارجيّة، تعدّد الفاعلين والمؤثّرين داخليّا وخارجيّا، والتطوّر التقني. ولهذا تشابك كل فاعل، داخلي أو خارجي، مع سرديّة دينيّة إمّا لشرعنة الوجود أو لتحقيق مصالح وأرباح أو للتشكيك في وجود منافس والتقليل من أحقيّته على المنافسة.

الخطاطة عدد 2: المتغيّرات المرتبطة مباشرة برهانات تشكّل الخطاب الديني

تموقع إنتاج السرديّات الدينية المتنوّعة ضمن سياق تدافع الشرعيّات و«الصراع من أجل الاعتراف»، حسب عبارة اكسيل هونيت Axel Honneth. والاعتراف هنا داخلّي وخارجيّ، سياسيّ واقتصادي واجتماعيّ. فلم يكن الخطاب الدينيّ ممارسة تقويّة أو دينيّة فقط، بل مثّل قلب رحى النزاعات سواء على مستوى إنتاج الذواكر الدينيّة وبالتالي حقّ الوجود في الحاضر، أو البحث عن الآباء التأسيسيين أي نقل الإرث للفاعلين راهنا (الإرث البورقيبي مثلا وعلاقته بالباجي قائد السبسي). أو، وهذا الأهمّ، اعتماد الحدث التاريخ لنسج سرديّات المظلوميّة لافتكاك الحقّ بالوجود (الإسلاميين مثلا).

الخطاطة عدد 3: سيرورة تشكّل السرديّة الدينيّة ورهانات الفاعلين

أمّا الفرضيّة الثانية فهي النظر إلى التاريخ كحقل خصب لانتقاء الأحداث من التاريخ التونسيّ وتوظيفها سياسيّا، فقد تحوّل الحدث التاريخي إلى وسيلة حيويّة لشرعنة رهانات الفاعلين حاضرا وتشكيل ذواكر متنوّعة مهاجمة ضمنيّا للآخر المختلف، ولم تسلم هذه الذواكر أيضا من تحالفات الداخل والخارج

وتنازع الشرعيّات وتدافع المصالح. البراديغم، أي النظام التفسيري، الذي برز لنا في هذا الفصل هو سعي أوّلا الفاعل السياسي إلى تشكيل صور نمطيّة Social Stereotypes ووصوم اجتماعيّة stigma وتصنيفات تحقيريّة تجاه المنافسين على شبكات المصالح والنفوذ والقوّة. يُلتجئ ثانيا إلى التاريخ للبحث عن سرديّة تاريخيّة أو حدث أو واقعة متوائمة مع رهانات الحاضر، فتُسترجع كاملة أو مُحوّرة أو مُجزّأة وهي أساسا منتقاة، باعتبار أنّ الذّاكرة أساسا هي انتقائيّة أو تحريفيّة أو تصنيفيّة. ثالثا، يتمّ تشبيك الحدث التاريخ مع رهانات الحاضر وينتج عن ذلك سرديّة تاريخيّة راهنة مُشبّعة برهانات وأطماع الزّمن المُعاش الحاضر، وهي في الحقيقة تاريخ للزمن الرّاهن ولكنّها صُوّرت باعتبارها شرعيّة تاريخيّة، وبالتالي مُشرعنة للحاضر. مثلا، اعتمدت النّهضة على انتقاء بعض أحداث الماضي ذات الصبغة الاسلاميّة لشرعنة الخلفيّة الاسلاميّة لحزبها، وهو في الآن ذاته تقنية انتخابيّة مثاليّة بحثا عن زمن فاضل يكمن في صدر الإسلام. ولهذا استخدم رئيس الوزراء حمّادي الجبالي سنة 2012 عبارة «الخلافة السّادسة». فالبحث عن الزّمن الإسلامي ومدينته الفاضلة هو رهان سياسيّ بامتياز، ورسالة للخصوم السياسيّين المعارضين للسرديّات السياسيّة ذات الخلفيّة السياسيّة. بالمقابل، بحث منافس النهضة الباجي قائد السبسي، إلى جانب منافسين آخرين، على شرعيّة الوجود عبر سرديّة دولة الاستقلال ورجالها مع عمليّة استرجاع دائم لشخصيّة الحبيب بورقيبة الأيقونيّة، مع السعي إلى شرعنة كل رهانات الحاضر استنادا إلى ارتباطها مع مشروع الدولة الوطنيّة. وهذا الأمر هو رسالة أيضا إلى الاسلاميّين باعتبارهم علاقتهم التاريخيّة المتوتّرة مع بورقيبة، إذا سرديّة بورقيبة هي شرعنة لخصوم سياسيّين، وسحب شرعيّة من منافسين آخرين.

إذا تبيّن لنا خلال هذا العنصر أن انتقاء الحدث التاريخي خطوة أساسيّة لنسج السرديّة، وهي ممارسة سياسيّة بامتياز خاضعة لطبيعة الرهانات والمتنافسين والسياقات الداخليّة والخارجيّة.

الخطاطة عدد 4: سيرورة تشابك وقائع الماضي برهانات الحاضر

تتمثّل الفرضيّة الثالثة في الدور الأساسي الذي لعبته الثورة التونسيّة في تشبيك المجتمع التونسي مع زمانه العالمي وسيرورة إنتاج الخطابات الكونيّة/الإنسانيّة ذات النزعة النقديّة وهي أساسا السرديّات الجندريّة والأفكار الخضراء ومؤسسات المجتمع المدني.

تبيّن لنا في المذكّرة التشابك العضوي بين تحوّلات الثورة التونسيّة منذ اندلاعها إلى حدود 2019 برهانات المجتمع المدني وتحرّكاته والخطابات التي ساهم بطريقة حيويّة في إنتاجها. ساهم ذلك في تدافع سياسي بين السلطة الحاكمة والمعارضة، وأثّر على خريطة الجغرافيّة القانونيّة المشكّلة خلال الفترة قيد الدرس، إلى جانب المساهمة الراسخة في نسج الخطابات السياسيّة/الحقوقيّة/الاجتماعيّة. لم يقتصر تأثير الخطابات الجندريّة والخضراء وجمعيّات المجتمع المدني على النزاعات السياسيّة، بل مثّلوا ممارسة نقديّة حيويّة ومهمّة في مرحلة الانتقال الديمقراطي ووسيلة ضروريّة لتعديل المسار السياسي وعدم فصله عن بعده الاجتماعي. من ناحية أخرى، لا يمكن أن نفهم تموقع البلاد التونسيّة في سياق زمانها العالمي بدون هذه الثلاثيّة.

الخطاطة عدد 5: تموقع البلاد التونسيّة ضمن زمانها العالميّ

من ناحية أخرى، مثّلت هذه الخطابات وسيلة أكيدة لتشكيل توازن بين السلطة والمجتمع وترسيخ آليّات رقابة مهمّة في زمن متحوّل ومتحرّك. كما تبيّن لنا تشابك هذه السرديّات الثلاثة مع رهانات الفاعلين السياسيّين الداخليّين والخارجين، حيث تموقعوا في قلب رحى التحالفات الاقليميّة والعالميّة، وبالتالي الدّاخليّة. ولهذا لم تسلم هذه الخطابات، رغم هدفها الاجتماعي النقدي والإنساني، من أثقال وأحمال السياسة وأدرانها.

الخطاطة عدد 6: المجتمع المدني واكراهات زمانه

يمكن القول في الأخير أنّ الثورة التونسيّة أنتجت ممارسات مُستحدثة في المجتمع التونسيّ، سياسيّا واقتصاديّا واجتماعيّا، وقد مكّنتنا جريدة المغرب من الاقتراب من هذه الرهانات وفهم طبيعة الفاعلين وخريطة شبكات القوّة والنفوذ والمصالح. ونستحضر هنا الإشكاليّة الأساسيّة التي سبق أن طرحناها في المقدّمة وهي: ما هي علاقة التحوّلات والانقطاعات الاجتماعيّة والسياسيّة بابتكار اليومي الدّيني والسياسي والتاريخي والعالميّ؟ ويمكن أن نجيب بأنّ الثورة التونسيّة، عبر ما برز لنا في جريدة المغرب، ساهمت في تشكيل خريطة خطابات وسرديّات جديدة ومبتكرة اجتماعيّا على المستوى الديني والسياسي والعالمي، بل موقعت البلاد التونسيّة ضمن سياقها العالمي، ابستيمولوجيّا وسياسيّا وخطابيّا. ولهذا مثّل هذا الحدث لحظة انقطاع مؤسسة لمرحلة تحوّلات مهمّة وحيويّة لا في تونس فقط بل في أماكن جغرافيّة أخرى متنوّعة.

"بيت الفكر والإبداع" يفتتح الموسم الثقافي للمكتبة المغاربية بن عروس

مسألة إدراك الذات والعالم لفئات خصوصية

هدى محمد

بمناسبة افتتاح الموسم الثقافي 2024 - 2025 وضمن نادي "بيت الفكر والإبداع" نظّمت المكتبة المغاربيّة وجمعيّة أحبّاء المكتبة والكتاب ببن عروس لقاء حول : "ذوي الاحتياجات الخصوصيّة في الرواية التونسيّة" باستضافة الكاتب الشاذلي القرواشي عن رواية « ظلام منحوت » والكاتبة منى أحمد البريكي رواية عن روايتها « بريق الصّمت ». وقد أدارت اللّقاء الكاتبة هيام الفرشيشي.

وفي افتتاح الجلسة رحبت مديرة المكتبة المغاربية الأستاذة فتحية شعبان بالضيوف. معلنة عن انطلاق الموسم الثقافي بجلسة " بيت الفكر والابداع" الذي تدير جلساته الكاتبة هيام الفرشيشي و يواصل نشاطه بطرح المزيد من القضايا الفكرية والإبداعية في علاقتها بحياتنا المعاصرة. ثم أعطت الكلمة للفرشيشي التي استأنفت الجلسة بحديثها عن دور هذا المنبر الحواري الذي استضاف العديد من التجارب المنوعة، وتناول قضايا معاصرة بأسلوب تفاعلي ينبش في الأعمال الفنية وخاصة الادبية لأنها لا تفصل المشغل الجمالي عن الأوضاع الراهنة وما تطرحه من استفهامات.. وفي اختيارها لموضوع الجلسة أكدت أنه يتجاوز الشخصيات المعقدة والمركبة المشوهة نفسيا والتي تعاني من ازمة الطاغية في الأعمال الأدبية إلى شخصيات تتمثل العالم من خلال تقوية الحواس وإثبات الذات خاصة، واكتشاف المعارف سيما وأن هذه الشخصيات تدرك أنها بحاجة للتعامل مع العالم الخارجي بطريقتها وبمهاراتها الخاصة.

وفي تركيزها في اسئلتها على عوالم هذه الشخصيات، وآفاقها، ومكتسباتها بين الشاذلي القرواشي أن شخصية "رتاج" في روايته " ظلام منحوت" ولدت لا تبصر أي أنه جعل الشخصية لا تفقد البصر في فترة معينة أو تخزن البصر. فلا صور راسخة في ذاكرتها لتتمثلها من جديد. وتساءل كيف للأكمه أن يتعامل مع هذا العالم الخارجي؟.. كيف يتصرف مع الأشياء؟. اكيد ستشتغل لديه حاسة قوية وهي حاسة السمع وإمكانات اللغة في تخيل الأشكال فهي ليست اعتباطية بل هي مدركة .. العصا هي البوصلة لفهم عوائق الطريق وإن كانت الشخصية بحاجة إلى أكثر من عصا لتحدد لها عوائق تعترض جسدها ككل من فوق وليس فقط من خلال تحديد ملامح الطريق فحسب. العالم مشكل لها من الرموز. كل مكان له مسافة معينة، وحساب الخطوات مهم لديها.. فهي تعيش في عالم رموز مجرد من الأشياء. وهي شخصية فلسفية تسير على الأرض. هي شخصية عمودية أي أنها لا تختزن الأفكار والمعارف وتستعملها في النقاش بل هي شخصية تفكر في وضعها، على غرار صديقتها "سارة" التي تروم الخروج من الأقفاص المعرفية. أثناء كتابة الرواية التقى القرواشي بالدكتور وليد الزريبي الذي اكد له ان الجنين قد يكون مبصرا قبل أن يفقد البصر وهو في الرحم وبالتالي يمكن استعادة البصر علميا. ومن خلال كلامه والبحث في هذا الموضوع الممكن طبيا اتخذت الرواية منعرجا آخر.. وتبين أن "رتاج" كانت مبصرة في بداية تشكلها في رحم أمها، وبعد العملية هجم عليها العالم المرئي.. فعاشت حالة من الانهيار والعودة الى غرفة مظلمة لاسترجاع توازنها. ثمة التأقلم بالتدريج مع العالم المرئي بكل صوره وتفاصيله.

وتوجهت هيام الفرشيشي بالسؤال لمديرة المكتبة المغاربية الاستاذة فتحية شعبان عن شخصية المكفوف وتعامله مع الإبداع باعتبارها أشرفت على ورشات إبداعية مع المكفوفين فبينت أن لهم قدرة خارقة على التركيز والانتباه والتواصل والتحليل. أما في البطولة الوطنية للمطالعة فكان فهمهم لشخصيات القصص اكثر عمقا من المتباري المبصر كما أنهم يطرحون أسئلة مختلفة. علما وان التأطير الإبداعي للمكفوفين يدخل ضمن توجهات المكتبة المغاربية ببن عروس منذ 2014 ..

بعد ذلك توجهت هيام الفرشيشي لمنى أحمد البريكي بخصوص شخصيتها القصصية "أروى" التي كانت تعيش فقدان السمع والنطق دون أن تجعل القارئ يراها شخصية تعاني من عطب. فهي تعبر عن عوالمها الداخلية بلغة شعرية بالرمز والمكاشفات، ومواقف قليلة في الرواية جعلتها تصطدم بالعالم الخارجي حين سقطت سماعتها في وقفة احتجاجية في باريس، وحين تعاملت معها ام خطيبها كبكماء.. وبينت منى احمد البريكي ان شخصيتها فقدت السمع والنطق ابان غارة على مخيم فلسطيني وهي فتاة صغيرة وبالتالي كانت لها مرجعية صوتية سمعا ونطقا قبل الحادث. وصارت تعتمد على الرؤية ولغة الإشارة للتواصل، فعاشت غربة الذات من خلال غير الناطق والناطق وغربة الوطن. ربتها صديقة والدها الصحفية التونسية فلم تعاملها على أنها شخصية معوقة بل شخصية مختلفة وقوت فيها لغة التواصل والتسلح بالعلم والمعرفة. فلم تشعر أنها معوقة بل تتواصل بالإشارة والعينين ولغة الشفاه لأنها درست لغة الإشارة. غير أن الانعطافة في الشخصية بعد زواجها من الرجل الذي أحبت لم يتجاوز نظرة المجتمع ولم يرغب أن ينجب منها أبناء متذرعا بحجج واهية ثم حين تبين له أنه بالإمكان إجراء عملية وزرع القوقعة لاستعادة النطق هربت "أروى" من مركز الأبحاث لأنها أدركت أنها لا يريد الإنجاب من صماء بكماء. وبينت منى البريكي أنها من خلال قراءتها كتاب عن عالم الصم تبين لها أن الصم يعيشون عوالم مغلقة في ما بينهم ولا يحبون أن يخرجوا منها. ويرفضون السماعات غالبا لأنها تحدث لديهم حالة من التشويش. وتناولت تجربة ممثلة فرنسية صماء رفضت السماعات وعاشت تجربة صراع معها لتصبح ممثلة معروفة من خلال التجسيد الحركي السيميائي.. وعقبت ان سبب اصابة "اروى" بالبكم في الرواية صدمة موت صديقتها الطفلة في المخيم. صمتها موقف من العالم الأصم الصامت عن الحق. ورغم اعتمادها على لغة الاشارة والحوار الباطني كان قدرها كامرأة أن تكون باعثة للحياة لذلك جعلتها تنطق آخر الرواية بعد انجاب ابنتيها.

وعقبت هيام الفرشيشي على أن شخصية "أروى" في " بريق الصمت" حركية ثورية رغم صمتها فهي لم تفقد تعبيرها عن الموقف والاحتجاج بالحركة مساندة للقضية الفلسطينية في باريس و مساندة لأحداث الثورة التونسية في حين أن شخصية "رتاج" للقرواشي في رواية " ظلام منحوت" فهي شخصية تكتشف العالم وتفك شفراته بهدوء وتدرج.

وإثر استراحة القهوة انطلق النقاش مع الاستاذ عابد الشيحاوي الذي بين أن معرفتنا للأشياء تأتي من الخارج وهي متبدلة لا تجعلنا نعرف حقيقتها، الحواس خادعة حسب افلاطون وهي تمنع المعرفة الذهنية بينما يرى أرسطو أن من فقد حسا فقد علما على غرار المنظورات والمسموعات. غير أن أفلاطون ارجع ان الاعاقة تكمن في الحواس التي تمنع الذهن من إدراك المعقولات.. في حين أن سبينوزا اعتبر أن العقل طاقة خلاقة للمعرفة والجسد مدرك للمعارف الحسية. ثم بين انه بامكان العلم والمعرفة مصارعة عوائق الطبيعة ،اي خلل بعض الحواس أو الإعاقات الجسدية. وتحدث المبدع عبد العزيز بن عبدالله عن طاقات المبدع في التعبير عن ارادة الشخصيات رغم العوائق الخارجية. كما تعمق الباحث زهير الزواري في تحليل شخصية الصم والبكم وحضورها المقنع في رواية " بريق الصمت" لمنى احمد البريكي. وتناولت المداخلات والاسئلة ضرورة تحديد مصطلح المعاق أو ذوي الحاجيات الخصوصية لمدى تأثيرها على شخصية الإنسان. العوالم الداخلية لهذه الشخصيات بضعفها وقوتها ونظرة الآخرين لها، التحدث عن مواقف عاشوها مع تلك الشخصيات وردود فعلها. هذا وقد حضر النقاش ثلة من الكتاب والنقاد على غرار القاص والروائي المنجي العيساوي والناقدة سهيلة حماد والفنان التشكيلي محمد الهادي الشريف وغيرهم من الحضور الذين اثروا الجلسة بالاسئلة ..

وفي التعقيب عن اسئلة المتدخلين بين الشاذلي القرواشي أن كتابة الرواية رحلة معرفية من ذلك أن الإنسان وإن استمد نشوئه وانطباعه من العقل الحسي على غرار بعض الحيوانات فهو تجاوز وضعه الطبيعي بالتفكير. وبين ان الشعراء الذين استثناهم القرآن هم من فكروا وتجاوزوا الوهم. الشاعر يذهب للغة بينما لغة الوحي هي التي تأتي للإنسان.. وعقبت منى أحمد البريكي على ضرورة المطالبة بادماج هذه الفئات الخاصة في التعليم وسوق الشغل وفي الفضاءات الثقافية ومقاومة الميز العنصري تجاه هؤلاء اذ يؤدي لعزلهم اجتماعيا وجعلهم يعيشون في دوائر مغلقة.. ونصت على حق المختلف في الاختلاف. وانتهت الجلسة بقراءة الضيفين لمقاطع من رواياتهم..

وختمت هيام الفرشيشي الجلسة بقولها إن هذه الروايات أخذتنا إلى عوالم جديدة فهي تخرج عن التناول العادي إلى التناول السردي الإبداعي الذي يفك الشفرات ويأخذنا إلى لحظات غائبة و يدهش القارئ فيدخل في رحلة اكتشاف واسئلة مع السارد. ويفكر معهم في وضعهم ومساعدتهم على تخطي الإسلام الشائكة التي تعترضهم.

ليس على مسرح الطفل أن يكون معبدا

بقلم : علاء الفرشيشي (كاتب مسرحي)

إنّ أكثر ما يثير اهتمامنا هو القيم الأخلاقية والسلوكيات الايجابية التي ينبغي تعليمها للأطفال من خلال مسرحه - ونحن مصيبونا في هذا- ومع ذلك فإن شأو نظرتنا بحاجة إلى التوسع. فعلى المسرح أن يساهم أيضا في اكساب الطفل قدرة أفضل على تحليل هذه القيم و الأفكار والآراء ومحاكمتها منطقيا وعقد المقارنات والتوصّل للاستنتاجات و العمل على فهم مشاكل المجتمع الحاضر وحلّها. إنّ مهمتَنا كمسرحيين، كآباء ومعلمين تكمنُ في ألّا ننجب أنفسنا، بل أن ننجب إنسانا أعلى ،أن لا نعيد صياغة فكر أسلافنا بل أن نشارك الطفل تمحيص هذا الفكر وتقويمه. "إنّنا بحاجة إلى نقد القيم الأخلاقيّة وإنّ قيمة هذه القيم ينبغي أن تطرح قبل كل شيء على بساط البحث" 1

غالبا عندما نفكّرُ في الكِتابة لمسرح الطفل، أوّلُ ما يتبادرُ إلى أذهاننا حشو قصصنا بمجموعة من النّصائح الّتي كنّا قد اتفقنا سلفا بأنها ثابتة ومطلقة، وتأتي هذه التوصيات مباشرة وقطعيّة لا تمنح الطفل فرصة لتمحيصها وإعادة التفكيرِ فيها. نأتي بما نشأنا عليه من قيم ومبادئ فنكرّر طرحها مؤمنين بأنها طوق نجاة. ولا نعيد مراجعة ما حُشر حشرا في أدمغتنا على أنّه الحق ولا نتساءلُ إن كان ما نقدّمه للأطفال من قيم، ثابت حقّا! ؟

ما قرّر المجتمع أنّه خير، فهو بلا شكّ خير محض، و ما رفضه شرّ وجب التحذيرُ منه. هذا ما ننساق جميعا إلى تكراره بالغداة والعشي على عقل الطفل وفي اعتقادنا البالي أنّه عقل عاجز كل العجز عن التساؤل والتفلسف، فآثرنا أن نأمره بالفكرة عوض أن نشاركه التساؤل عنها. ماذا يعني أيّها الطفل أن تعمل من أجل الخير ؟ماهو الخير وكيف نحدّده ونميّزه عن الشر ؟هل أنّ ما هو خير لي هو خير للآخر أيضا؟ماهي حدود الفضيلة؟...

على أدب الطفل ومسرحه أن يتجاوز الخطاب الأفقي الآمر والنّاهي، إلى خطاب يقدم سؤالا بدلا عن الإجابة. وعليه أن يساهم في حركة التقدم الاجتماعي ولا يعطّلها بتنميط العقول وتثبيط عمليات الشك المنهجي. ولا يمكن للمسرحيّ الّذي يسعى إلى خدمة مجتمعه أن يكون صادقا مع نفسه إلّا إذا انتهج هذا النهج.

على المسرح الموجه للطفل أن يواكب التغييرات التي تحدث في المجتمع وأن يرتبط بمسير وجريان الحوادث العام، فيكون بذلك إربًا من مسار التربية الحديثة الّتي دعا إليها الفيلسوف والمربي الأمريكي"جون ديوي". فلا يبتعدُ بالطفل إلى عوالم طوباوية تفصله عن واقعه الذي تتحكم فيه التغييرات الّتي تحدث في الصناعة والتجارة والتي ألقت بظلالها على التغييرات الأخرى، بل وتحكمت فيها ف" حتى آراؤنا في الأخلاق والدين والأولاع - وهي أشد ما فينا محافظة، لأنها مستقرة في أعمق أعماق طبيعتنا - أصابها هذا التأثر بصورة عميقة" 2

أرى أنّ على المهتمين بمسرح الطفل أن يدركوا هذا تمام الإدراك وأن يعيدوا النظر في مجموع المبادئ العامة الّتي توارثنا تقديمها للأطفال ويحرصوا على ربطها بالحاجات الاجتماعية الراهنة ويساهموا في نقد الأخلاق التقليدية وبناء نسق أخلاقي يتلاءم مع طبيعة المرحلة التي يعيشها الإنسان.

على مسرح الطفل أن يكون مختبرا للبحث والتفلسف وإعادة البناء، عوض أن يكون معبدا.

1- فريدريك نيتشه- جينالوجيا الأخلاق
2- جون ديوي - المدرسة والمجتمع

في افتتاح الموسم الثقافي برواق الفنون ببن عروس

معرض جماعي للنحت والفوتوغرافيا والفن التشكيلي

هيام الفرشيشي

إنطلق الموسم الثقافي 2025.2024 في رواق الفنون ببن عروس بالمعرض الجماعي " لقاء 8" يوم الخميس 3 أكتوبر 2024 تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بولاية بن عروس، و بمساهمة و رعاية اتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين. وقد احتضن الرواق معرضا جماعيا للفنون التشكيلية بإشراف السيد معتمد بن عروس والسيدة مديرة الرواق، وبحضور ممثلي الهيئة المديرة للاتحاد الفنانين التشكيليين التونسيين ونخبة من الفنانين التشكيليين والفوتوغرافيين والإعلاميين وثلة من مثقفي الجهة والفاعلين من المجتمع المدني.

ضم معرض "لقاء8" أربعين عملا فنيا لأربعين فنان وفنانة بتقنيات متعددة ومتنوعة، إذ نجد فن النحت والفوتوغرافيا والفن التشكيلي.

3 منحوتات: وهي منحوتة " صمت" لعفاف شندول، منحوتة "ملائكة الأرض" لمروى مهدي، ومنحوتة " المقاومة" لمجد الجزيري.

6 أعمال فوتوغرافية: وهي " فريقا" لإبراهيم بهلول، "كاب تاون" لعمر عبادة حرز الله، "معزوفة" لعمر بن مبروك، " الوهم" لعربية عباس، "فلسطين" لبنور مشفر و"رقصة الأعشاب البحرية" لعلي الحيساوي.

النصيب الأكبر في المعرض كان للوحات التشكيلية بعرض 31 عمل فني زيتي، اكريليك، و تقنية مزدوجة. حيث شارك ماهر العروسي بلوحة بعنوان "الحلفاوين"، وعنون ماهر الطرابلسي لوحته ب"وهم على الحق كانوا كارهون"، محمد رقيق عرض لوحة بعنوان "الحشد"، محمد اكرم قوجة ساهم بلوحة "عائلة بركة"، كوثر جرداق عرضت لوحة "وبعد الغروب"، حنان مقديش ساهمت بلوحة "الكون2". آمال شابي شاركت بلوحة "انفجار"، ابراهيم بالطيب عرض لوحة "تكوين هندسي"، محمد مسعود بعتي لوحة " غرق متوسطي1"، ساهم بلوحة "طريقة الحياة"، خولة فرحات عرضت لوحة " الخطاف" عمل ثنائي، سلمى السماوي لوحة "لحن الوجدان"، هندة زرقاطي لوحة "المنبتة" ، فردوس برنسي ساهمت بلوحة " سمفونية"، إيناس لزرق "لوحة مشاعر مبعثرة"، هناء بن أحمد لوحة "وهج التقاليد الخالدة" ، هاجر بن سعيد سلامة لوحة "ضوء". صالح بن عمر لوحة " القوس في الإثارة" ، بكر بن فرج "الفصول الأربعة"، صابر صحراوي " BIOTOP"، فايزة والي لوحة "دون عنوان"، إبراهيم نقيلي لوحة "زمن رديء"، محمد سلامة رحماني في لوحة "فخ"، وصال خماسي لوحة "رائد البهجة"، آمال هاني لوحة "نوافذ"، هادي بن نصيرة لوحة "MATANZA 3"، أم كلثوم بلعيد لوحة " أمومة"، محمد عواطف ريدان لوحة "فرحة الحياة"، غادة مزيد لوحة "ترنيمة الفرح ". أحمد زايبي فقد شارك بلوحة بعنوان " فكر الهيبيز".

وقد عكست الأعمال الفنية في هذا المعرض التراث المادي واللامادي، البحر، المعمار، والقضية الفلسطينية، الأحاسيس، فلسفة الحياة، موسيقى الروح، حركة الكائنات، جمالية الأمكنة، الرؤى، حالات وانفعالات مختلفة، .. تعددت المدارس الفنية بين التشخيص والتجريد، فتنوعت المواضيع المقترحة من طرف الفنانين بأعمالهم الفنية. وكان لأبناء الجهة مساهمة فعالة فهذا في هذا المعرض.

الفنون الجميلة كانت عنوان المعرض الجماعي في "لقاء".

نحت وفوتغرافيا وفن تشكيلي بنفس الأفكار والمعايير الفنية الأساسية مع تعدد الأساليب والتقنيات. وقد حملت بين طياتها عواطف ورسائل إنسانية. مبرزة موقف الفنان في التعبير عن رؤاه بالالوان والاشكال.

لوحة الفنان العراقي علي رضا السعيدي المقيم بتونس بعنوان "أغنية"

فوتوغراف لعلي الحيساوي بعنوان رقصة أعشاب البحر

منحوتة ملائكة الارض لمروى مهدي

ترنيمة على طريق القدس

عبد العزيز قاسم

مادتِ الأرْضُ بنا ماذا عنِ الأمْرِ الجَلَلْ
جاءَ في الأخبارِ: نصرُ اللهِ وافاه الأجلْ
اسألوا الأعْرابَ عمّنْ مَكّنَ الأعْرابَ من قَتْلِ البَطَلْ
ذهبتْ أخلاقُهمْ منذُ أتى الرَّيْعُ على رَعْيِ الجَمَلْ

طارَ نَوْمي وكثيرًا في الرزايا ما تُجافيني الوِسادة
إنّها حَرْبُ النِّهايات فلاَ هُدْنَةَ فيها لاَ هَوادة
قال صوت المجد لا تحْزَنْ فبَعْضُ الموتِ تجديدُ وِلادة
يَفْجَعُ المَوْتُ ولكنْ لا يُذيبُ المَوْتُ فولاذَ الإرادة

أمَّتي مِنْ ألْفِ عامٍ تُبْتَلى كيْ تُمْتَحَنْ
قيلَ هذا قَدَرُ اللهِ، كفَى لاَ تَجْزَعَنْ
قُلْتُ قُلْ لي : قَدَرُ اللهِ تُرَى في صَفِّ مَنْ ؟
زُمَرُ التَلْمودِ، بِئْسَ الرَّهْطُ بَغْيًا، آهِ تَبًّا يا زَمَنْ

سرَحَ المِخْيالُ واسْتَحْضَرَ مَنْ للقُدْسِ فازوا بالشَّهادة
وَبِصَدْرٍ وشَّحَتْهُ شارةُ السَّبْقِ ونيشانُ الرِّيادَة
جاءَ في مَنْ جاءَ عبدُ الناصرِ الفَذُّ فأكْرَمْتُ الوِفادة
خَلْفَهُ يَمْشي «غِفارًا» بخُطى أَنْطونْ سَعادَة1

أُمَّتي هلْ كنتِ حقًّا خيرَ أمَّة
يا شَتاتًا بعْضُهُ للبعْضِ غُمَّة
يا دراويشَ دُعاءٍ خلْفَ أشباهِ الأئمَّة
عاثَ «أبراهامُ» فيكمْ وحمَلْتُمْ عنْهُ هَمَّهْ

عجبًا للمَرْءِ ماتَتْ روحُهُ والجِسْمُ عائشْ
تبًّ قارونُ وبِئسَ المالُ بَنْكًا للدَّواعِشْ
يوْمَ عَدُّوا ثوْرَةَ الأحْرارِ مِنْ كبْرى الفواحِشْ
هلكَ الأهْلُ ألاَ كُفّي نُباحًا يا بَراقِشْ

كانَ أُكْذوبةَ خيْرٍ ونماءٍ صُدِّقَتْ يا لَلْوَثَنْ
إنَّهُ النَّفْطُ لَظَى تأْكُلُنا، تأْتي على أشْرَفِ مَنْ
لمْ يزل يحْمي بقايا العِزِّ في هذا الوَطَنْ
يا امْرِئَ القيْسِ قضَى الغارُ على مِسْكِ الدِّمَنْ

منْذُ أيّامِ الصِّبا عدَّلتُ أوتاري على سجْعِ الحَمامْ
في حُقولِ التّينِ والزيْتونِ رُبِّيتُ على حُبِّ السَّلامْ
يا بلادَ الشامِ يا حُبِّي سلامًا يا شآمْ
تَنْتهي الحربُ وُجوبًا، أنا خَوْفي مِنْ سلامِ العمِّ سامْ

نايُ جبرانَ بأذْني في رُبى قرطاجَ أنْ
روحُ ديدونَ تناديني وفي الصوتِ شجَنْ
وبقرطاجَ للُبنانَ حنينٌ مُخْتَزَنْ
رغْمَ شكْوى المتنبِّي، صِلَةُ القرْبى ظهيرٌ مُؤْتَمَنْ

عبَراتٌ خجَلاً كفْكفْتُها قبْلَ العُبورْ
ومَشى بَعْضي إلى بعْضي بصَيْدا وبصورْ
يحمل الشِّعْرَ وشاحًا وأكاليلَ زهورْ
ومنَ الشعرِ سلاحٌ عندما الشعرُ يثورْ

أيها الحُجَّاجُ يا منْ بالميامينِ اعتِسافًا تُنْعَتُونْ
رحلتْ كلُّ الشياطينِ فَمَنْ ذا تَرْجُمُونْ
بفلسطينَ أناخُوا رُسْلَ نَهْبٍ ومَنونْ
أنا حوَّلْتُ إلى القُدْسِ جِمارِي أفَلاَ تَذَّكَّرونْ

أيُّها الجَوْعى العَطاشَى في لَظَى أطْلالِ غزَّة
اعْذُرُونا إنْ خَلَطْنا الماءَ ذُلاًّ أوْ أكلنا العارَ خُبزَهْ
قدْ خَذَلْناكُمْ ولمْ نَثْبُتْ لقومٍ لبسوا التطبيعَ بزَّة
نحْنُ ها نحنُ إلى أنْفُسِنا نَزْنُو بعينٍ مُشْمَئِزَّة

1 - أنطون خليل سعادة (1904-1949) زعيم لبناني وحدوي، مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي. أعدمته حكومة رياض الصلح في أبشع وأقصر محاكمة عرفتها المنطقة تحت ضغوط استعمارية فرنسية وصهيونية.

حكايات لم تروها شهرزاد (1)

شفيق بن بشير غربال

الزائر الثقيل
قم للكُفيد وفّه التّبسيمَا
كاد الكُفيد يكون حميمَا

يُروى أيها القارئ الصّنديدْ أنّ العالم في ألفين وتسعة عشر أصيب بالكوفيدْ . وانتشر الوباء من مدينة أوهان بالصينْ وحصدت في طفرتها الأولى عشرات الملايينْ .وكثر التأويل بشأنها والقيل والقالْ .و سمعنا وقرأنا ما لم يخطر على بالْ . و انتشر في القرية الكونية هلع كالنار في الهشيمْ . واشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي منذ ذلك الحينْ . وبدأت صناعة الإشاعات تعمل على قدم وساقْ . واشرأبّت لسماعها وقراءتها الأعناقْ. حتّى خلنا الأنباء تأتينا من بلاد الواقْ واقْ لما فيها من تضارب أحيانا وتباين الأذواقْ. وتحوّل الإعلام إلى حَلْبة سباقْ لتلبية انتظارات المشتاقْ. ومع تطوّر موجات الكوفيدْ ارتفعت صابة الحصيدْ. وتبارز الأطباء في عرض الآراء .ْ وتدخّل في اللعبة الوزراء. ونشطت من ورائهم الأحزابْ تستغلّ الأزمة بلا حسابْ .

وتزامنًا مع البحوث الدُّوليةْ .لم تلتزم بلادنا بالحياديةْ وأصبحت تردّد ما يأتي من الخارج بحسن نيّةْ أو بسوء نيّةْ. ومرّت الأزمة الأولى بسلام بعد حصيلة مأسوف عليها و تطبيق حجر صحّيّ شامل كلّف البلاد أرواحا بريئة ْ"بسياسة جريئة ْ . وحينها عادت العائلات تجتمع للعشاءْوتسهر متباعدة في المساءْ. وازدهرت الأطباق المنزليةْ والوصفات السّحريّة ْ.بعد أن أفرغ بنو جراد الدكاكين والمغازاتْ . وألقوا بشطرها في مصبّ القمامات ْ. وعادت الجائحة تعصف من جديد في عامها الثاني ولم يستخلص سياسيّونا من الأولى أجمل المعاني. فبعد الوصول الى نقطة الصفرْعادت الجائحة تتّقد كالجمرْ . وحصدت في طفرتها الثانية قرابة الثلاثين ألفًا . وابتدأ البحث عن شراء لقاح للشِّفا . وابتدأ الترغيب في التلقيحْ ما بين مُقِرٍّ ومنكِر للصِّحيحْ. جرعتان صمّامًا أمانٍ من الفيروسْ .من تحصّن بهمًا أصبح كالعروسْ . وكم من أعراس أجِّلت أو أُلغِيت في ذلك العام ْ. واستفاد من الوضع أولُو الأفهامْ فتزوّجوا في تمام السِّرّيّةْ ووفّروا من ذلك ألفا وميّةْ ليس عدّا بالحَصْرْ ولكن شعورا بالنَّصْرْ . و كم كتب الشعراء من قصائد بليغةٍ تحتفي بالكوفيدْ ! وكم تغزّل الأدباء بكل ما هو جديدْ!

ومن محاسن هذه الجائحة حصول ثقافة صحية من الأثير والأنترناتْ وتعوّدنا ارتداء البافاتْوالانضباط في الوقوف في الصفّ لتجنب تأنيب المراقبْ وكم شهدنا اقتراض لثام للوصول الى المكاتبْ. يا للكوفيد كم رأينا فيك من العجبْ وكم عانت نفوسنا وجيوبنا من النّصَبْ. وتواصل مسلسل الكوفيدْ. وواكبنا ظهور كل متحوّر جديدْ. حتّى خشينا أن يصيب الحروف الإغريقية النفادْ ويهلك من تحوّراتها العبادْ. وشاء ربّك أن يفلح الكفّار في تصنيع لقاحات أقبل عليها المسلمون العاجزون أمام شركات الأدوية العالمية ْ.وقبِلوا ضخّ أموال خصّصوها من بيع الموارد الطبيعية ْ .

قيل لنا علينا أن نتعايش مع فيروس الكوفيدْفإمّا انتصارٌ وإمّا موتٌ وئيدْ. وجعلونا هدفا لمناعة القطيعْ.

ومع تباشير العام الثالث الجديد ْ اقتربنا من المناعة الجماعية بفضل سياسة رشيدةْ و دعم من قواتنا الأمنية العتيدةْ. ونأمل أن نخرجَ من معركة الموت أو الحياةْ.وننخرطَ في صنع بهجة الحياةْ .

حكاية بمناسبة إصابتي بالكوفيد.

هذا الجيل أحسن منا!!!

محمد صالح مجيْد

نحن آخر جيل عاش ما قبل الرقمي NUMERIQUE ومن باب أولى واحرى أن نعجّل في المغادرة تاركين الفضاء لأبناء الرقمنة وجيل الانترنيت المتاحة، لانّ اغلبنا أصبح عائقا وعنصرا مشاغبا يشوّش عناصر اللوحة الجديدة المتناغمة...فينا مقاطع للحاسوب رافض له إما كسلا وعزوفا عن الانخراط في الجديد او كرها لكل ما ينتجه الغرب الكافر!!!.

بزوال هذا الجيل ستسقط مقولات قروسطية وسيتحرّر ابناؤنا من وزر الأيديولوجيا التي كبّلتنا والهرطقة التي قصفت عمرنا .هذا الجيل أذكى منا وأفضل منا وعلى يديه ستنفتح آفاق رحبة.. المهم ان يكفر بنا ويتخلص من لوثتنا ومن شعاراتنا ومن وهم فهم العالم الذي رافقنا طويلا...نحن جيل ناقش في الجامعة تحريف تروتسكي وقدم موقفا من الجبهة السندينية في نيكارغوا وخرج إلى الشارع في وجه الإمبريالية التي اغتالت توماس سنكارا!! واختلفنا حول ممارسات الخمير الحمر في كمبوديا وظنّ كل واحد فينا انه حامل رسالة "تشي غيفارا" الزاهد في السلطة الذي كان ياكل خبزا يابسا مع الفقراء!!! المتعفّف عن النساء!!!نحن أبناء جيل حوّل هزيمة على الارض سنة1967 إلى انتصار في الأفلام والأغاني والرقصات الشعبية وجعل من القضية الفلسطينية حكاية تؤثث الليالي الباردة وتحرّك الحناجر في الشوارع.. وباسم هذه القضية سالت دماء الإخوة الأعداء وتناثرت جثثهم في أغلب العواصم...

الصورة المصاحبة لهذه الكلمات تؤكد تعاسة أيامنا لكنها غير مفهومة عند ابناء هذا الجيل الذين عبروا الحدود دون أن يسافروا واخترقوا الحواجز بأزرار هواتفهم و لوحاتهم الرقمية...هذا الجيل لا يعنيه اليسار ولا اليمين ولا الوسط ولا يهتم بالانتخابات يراهن في الصباح على مباراة في البطولة الاوروبية ويتحدث ليلا مع صديقته الإسبانية ويتاجر في البرازيل...لا يهتم بحكاياتنا البائسة ولا يعنيه الوطن إن لم يكن له فيه نصيب وحياة آمنة..كان البحر مفتوحا أمام أبناء جيلنا ولكن لم نفكر في اقتحامه هروبا ..هذا الجيل أذكى منا وأكثر منا شجاعة ومغامرة وتحديا..

أملي كبير في أن يحقق هذا الجيل الرقمي ما لم نوفق في إنجازه وسيكون مستقبله افضل من حاضرنا لانه بكل بساطة سيقطع حبل السرة الذي يربطه بنا وبخرافاتنا التي لا تنتهي واوهامنا التي بال عليها الزمان وسيدفنها في مقبرة الرقمنة دون أسف او دموع

طيفٌ ملائكي

محمد إبراهيم الفلاح - مصر

طَيفٌ يَجِيءُ وَقَلبي كَمْ لَهُ خَفَقا
وامُقْلَتاهُ! مِنَ النُّورِ الَّذي دَفَقا
وَرِيشةٌ مِن مِدادِ الشِّعرِ زاهِرَةٌ
إذا هَفا الطَّيفُ يَغْزُو شِعْرُها الوَرَقا
مَن ذا يَرى، لَيْتَ شِعْرِي!، في الغَياهِبِ ما
شَوقي إليه عَدا وَهْوَ ال مَنى الألَقا
رَبَّاهُ! ما ذا؟!... جنونٌ أمْ كَبا بَصَرِي؟!
أمْ ساقَ وَحيٌ إليَّ الطَّيفَ مُعتَنَقا؟!
وَمُنجِدي مِن هَواهُ لَمْ يَلُحْ أبَدًا
طَيفِي مُلَخَّصُهُ سُبحانَ مَنْ خَلَقا
أشْدُو كما الطَّيرِ مِنْ مَفتونِ طَلْعَتِهِ
شَوقي لألْمِسَهُ يَقسو وَما رَفَقا
ألِفْتُ خَدَّيهِ مِنْ طِيبٍ وَمِنْ عَبَقٍ
فَازْدادَ مِنهُ فُتونًا قَلبُ مَنْ وَثُقا
وُكُلَّما حَدَّقَتْ عَينٌ لِتَرْسُمَهُ
إقْتَصَّ مِن قَلَمِي قَصْفًا وَما اخْتَلَقا
لَمَّا رَمى قَوسُ عَينَيها السِّهامَ جَثا
قَلبٌ أنا في الهَوى عَلَّمْتُهُ الغَرَقا
نَسائمٌ طَيفُها، شمسٌ بِلا شَفَقٍ
فَكانتِ الدُّرَّ لا ليلًا بِها لَحِقا
مَقطُوعَةٌ أتْيُها بالحُسْنِ زاخِرَةٌ
مَنْ خَطَّ لَوحَتَها قَدْ يَفْقِدُ الرَّمَقا

ال: بمعنى الذي وَكُتِبتْ هكذا للضرورة الشعرية
مَنى: ابْتَلى بِمِحْنة أو مُصيبة